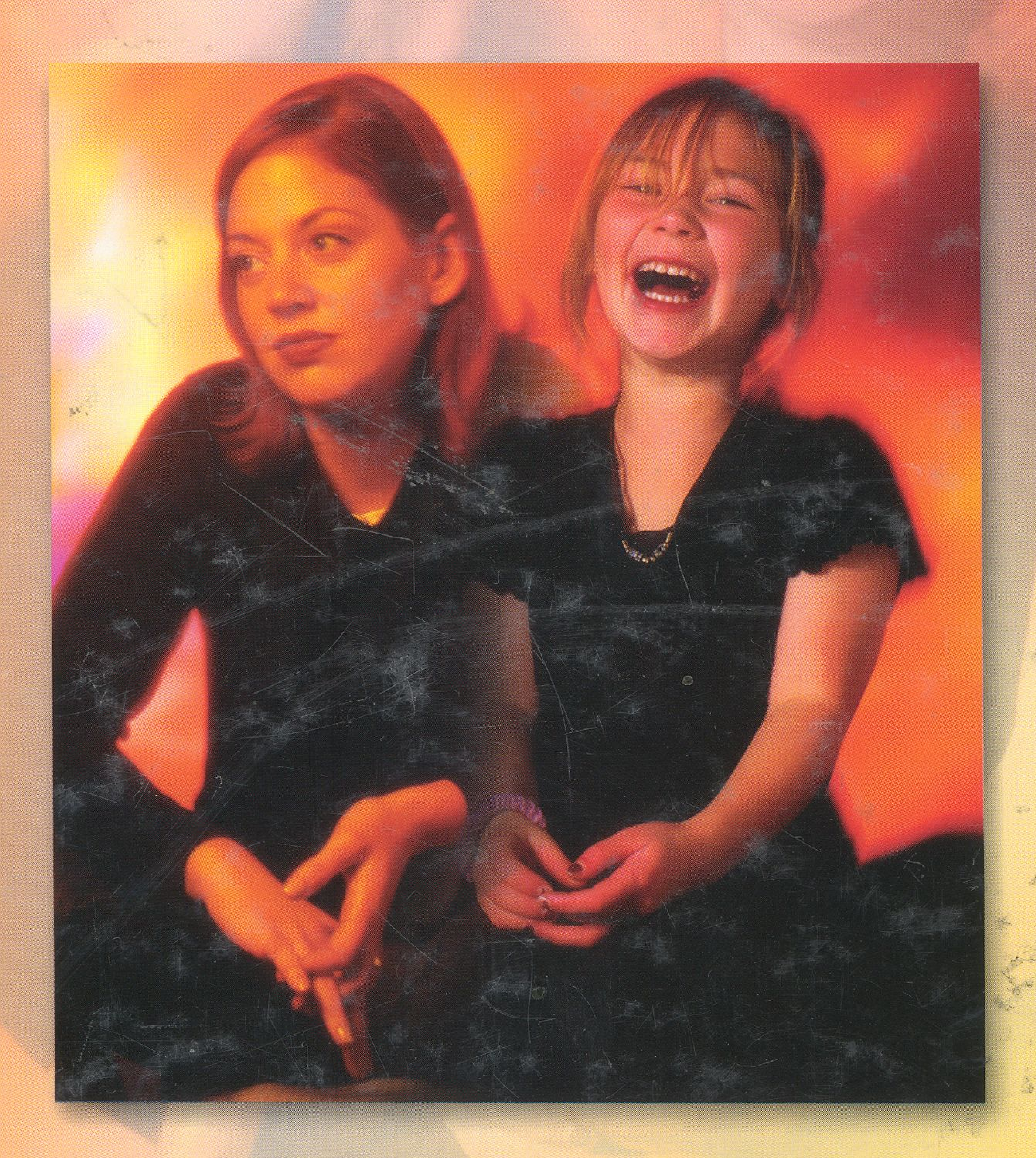


سيكولوجية الطفولة والمراهقة

أ/د. عبدالرحمن العيسوي



دار أسامة


مؤسسة
عبد الحفيظ
البساط
لتجليد وتصنيف
الكتاب
بيروت لبنان



سيكولوجية الطفولة والمراهقة

"الأسرة ودورها في حل مشكلات الطفل"

تأليف

أ. د: عبد الرحمن محمد العيسوي

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن- عمان

الناشر

دار اسامة للنشر والتوزيع

الاردن – عمان

- الادارة – هاتف :5658253 – فاكس : 5658254
- المكتبة – العبدلي – فاكس: 5658252

ص . ب : 141781

طبعة 2009 م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٤٤٦ / ٧ / ٢٠٠٣)

١٥٥,٤

العيسوي، عبد الرحمن محمد

سيكولوجية الطفولة والمراهقة/ عبد الرحمن العيسوي .–

عمان : دار أسامة للنشر ، ٢٠٠٣

(   ) ص .

ر.إ :١٤٤٦/٧/٢٠٠٣.

الواصفات :/السياسة الحكومية/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

مقدمة

يسرني أن أقدم للقارئ العربي الكريم كتابي "سيكولوجية الأسرة والطفولة". ولقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع الحيوي ما شاهدته من وجود حالات كثيرة من الأطفال المشردين والأحداث الجانحين، ومن أطلق عليهم أخيراً "أطفال الشوارع" وهم الذين لا مقر ولا مسكن ولا مأوى لهم، وهم الذين ينتشرون في المدن الكبرى فينامون تحت الكباري وعلى الأرصفة وفي الشوارع والميادين والحدائق العامة، وحالتهم تمثل أقصى حالات البؤس والشقاء والتعاسة، وتعبر عن أقصى ما يمكن أن ينال الإنسان من الإهمال والضياع والفوضى والحرمان والقسوة والطرد والنبذ وهم يشكلون ظاهرة غير حضارية بل غير إنسانية، ولا يمكن لمجتمع إنساني وحضاري مثلنا أن يسمح ولو ليوم واحد ولطفل واحد أن ينام في العراء يفترسه البرد والحر والجوع والحرمان وتنخر في عظامه الأمراض.

قد ينجرف في تيار الإدمان والجنوح والانحراف، ولا يتفق هذا الوضع مع ما حققه المجتمع من تقدم حضاري وازدهار مادي وتقدم صناعي، وما كان لمثل هذه الظاهرة أن تحدث حتى في المجتمع عندما كان بدائياً وفقيراً.

كذلك استرعى نظري ما أصاب الأسرة من التفكك والتصدع والانهيار والتحطيم، وعلى القليل تعادلها قائمة من الناحية الرسمية وانفصال أطرافها انفعالياً أو عاطفياً وان كان يجمعهم سقف واحد.

ولكن بعد أن ضعف سلطانها وقلت رقابتها وولايتها على الأطفال ورعايتها وإشرافها وتوجيهها وترشيدها لسلوك أبنائها. لقد ثقلت الأعباء الملقاة على عاتق الأسرة فخارت قواها، وعجزت عن الوفاء برسالتها على الوجه الأكمل. الغلاء يطحنها والتنافس والصراع والاعلام غير المرشد ينال من عضد العلاقات ومن سمو القيم فترى الابن يتطاول على أبيه ويجحد ويعتدي على تلك المقدسات وترى السباق من

أجل الحصول على مزيد من المال قد أعمى الأسرة عن رسالتها الأولى، فالأب "حاضر غائب" والأم تسعى من أجل لقمة العيش والأبناء في ضياع نفسي حتى وإن توفرت أسباب العيش المادية الرغدة. فقدت الأسرة روابطها العاطفية المقدسة وتماسكها ولحمتها وتفانيها في خدمة أعضائها.

وللأسرة أهمية بالغة في تحقيق التكيف النفسي والاجتماعي والاقتصادي والمهني والتعليمي والجنسي. واختل توازن الاختيار الزواجي وسيطرت عليه موارد الزوجة أو الزوج، وضاعت القيم الروحية والأخلاقية في زحمة الماديات وطغيانها. وزادت الخلافات والمنازعات والمنغصات الزواجية، تلك التي تنعكس ولا شك على صحة الأبناء الجسمية والعقلية، بل على صحة الزوج والزوجة فما هي الأسباب التي تؤدي إلى نشأة هذه المنغصات وتلك المنازعات؟ وكيف السبيل إلى علاجها ؟.

الطفولة المبكرة لها ما لها من الأهمية في بناء شخصية الطفل، وتترك بصماتها في شخصيته طوال حياته، حيث تنطبع خبرات الطفولة وتظل تصاحب الفرد مراهقا وشابا ويافعا ورجلا وكهلا وشيخا. ويثور الجدال حول أساليب التأديب والتهذيب والتربية للأطفال بين الحرية المطلقة وترك الحبل على الغارب للطفل، وبين القسوة والشدة والصرامة والحزم الزائد عن الحد. وباتت الأسرة تخشى على أطفالها من تأثير أقران السوء، بعد أن انتشرت المخدرات بينهم وأصبح الشم والإدمان في كل الطبقات وبين كل الأعمار حتى الصغيرة منها. وزادت معدلات جرائم الجنس والاغتصاب وهتك العرض والدعارة، إلى جانب زيادة معدلات جرائم الأقارب وتغير نمطها واتسامها بالبشاعة والغلظة والوحشية. وكلها ظواهر كانت غريبة على مجتمع الحضارة التي تمتد بجذورها في أعماق التاريخ لأكثر من سبعة آلاف عام. أين خلق القرية المصرية؟ أين قيم الإسلام الحنيف؟.

لقد توارت أمام تأثير "الدش" والقنوات الفضائية والمواد المثيرة للشهوات والغرائز والعنف والجريمة وأمام موجات البدع والموضات والإقبال على التقليد الأعمى. لقد قلت الروابط الجماعية وحل محلها مناشط فردية مثل الفيديو جيم والألعاب الفردية التي غذت الأنانية والعزلة والانسحاب من حياة المجتمع.

كم نحن في حاجة إلى إعادة النظر في كل جوانب حياتنا وترشيدنا وتصويب مسارها وعلاج مشاكلها لنعود إلى حظيرة الدين وإلى مظلة الإيمان الراسخ والواعي الذي يستقر في القلب ويصدقه العمل، إلى روح الإسلام الخالد وتعاليمه السمحة ومثله العليا وترابطه وهديه.. إلى قيم الرحمة والشفقة والعدل والتماسك والتضامن والإخاء.

كم نحن في حاجة إلى القيام (بثورة أخلاقية) وإلى العمل الجاد من أجل تدعيم الأسرة بظل أفرادها وتقديم العون لها، وكم نحن في حاجة إلى توجيه الرعاية لأطفالنا وشبابنا وكل أعضاء الأسرة بما فيهم من الزوج والزوجة دون أدنى تفرقه.

والله ولي السداد والتوفيق والرشاد . .

المؤلف :

د . عبد الرحمن العيسوي

الفصل الأول

تـأثيـر الأسـرة في كل أعضائهـا :

- أهمية الأسرة الحديثة.
- تأثير الأسرة على جميع أعضائها.
- الفجوة بين التقدم العلمي والتقني وبين القيم الأخلاقية.
- أسس اختيار الزواج الصائب.
- تأثر الاختيار الزواجي ببعض العوامل النفسية.
- مفهوم العامل الولادي أو الميلادي.
- المخاطر الولادية على الصحة العقلية.
- العوامل المؤثرة في نمو الطفل.
- التفاعل بين العوامل الوراثية والبيئية والميلادية.
- الوعي السيكولوجي والحياة الحديثة.
- دور علم النفس في الحياة المعاصرة.
- دور علم النفس في مجال الجريمة.
- تفسير الظاهرة الإجرامية.
- النزعة السيكوباتية.
- تعريف التعصب.
- سمات شخصية المتطرف.



تأثير الأسرة في كل أعضائها

أهمية الأسرة الحديثة :

الأسرة **Family** : هي الحضانة التي يتربى وينشأ ويترعرع فيها الأطفال الذين يصبحون رجال الغد. وهي "الرحم" الذي يتكون فيه الكائن الإنساني، والذي يمتاز دون سائر مخلوقات الله ، بطول فترة رضاعته وطفولته *infancy and childhood*، وبالتالي اعتماده على أسرته لسنوات طويلة سواء أكان هذا الاعتماد فيزيقياً بدنياً متمثلاً في الرضاعة والتغذية والحماية *protection* والدفء والرعاية الطبية والصحية، أمْ كان ذلك الاعتماد .اقتصادياً تفرضه طبيعة الحياة الحديثة وطول فترات التعليم والتخصص العالي وتأجيل تحقيق الاستقلال الاقتصادي للشاب لفترات طويلة حتى يتمكن من الاعتماد على نفسه وإعالتها، ويتضح ذلك من مقارنة طفل الإنسان لطفل الكائنات الأخرى التي تشب عن الطوق وتستقل بعد فترة قصيرة من ميلادها والأسرة هي النواة أو الخلية الأولى التي يتكون منها المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع برمته. فهي التي تعد أفرادها ليكونوا مواطنين وهي التي تزودهم بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن .والمصروف اليومي، وهي التي توفر لهم سبل الوقاية والعلاج والإرشاد والتحصينات المختلفة ضد الأمراض وهي التي تحمي أفرادها من أخطار الحوادث والإصابات، وفوق كل ذلك هي التي تغرس فيهم القيم والمثل العليا والمعايير والمبادئ والقواعد والنظم الأخلاقية والروحية والوطنية والعربية والإسلامية وهي التي تغرس فيهم مشاعر الانتماء للوطن والحب والعطف والحنان والشفقة والرحمة والبر والإحسان والتقوى والورع والصلاح والخشوع وتربيتهم على الطاعة والالتزام والانضباط *Conformity* وتنمي فيهم العادات السلوكية السوية كحب

العمل وإتقانه والتفاني فيه والنشاط والحركة والحيوية، وهي التي تـــزرع فيــهم روح الطموح والأمل والرجاء والرغبة في تحقيق الانتصارات والمكاســب والإنجـــازات *The need for achievement* وتربيتهم على العطاء والتضحيـــة والفـداء وتلبية نداء الوطن عندما ينادي المنادي أو عندما تهب رياح الخطر لتنال مـــن حريــة الوطن أو مقدساته أو شرفه أو عرضه أو استقلاله سواء أكان هذا الخطر خارجيـــا أم داخليا. والأسرة الناجحة هي التي تربي أعضاءها علـــى الأمــل والرجــاء والتفــاؤل وارتفاع الروح المعنوية *moral* والبشر والسعادة والانشراح.

تأثير الأسرة على جميع أعضائها :

للأسرة أهمية كبيرة ليس فقط في نشأة أطفالها، وإنما أيضا في ســعادة جميــع أعضائها وتمتعهم بالصحـــة الجســمية والنفســية *physical mental and psychological health* والعقلية وتمتعهم بالسواء والتكيــف *Adjustment* وتربيتهم على الفطرة السوية التي فطر الله الإنسان عليها. ومن هنا كانت أهمية تدعيـم الأسرة ماليا وعلميا وتربويا واجتماعيا ودينيا وروحيا لتقويم رســـالتها علـــى أطيــب الوجوه وأكملها وخاصة في عصر تزداد فيه الضغوط التي تسقط على كاهل أفرادهـــا، تلك الضغوط التي أدت إلى ضعف سلطانها وقلة إشرافها ورقابتها ورعايتها على جميع أعضائها.

إن اضطرار الأم للعمل خارج المنزل، وكذلك اضطرار الأب للعمل في أكـــثر من وظيفة قد حالت دون تمكن الأسرة مـــن القيـــام بدورهـــا الـــتربوي والإرشـــادي والتوجيهي، ودورها في إحكام الإرشاد والتوجيه وتوفير الحماية لأبنائها. وبـــالطبع لا يمكن أن نتصور أن أبا يعود من عمله في النصف الأخير من الليل مجـــهدا ومكـــدودا وعليه أن يستيقظ باكرا لينخرط في معممة كسب الرزق ثم نتصور انه قادر على توفير الرعاية والإشراف والتوجيه الوالدي أو الأبوي.

إن زحمـــة العمل وغلاء المعيشة وتعقد الحياة الحديثـــة وارتفـــاع مســـتويات طموح الناس وتطلعهم إلى ما يفوق قدراتهم تحول دون تمكن رب الأسرة من حمايـــة

أطفاله. بل لا يمكن للزوجة أو للزوج من القيام بواجبه حيال الآخر، ولذلك لا بأس من وضع نظام تتقاضى فيه الأم راتبها كاملا وهي ترعى صغارها لأنها في نهاية المطاف، إنما تربيهم من أجل المجتمع وليكونوا سواعد وعقول المجتمع، وليكونوا بناة نهضته وحملة رايته وقواه المنيعة في الدفاع والذود عن حرماته ومقدساته، بل إنها تزود المجتمع بقواه العاملة وحملة راية الإنتاج، ولذلك ليس ترفا ان تدفع لها الدولة راتبها وهي تقوم بهذه الرسالة الوطنية حتى يشب أولادها فتعود إلى عملها وهذا النظام ليس بدعة، وإنما معمول به في إنجلترا أو بعض دول العالم الأخرى حيث تدفع رواتب للأمهات في أثناء حضانة أبنائهم.

الحضارة الحديثة تلقي بثقلها على كاهل الأسرة بما تفرضه من الصراع المحتدم والمنافسة الشديدة والرغبة الشريفة في تحقيق الطموحات، وذلك إلى جانب ما تتسم به من حضارة العصر من النزعات المادية *Maderalsim* البغيضة وموجات الكفر والإلحاد والمودات والبدع، وعلاوة على ذلك يشعر إنسان العصر بالتهديد من جراء التهديد بالحروب الشاملة والفتاكة ومن جراء الصراعات الداخلية والإقليمية والعالمية وسطوة بعض الدول على مقدرات الشعوب الصغيرة.

الإنسان يدفع من سعادته ثمنا باهظا لحضارة العصر المادية والتي زودته بأساليب الراحة التكنولوجية في شكل الطائرات والسيارات والأجهزة والمعدات، ولكنها سلبته أغلى ما يملك وهو الاستقرار النفسي والشعور بالأمن والأمان والاطمئنان، والراحة والسكينة حرمته من القيم الروحية التي كانت تحفظ على الإنسان حياته وتجعل لها معنى ومغزى وفائدة ورسالة وهدفا وأصبح الإنسان يعيش في ظلام حالك وفي فوضى كونيه لا يعرف لنفسه مكانا في خضم هذا الكون المتلاطم الأمواج ويقف الإنسان، قليل الإيمان، تعصف به الرياح والأنواء والأعاصير.

أما في ظل حضارتنا الإسلامية فإن الرؤى واضحة والهدف من الحياة معروف وواضح وهو عبادة الله تعالى.

الفجوة بين التقدم العلمي والتقني وبين القيم الأخلاقية:

لقد شهد هذا القرن تطورا سريعا وحاسما في مجال العلوم والتكنولوجيا والمخترعات والمبتكرات، ولكن لم يظهر ما يواكب هذا التطور وتلك المخترعات من القيم الأخلاقية التي تضبط استعمالها أو تحكم السلوك الإنساني حيالها، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة، من ذلك ان انشطار الذرة وتوليد طاقات هائلة عنها، لم يصاحبه صدور نسق قيمي أو أخلاقي يضبط استخدام هذه الطاقة ويحكمه بحيث تستخدم في مجالات السلام والخير والنفع الإنساني أو في العلاج مثلا أو في توليد الطاقة لأغراض سلمية، وإنما استخدم في التهديد بفناء العالم والقضاء على حضارة الإنسان وفي التخريب والتدمير والقتل وسفك الدماء، وخير مثال على ذلك إلقاء القنابل النووية على جزيرتي هيروشيما ونجازاكي في اليابان في أواخر الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٤) بل أصبح السلاح النووي أداة تهديد وسطوة وبطش في يدها والسيطرة على الدول التي لا تملك السلاح النووي. ومن ذلك أيضا ما نشاهده عندما يدفع الثراء الأسرة إلى شراء سيارات لمراهقيها ويقومون هم بالعبث بالسيارات والدخول في سباقات تؤدي إلى تحطيم السيارة وقتل الأبرياء أو قتل المراهق نفسه ومن ذلك العبث في معاكسة النساء من قادة بعض السيارات والخروج على قواعد المرور وآدابه، وكذلك العبث في استخدام الهاتف في المعاكسات أو في السب والقذف أو في الثرثرة الزائدة عن الحد وبالمثل الإفراط والإسراف في مشاهدة التلفاز إلى الحد الذي ينقلب إلى ضرر صحي يصيب العيار المشاهد ويقتل فيه روح ممارسة الأنشطة الرياضية وكافة المناشط الإيجابية ويحوله إلى مدمن مشاهدة تسم سلوكه بالسلبية فضلا عما يسببه من سمنة مفرطة إلى جانب ما يعرضه من مواد ضارة ومثيرة للغرائز والشهوات أو لدوافع العنف، وحتى أجهزة الكمبيوتر ظهر لها جرائمها وسرقة برامجها والإطلاع على أسرارها حتى الأسرار الحربية الخطيرة.

هناك فجوة بين القيم الأخلاقية والمنجزات التقنية ولذلك يلزم عالمنا ثورة أخلاقية تحكم سلوك أفراده وتوجهها ثورة قوامها العلم والإيمان والخلق القويم وخير

منبع نستقي منه كل هذه القيم هو إسلامنا الحنيف وقيمه الخالدة على مر العصور والدهور.

الأسرة وما يصيبها من التصدع والانهيار لا تؤثر سلبا على حياة الأطفال وحسب وإنما أيضا على حياة الزوج والزوجة وقد يعتقد البعض أن التصدع الأسري يصيب المرأة وحدها بالألم والقلق، إنما الحقيقة المؤكدة انه يصيب أيضا الزوج بكثير من القلاقل والمتاعب النفسية والاجتماعية والصعوبات التي يجدها في إعادة ترتيب حياته من جديد.

وتبدأ الرعاية الواجبة منذ لحظة اختيار شريك أو شريكة الحياة، تلك العملية التي يتعين أن تخضع لبعض القيم والمعايير وان كان التنبؤ بنجاح الزواج أو فشله ما يزال أمرا صعبا بسبب تعقد العلاقات الزوجية وتشابك العديد فيها وتفاعلها مع كثير من المؤثرات المعروفة سلفا وغير المتوقعة ولكن مع ذلك تفيد بعض الأسس والمعايير بصفة عامة جدا مع وجود العديد من حالات الاستثناء.

أسس الاختيار الزواج الصائب:

هناك عدة معايير يمكن أن تتخذ مؤشرا للتكيف الزواجي منها:

١. الاتفاق في العقائد أو المذاهب الدينية.
٢. الاتفاق أو التقارب في المستوى الاقتصادي والتعليمي والثقافي والاجتماعي.
٣. الزواج من أبناء الجنسية الواحدة أو السلالة الواحدة.
٤. الاتفاق أو التقارب في الميول والقيم والمثل والمعايير والعادات والتقاليد والأعراف وأنماط السلوك.
٥. الفهم المتبادل لشخصية كل منهما ودوافعه وميوله واتجاهاته.
٦. وجود قدر معقول من القبول والرضا والعاطفة.
٧. الفهم المشترك لطبيعة الزواج ورسالته وأهدافه وأعبائه وواجباته ومسؤولياته وعوامل المحافظة عليه.
٨. التفاهم أو التقارب بين أسرتي الزوج الزوجة.

٩. التقارب في العمر.

١٠. التمتع بقدر معقول من الصحة العقلية والنفسية والحالة المزاجية إلى الخلو من الأمراض العقلية والنفسية والاضطرابات السلوكية كالشذوذ الجنسي أو الإدمان أو الجنوح والجريمة والعنف والتطرف او العادات السلبية كالإهمال واللامبالاة والتهرب من تحمل المسؤولية والعبث والكسل والتراخي والقذارة وعدم المحافظة على المظهر الهندام، والانفلات وعدم الدقة والتحكم والضبط في السلوك، وفي العواطف والانفعالات أو النهم والطمع والجشع والأنانية والاستحواذ والسيطرة والتسلط والعدوان والغش والخداع والرياء والنفاق والكذب والإسراف الزائد أو البخل والشح والتقتير أو الميل للعصبية وسرعة النرفزة والسب والقذف وتوجيه الشتائم لأبسط الأسباب وإفشاء أسرار الأسرة وعلاقاتها الداخلية أو المباهاة والتظاهر بأكثر مما تحتمل طاقة الإنسان أو قدراته أو الخيانة الزوجية أو وجود خبرات سابقة سيئة عن تجربة الزواج وتكوين الأسرة سواء لدى الزوج أو الزوجة نفسها أو استقاء ذلك من أسرتها كأن تكون أمها قد عاشت مسيطرة ومتسلطة وسبابة شتامة لزوجها في صباها حتى لا تنقل الزوجة الابنة هذه السلوكيات السالبة إلى حياتها الجديدة أو التردد والطمع والجشع والنظر إلى أشخاص آخرين غير الزوج أو الزوجة، ورفض الزوجة استعدادها للعمل والإسهام في نفقات الأسرة إذا كان الزوج في حاجة إلى ذلك.

١١. وجود اتجاه عقلي موال لفكرة الزواج وفلسفته وتقديس الحياة الزوجية وحب الأسرة بافتعال مشكلات وصراعات بين حقوق الرجل وحقوق المرأة في حين انهما شيء واحد وشركاء في الأصل وفي المواطنة وفي الحقوق والواجبات ولا توجد مشكلة تخص المرأة وحدها ذلك لأن المرأة تعيش في أسرة واحدة ومن هنا فإذا كانت تعاني من مشكلة ما فإن الأسرة برمتها تعاني من ذلك والمرأة لا توجد في فراغ لأنها هي جزء لا

يتجزأ من النسيج الاجتماعي الأسري فهي ابنة وأخت وأم وزوجة وجـــدة وعمة وخالة وبالمثل فإن الرجل لا تنفصل حياته عن الأسرة كلها فـهو أب أو ابن أو جد أو زوج في نطاق الأسرة والمجتمع وعلى ذلـــك لا يمكـن الفصل بين ما يخص الرجل وما يخص المرأة ولذلك ليس هناك ما يعـرف باسم أدب النساء مثلا أو مشاكل المرأة أو حقوق المرأة أو مثل ذلك للرجل وحده وإنما هناك مشاكل وآمال وطموحات تخص الأسرة كلها باعتبـــاره وحدة واحدة متفاعلة متكاملة يؤثر بعضها ويتأثر ببعضها الآخر. فـــالرجل من المرأة وإليها والمرأة كذلك فلا بد من ذوبان الفروق بينهما ومنع وقوع الصراعات.

١٢. الميل الأصيل لاحترام الطرف الآخر.

١٣. التمتع بالقيم الروحية والدينية والأخلاقية والتمسك بالمثل العليا.

١٤. الاعتقاد الراسخ بأن أساس قيام العلاقة الزوجية هـــو المـودة والسـكينة والرحمة والعطف والحب والحنان والدفء والتعـاون والأخـذ والعطــاء والاستقرار تلك المبادئ النابعة من تراثنا الإسلامي الخالد كما فـــي قولــه تعالى: { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتســكنوا إليــها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}(الــروم: ٢١) . وفي هذا أبلغ تعبير عن وحدة الأصل والمنبع والاتحــاد والتوحـد المطلق بين طرف العلاقة الزوجية فالمرأة خلقت من نفس الرجل تعبـيرا صادقا وبليغا عن الوحدة الإيمانية من الاتحاد والتقمـص بحيـث يشـعر الإنسان انه وزوجته شيء واحد وجسد واحد وروح واحدة من هنا تختفـي مظاهر ودعاوى الفرقة والانقسام والصراع والمنافسة بين طرفي العلاقـــة الزوجية. كما تعمد إلى ذلك بعض المؤسســات العدوانيــة والصهيونيــة والاستعمارية التي تسعى لخلق الفرقة والانقسام بين الرجال والنساء عمـلا بالمبدأ الاستعماري البغيض "فرق تسد" بين طوائف المجتمع المشكلة.

١٥. الاستعداد لقبول قدر معقول للحد من المشكلات التي قد تنشأ بالضرورة من جراء التفاعل الأسري، ومؤدى ذلك عدم الاعتقاد الواهم بأن الحياة الزوجية المقبلة عبارة عن جنة الله في الأرض وانها حياة حالمة رومانسية غارقة في الرومانسية وتبادل العواطف الحارة، وإنما لا بد من تكوين فكرة واقعية والاستعداد لتحمل قدر من المشاكل الأسرية أو الاختلاف في الرأي. ذلك لأن المشاكل الأسرية لم تخل منها حتى أسر الأنبياء والمرسلين. فالرسول عليه الصلاة والسلام خير زوجاته بين الطلاق والمعيشة الصالحة معه.

١٦. الاهتداء بالهدي النبوي الشريف في حسن اختيار الزوجة والاهتمام، في المحل الأول، بتوفر الجانب الديني والأخلاقي. قال (ﷺ) : "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك" البخاري. وقوله كذلك: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، ألا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" الترمذي.

١٧. النظرة الشمولية والمتوازنة لصفات الزوجة المقبلة أو الزوج فلا يمكن الاهتمام بعنصر واحد وترك العناصر الأخرى وإنما لا بد من التكامل ووجود قدر معقول ومتناغم من هذه السمات على أنها بعضها قد يعوض بعضا إلى حد ما. بمعنى عدم إهمال عنصر الجمال والحسب والنسب أو الوضع الاقتصادي أو الثقافي أو التعليمي وإنما أخذ جميع الظروف في الحسبان.

١٨. توفر عنصر موافقة الأهل أو ولي الأمر.

١٩. وجود قدر من الكفاءة أو التقارب.

٢٠. ضرورة دفع المهر للزوجة[1] .

على أن هذه العناصر لا تحسب بطريقة كمية جامدة وإنما بطريقة اعتبارية.

---

(1) أحمد الخجي الكردي، أثر حسن الاختيار في تخفيف الطلاق، الوعي الإسلامي الكويتية،العدد ٣٧٨،مايو١٩٩٧.

تأثر الاختيار الزواجي ببعض العوامل النفسية:

عملية الاختيار الزواجي لا تسير سيرا موضوعيا جامدا أو لا تخضع للمقاييس الموضوعية الكمية، وإنما تتأثر ببعض العوامل النفسية الشعورية واللاشعورية من ذلك ما يلي:

١- **مبدأ التعويض** Compensation:

حيث يسعى الرجل أو المرأة للزواج لتعويضه عن هذا النقص ؛ عن صفة أو سمة أو قدرة يشعر أنها تنقصه وأن زوجته سوف تعوضه عن هذا النقص، كالرجل الفقير الذي يتطلع إلى الزواج من امرأة ثرية أو ذات حسب ونسب وجاه وسلطان كي يصعد في السلم الاجتماعي أو يجد ما يعوضه عن نقص لديه سواء أكان هذا النقص حقيقيا أو متوهما ولا شعوريا.

٢- **البحث عن التكامل :**

فالرجل المنطوي الخجول المنسحب من معترك الحياة الاجتماعية قد يسعد بامرأة اجتماعية منبسطة قادرة على إقامة علاقات اجتماعية واسعة وعلى تنظيم علاقاته الاجتماعية.

٣- **والرجل الضعيف:**

قد يسعد بامرأة متسلطة أو قوية الشخصية تحمل عنه هموم الحياة وتصد عنه نوائب الدهر.

٤- **والشاب الذي شب على حب أمه :**

والتعلق الأوديبي بها والإعجاب بسماتها وعاداتها وتقاليدها وشكلها قد يتزوج من فتاة تشبه هذه الأم وتحاكيها.

٥- **الشاب الذي رفضته فتاة جميلة فارعة الطول والعرض:**

قد يعمد إلى خطبة من تماثلها شكلا وحجما لكي يثبت لنفسه وأمامها جدارته بها.

٦- **رجل الأعمال والتجارة قليل الحظ من التعليم العالي:**

قد يعمد إلى الزواج من سيدة تحمل أرقى المؤهلات العلمية.

٧- عقدة السيد أو عقدة الخواجا:

قد تدفع بعض الناس كما كان يحدث في العشرينيات والثلاثينيات من هذا القــرن، تدفعه هذه العقدة بالتباهي بالزواج من أرباب الدولة المسيطرة أو الاستعمارية كما حدث في الزواج من أبناء الشعب الإنجليزي أو الأمريكي أو الفرنسي.

٨- ربما يتأثر الاختيار ببعض العوامل السياسية:

كالزواج من دولة أو قبيلة قوية .

٩- قد يعمد الشاب صاحب الشخصية القوية والمسيطرة:

إلى الزواج من فتاة طيعة مسالمة سهلة الانقياد.

١٠- الشخص البخيل :

قد تستهويه المرأة البخيلة مثله والزواج يخضع لكثــير مــن العوامــل المتغــيرة والمتجددة ولا يمكن التنبؤ مائة بالمائة في تكيف الزواج، ولكن على المرء أن يســـعى ويدقق بقدر المستطاع وعلى الله التساهيل.

وتترك الحياة الأسرية بصماتها قوية وراسخة في شخصية الطفــل. ويبــدأ هــذا التأثير منذ اللحظة الأولى لإخصاب بويضة من رحم المرأة بحيوان منوي من الرجــل ويظهر ذلك فيما يعرف باسم العوامل أو المؤثرات الولادية أو الميلادية وهي العوامــل التي تؤثر على صحة الأم الحامل وبالتالي تؤثر في شخصية الجنين وفي نمـــوه وفــي تكوينه الجسمي والعقلي والنفسي من ذلك تعرض الأم الحامل للإشـــعاعات والأوبئــة والتلوث وتناول المخدرات والعقــاقير والأدويــة دون استشــارة الطبيــب وممارســة الرياضات العنيفة والتعرض لبعض الأمراض مثل الحصبة الألمانية والأنيميا أو فقــر الدم وتنافر فصيلة دم الأب والأم والتدخين الكثيف والإدمان والـــولادات المتعــثرة أو الصعبة.

مفهوم العامل الولادي أو الميلادي *congenital*:

سمة أو خاصية أو استعداد أو حالة توجد منــذ ميــلاد الفــرد، ولكنــها ليســت بالضرورة وراثية أي ليست منقولة عبر الجينات *Genes* أو ناقلات الوراثـــة مــن الآباء والأجداد، وهي أيضا ليست مكتسبة أو متعلمة من جراء الاحتكاك والتفاعل مــع

البيئة لأنها توجد قبل ذلك. وقد تكون هذه الحالة موجودة عند الميـــلاد أو حتـــى قبـــل الميلاد، ولكنها ليست بـــالضرورة وراثيـــة أو موروثـــة *hereditary* أو ليســـت بالضرورة فطرية *innate* ولذلك هناك ما يعرف باسم العمى الخلقي أو الـــولادي أو الميـــلادي *congenital blendness* والنقـــص الـــولادي *congenital defect* والتشوه الـــولادي أو الســـمة الولاديـــة *congenital rrait* ومـــن الاضطرابات الولادية فقدان الإحساس بالألم الولادي *congenital analgesia* وهناك الزهري الميلادي *congenital syphilis* وفقدان سماع النغـــم الميـــلادي *congenital tone deafness* وعمى الكلمات الولادي ومن ذلـــك التشـــوهات *Deformites* والنقص أو العجز الميلادي كالعرج والالتواء في الجســـم والصمـــم والعمى، وغير ذلك من العيوب الميلادية ومهما كان حجم الإعاقة فإن المهم هو اتجـــاه الفرد نحوها بالقبول أو التعايش أو الرفض. فإذا قبل الإنسان نواحي الضعـــف عنـــده كان تأثيرها أقل على نموه وعلى شخصيته وسلوكه.

وترجع العيوب الخلقية أو الميلادية هذه إلى وجود تأثير سلبي في مرحلة الحمـــل أو قبل وأثناء ولادة الطفل أي في البيئة الرحمية للمرأة منذ لحظة الإخصاب أو الالتقـــاء بين الحيوان المنوي والبويضة.

ومن العوامل أو المؤثرات الميلادية على الطفل تعرض الأم الحـــامل للحـــوادث والإصابات، وممارساتها للرياضات العنيفة كالقفز في حمامـــات الســـباحة أو ركـــوب الخيل وتعرضها للإشعاع أو أشعة اكس وإلى السموم والاشعاعات المختلفة وكافة أنواع التلوث وتعاطي الخمور والمخدرات والأدوية دون استشارة الطبيب وإصابتها ببعـــض الأمراض وخاصة الحميات والحصبة الألمانية، وتعرضها لأمراض الأنيميا أو فقر الـــدم وسوء التغذية ومن ذلك أيضا زواج الأقارب وتكرار الحمل وكبر أو صغـــر ســـن الأم الحامل وتعرضها للانفعالات العنيفة في أثناء فترة الحمل والولادات المتعثرة واختـــلاف دم الأم عن فصيلة دم ابنها ومن هنا كانت ضرورة رعاية الأم الحـــامل منـــذ لحظـــة الإخصاب.

المخاطر الولادية على الصحة العقلية *Natal hazards* :

قد يتعرض الطفل في أثناء الولادة لبعض المخاطر الولادية وفي الغـــالب مـــا تكون هذه الظروف المصاحبة لعملية الولادة نفسها مسؤولة عن حدوث التخلف العقلـــي البسيط ويمكن تمييز عدة أخطار رئيسة في هذا الصدد منها على سبيل المثال:

١-الولادة المبكرة قبل نضوج الطفل *prematusity*.

٢-اختناق الولادة *Birth anaxia* .

الولادة المبكرة، غالبا ما تؤدي إلى إنجاب طفل قليل الوزن أي أن وزنه عنـــد الميلاد يكون أقل من الوضع السوي ففي الغالب ما يقل وزنه عن (٥, ٥) رطلا ويقـــود صغر الوزن هذا إلى عدة صعاب فيزيقية وعقلية. وعلى سبيل المثال ترتفع في هـــؤلاء الأطفال نسبة الوفيات بما يعادل ٢٥ ضعفا أزيد من الأطفال الأســـوياء. إن أصحـــاب الوزن العادي كذلك نسبة الإصابة عندهم بالصعوبات العصبية تبلـــغ ثلاثـــة أضعـــاف حجمها لـــدى الأسوياء وفي ظل التقدم الطبي الحديث وتوفير الرعايـــة الطبيـــة فـــإن الأطفال المولودين مبكرا يعيشون لسن الطفولة.

وفي دراسة تناولت (٥٥) طفلا كان وزنهم أقل من ثلاثة أرطال عند الميـــلاد، عندما بلغوا سن الخامسة من العمر، كان هناك (٥٨%) منهم كانت نسبة ذكائهم أقل من (٨٠%) و(٣٠%) منهم فقط انتظموا في المدرسة ولكن ما هو السبب في ذلك أو ما هو سبب العلاقة بين قلة الوزن عند الميلاد ومظاهر العجز اللاحقة التي تصيـــب الطفـــل؟ هذه العلاقة ليست واضحة حتى الآن. الأمر الذي يحتاج إلى مزيـــد مـــن الدراســـات والفحوص، ربما يرجع ذلك إلى ضعف الصحة العامة أو ضعف أعضاء جسم الإنســـان عما لو كانت في حالة النضوج الكامل وربما لسهولة الإصابة بالعدوى التي تهاجم جسم الطفل، كذلك في حالة الانوكسيا *anoxia* أي فقدان الأكسجين في جسم الطفل أو فـــي الدم أثناء الولادة *dack of oxygen*. قد يؤدي إلى الإصابة بالتخلف العقلي البسيط *Mental retardation* .

حالة الاختناق هذه قد تحدث من الانفصال المبكر عن الامداد بالدم عن طريـــق المشيـــمة في أثناء عملية الولادة أو من جراء العجز عن التنفس الطبيعي والتلقائي بعد

الميلاد مباشرة.

في الدراسات التي أجريت على القردة تبين أن الاختناق يرتبط بالتدمير الدماغي. الأطفال الذين كانوا يعانون من صعوبات في التنفس أظهروا كثيراً من نواحي الشذوذ العصبي والعجز العقلي أكثر مما ظهر عند جماعات الأطفال الضابطة.

اضطراب *Kernictersus* :

وينتج عن عجز الكبد عن أداء وظائفه بصورة جيدة في الطفل حديث الولادة، ويمكن أن يؤدي إلى التخلف العقلي، عندما تزداد معدلات مادة بيوكيميائية تسمى *bilirubin* في جسم الرضيع تؤدي الى اصفرار لون الجلد، ويعد هذا دليلاً على سوء وظائف الكبد وقد يؤدي ذلك إلى تدمير كبير في خلايا الدماغ وإلى بعض الاضطرابات العضوية وإلى نوبات من الصرع *Epilepsy* إلى جانب التخلف العقلي مع اختلاط الدم أو امتزاجه لذلك يجب تلقّي العلاج الطبي والرعاية الطبية *Blood transfusions* وتعريض الطفل لضوء معين كل ذلك يساعد في هضم مادة الـ *Bilirubin* وهذا الإجراء يقلل من خطورة هذه الحالة.

هذه هي المخاطر المصاحبة لعملية الولادة وآثارها على التخلف العقلي، ولكن هناك مخاطر تحدث بعد ميلاد الطفل *PASTRATAL HAZARDS* فمن الممكن أن تحدث اضطرابات بعد ميلاد الطفل مباشرة، عن طريق عدد من العوامل أو الظروف السببية من ذلك الجروح التي تصيب الدماغ. وتتوقف الأعراض على مدى خطورة التدمير الذي يصيب الدماغ، وكلما كان التدمير شديداً كانت الإعاقة العقلية شديدة. إلى جانب ذلك قد تهاجم العدوى دماغ الطفل بعد ميلاده.

هذا الاضطراب عبارة عن يرقان مواليدي خطير ويطلق عليه يرقان كرنيتي وهو أحد مظاهر احمرارية خلايا الدم في نخاع العظام عند الطفل. وإذا لم يعالج الطفل بعد الولادة، فإنه يعاني من أعراض مثل الارتجاف والتصلب وفقدان الوعي. ونسبة الوفيات عالية بين هذه الحالات إذا لم يتم علاجها. ومن أعراضه الضعف العقلي والصرع وارتعاش الأصابع ويتم العلاج عن طريق نقل دم بدلاً من الدم السالب.

وذلك بالإضافة إلى جروح الدماغ في مرض التهاب الدماغ أو التهاب المخ *Encephalitis* وفيه يصاب الدماغ نفسه بالالتهاب *inflame* في حالة التهابُ الغشاء السحائي *meningitis* وفي هذه الحالة فالأربطة المحيطة بالدماغ وبالحبل الشوكي *Spinal Card* تصاب بالعدوى وكلا الاضطرابين قد يسهما في حالة الشذوذ العقلي *Mental subnormahly* وبسبب طبيعته الفيروسية فإن مرض التهاب الدماغ *Encephalilis* لا يمكن علاجه عن طريق المضادات الحيوية *anitlbiotics* ووجود حالات للتدمير الدماغي المستديم في الحالات شديدة التدهور قد تصل إلى (١) في كل (٣) حالات. أما الحالات الشائعة من مرض *Meningitis* فهي حالة باكتيرية، ويمكن عادة معالجتها بالمعالجات الحديثة. ويفيد في ذلك التشخيص المبكر والمعالجة المبكرة تقلل من احتمال حدوث التخلف العقلي. كذلك فإن الأورام الدماغية *Crenial neoplasms or brain turnours* يمكن أن تورث الإصابة بالتخلف العقلي أو إعاقة الوظائف العقلية وفقدان الرؤية والصداع. ولكن مع الاكتشاف المبكر لمثل هذه الحالات وتقديم المعالجات اللازمة فإن التأثير السلبي لأورام المخ يمكن تقليله إلى أقصى درجة ممكنة.

إلى جانب هذه العوامل الميلادية أو العضوية التي تسهم في الإصابة بالتخلف العقلي، فإن العوامل الاجتماعية والثقافية يمكن أن تسهم في حصول بعض الحالات المرضية أيضاً. من تلك الظروف الاجتماعية والثقافية السيئة فعلى الرغم من ظهور تأثير العوامل الفيزيقية الشاذة في نشأة التخلف العقلي إلا أن مثل هذه الظروف مسؤولة فقط عن ثلث حالات التخلف العقلي وان كان التخلف فيها يتسم بالشدة، وأغلبية حالات التخلف من النوع البسيط، والذي لا توجد له أسباب عضوية، ولذلك فقد وجدت معظم الدراسات في هذا الصدد أن معظم الأسباب هي أسباب نفسية أو أسباب ترجع إلى النظام. من ذلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة. من ذلك ما وجدته إحدى الدراسات الأمريكية أن معدلات الأمية كانت ثلاثة أضعاف مستواها القومي بين الفقراء أو قليلي الدخل الذين قل دخلهم السنوي عن ٣٠٠٠دولاراً أمريكياً. علماً بأن عدم القدرة على القراءة لا تدل في ذاتها على المعاناة من التخلف العقلي، فقد ترجع إلى ظروف

الفقر أو الظروف الأسرية أو عدم الرغبة في استكمال التعليم. ومع ذلك فهي تؤثر على تكيف الفرد وأدائه في المجتمع، كذلك دلت الإحصاءات على ارتفـــاع نســبة التخلــف العقلي في المناطق الحضرية الفقيرة كذلك يرتبط الفقر بضعف الصحـــة الجسـمية أو اعتلالها فلقد وجد أن معظم المخاطر الفيزيقية أو البيئية على نمو الطفل وعلى إصابتــه بالعدوى أو بالأمراض المعدية بعد الميلاد تحدث بمعدلات أكثر بين الأطفـــال الفقــراء وكذلك السيدات الحوامل تتعرض للخطر أكثر من أبناء الطبقات الأخرى من المجتمــع. ذلك لأن المخاطر السابقة على الولادة يمكن تلافيها، إذا توفرت الرعاية اللازمة التي لا تتوفر في الغالب في المناطق المحرومة أو في المناطق الفقيرة، كذلك يصـــاحب ســـوء الصحة أو ضعف الصحة سوء البيئة المنزلية أو الأسرية. بعض أعضاء الأســـرة قــد يكون حاملاً للعدوى، كذلك فإن البيئة المنزلية قد تعاني من الزحام الزائد عن الحــد أو تكون مملوءة بالمخاطر أو قليلة التدفئة أو الإضاءة أو النظافة أو الأثاث وتزيد مثل هـــذه الظروف من إصابة الطفل ومعاناته من التدمير الدماغي من جراء الأمراض الدماغيــة أو الحوادث والإصابات.

كذلك فإن الناس في هذه البيئات قد تحتضن اتجاهات أو مواقف عقلية تؤدي إلى تقليل الأداء العقلي أو الوظائف العقلية لدى أبنائهم فقد تشجع البيئة الســلوك الامتثــالي لدى الطفل دون تشجيعه على الاستجابة للمواقف التعليمية، كذلك فإن الأطفال في هـــذه المناطق لا يكتسبون كثيراً من الخبرات قبل الذهاب للمدرسة أي التربية قبل المدرســية أو التربية المنزلية وقد تكون الأم فاقدة للشعور بأهمية التعليم في حياة ابنـــها أو تكـــون كسولة بحيث لا ترعاه ولا تشجعه ولا تساعده في القيام بالواجبات المنزلية المدرســـية، وقد لا توفر للطفل الظروف الهادئة واللهو في المنزل وقد تشاركه اللعـــب ومشــاهدة التلفاز واللهو وقد يؤثر الأب تشغيل ابنه الصبي فـــي الـــورش والحقــول والمحــلات التجارية نظير أجور سريعة وزهيدة وقد تفتقر البيئة المنزلية إلى المجـــلات والكتــب والمحادثات الذكية والثقافية وقد تتسم الأم بالكسل وإلقاء المسؤولية على الأب أو علـــى المدرسة وما إلى ذلك وقد يضعف اتجاه الأم نفسها نحو قيمة التعليــم وتعتــبره عديــم الفائدة وخاصة إذا كانت هي نفسها قد تعلمت وفشلت في الحصول على ثمار تعليمـــها

ولم تتوظف بشهادتها وعلى ذلك يعاني الطفل من التخلف الدراسي أيضاً. وإذا كانت البيئة المنزلية تلعب دوراً في تمكين الطفل من النمو العقلي ومن الأداء الذهني، فإنه يتعين أن يتوفر للأسرة الإمكانات والتوجيهات والإرشادات التي تساعد في قيام الأسرة الحديثة بمهامها.

وأيا كانت الأسباب التي يرجع إليها التخلف العقلي، فإنه في الإمكان الوقاية من بعضها، ومعالجتها كلها أو على القليل الحد من أضرارها وأخطارها ليتمكن الطفل من استثمار كل ما لديه من قدرات الاستثمار الأمثل وإن كانت محدودة. فهناك مناهج متعددة للعلاج منها العلاج النفسي الفردي والجماعي والعلاج عن طريق ممارسة اللعب وهناك أساليب تعديل السلوك وهناك برامج التعليم والتعليم الخاص أو التربية الفكرية المخصصة للمعاقين. وهناك الإيداع في المؤسسات أو دور الإيواء[1].

العوامل المؤثرة في نمو الطفل :

يتأثر نمو الطفل وشخصيته وسلوكه بثلاث مجموعات من العوامل المتفاعلة والمتشابكة والمتكاملة أو المتنافرة أحياناً وهي :

١-العوامل الوراثية *Hereditary factors* :

ويقصد بها ما ينقل من الآباء والأجداد إلى الأبناء أو الذرية، وذلك عبر الجينات أو ناقلات الوراثة، وتظهر أكثر ما تظهر هذه العوامل الوراثية في لون الشعر وشكله، ولون البشرة وطول القامة، وبناء الجسم، وفي بعض القدرات كالذكاء، فالعوامل الوراثية تؤثر في تكوين الطفل. والحقيقة أن الوراثة تضع الحدود العامة التي تحدد تصرف الإنسان حيال البيئة وكيفية استفادته من الظروف البيئية.

يعني أن الوراثة هي عملية الانتقال من الآباء والأمهات والأجداد إلى الذرية *.The Frans mission from parents to offspring*

والحقيقة أن الخلية المخصبة تستقبل عدداً من الجينات من الأب وعدداً آخر من الأم. ولكن هذا لا يمنع أن السمات الوراثية تتأثر بعوامل البيئة ويحدث نوع من التفاعل

---

(1) عبد الرحمن العيسوي، التخلف العقلي، دار النهضة العربية، بيروت، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية١٩٩٢.

الدقيق بين المؤثرات الوراثية وظروف البيئة الرحمية قبل ميلاد الطفل وبعده.والحقيقة انه لا يوجد سمة وراثية بحتة وأخرى بيئية صرفه، ذلك لأن المسألة مسألة اختلاف في درجة التأثير، وإنما الإنسان في واقع الحال، ابن البيئة والوراثة معاً. ولكن من الأهمية بمكان أن نؤكد أن وجود السمة منذ الميلاد لا يعني بالضرورة انها منقولة عن طريق الوراثة أو انها وراثية. فهناك العوامل الميلادية او الولادية أي التي يولد الإنسان مرورا بأثرها أو يتأثر بها بعد ميلاده مباشرة *congenital Factors* من ذلك الصدمات والإصابات والجروح التي يتعرض لها الطفل في أثناء عملية الولادة ، فهو تأثير ولادي، ولكنه ليس وراثياً. وقد يرث الطفل استعداداً عاماً للإصابة ببعض الأمراض. وفي الآونة الأخيرة أصبح هناك كثير من المحاولات من قبل علماء الهندسة الوراثية في تحسين وراثة الكائنات الحية وتعديل الجينات وتحسينها وتهجينها.

٢- العوامل أو المؤثرات البيئية *Environmental Factors*:

ويقصد بالبيئة كل ما يحيط بالإنسان من ظروف مناخية وتضاريس وحرارة وبرودة ورطوبة وإضاءة وتهوية، وما يوجد في البيئة من تلوث، ومصانع ومبان ومظاهر حضارية وغلاف جوي وضوضاء أو زحام وتكدس، وما يحدث من أحداث ووقائع، وكل ما هو خارج عن الإنسان يقع ضمن بيئته. فهي مجموع أو مجمل الظروف الخارجية تلك العوامل القادرة على التأثير في الكائن الحي. ولكن البيئة تختلف عن المثيرات التي تثير الفرد، ذلك لأن هناك بعض المثيرات الداخلية في داخل الفرد ذاته. ويمكن تمييز شقين للبيئة هما:

أ) البيئة المادية أو الجغرافية أو الفيزيقية، وتشمل الموقع والتضاريس والطقس والمصانع والمباني وما إلى ذلك.

ب) البيئة الاجتماعية وتشمل جميع الجماعات البشرية التي تحيط بالفرد وأهمها جماعة الأسرة ثم جماعة الأقران أو الزملاء أو الأنداد وجماعة العمل والدراسة والجيرة، وكذلك تشمل العادات والتقاليد والأعراف والمثل والمعايير والقيم واللغة والدين والمبادئ والقوانين وما إلى ذلك مما يندرج تحت مضمون الثقافة العامة والمحلية للفرد.

فالبيئة المؤثرة في الطفل وفي الراشد الكبير تشمل ظروف التربية والتنشئة الاجتماعية وظروف التغذية والتدريب والتطعيم أو التحصين ضد الأمراض المختلفة، والتعرض للأمراض والأوبئة والمخاطر المختلفة، والفقر والحرمان والفشل والإحباط والقسوة والعنف والإهمال والنبذ للطفل والطرد والتشرد، وأقران السوء والتعرض للحوادث والإصابات والعاهات، ويميل علماء النفس والتربية إلى التركيز على العوامل البيئية، وذلك لإمكان التحكم فيها وتعديلها وتحسينها بالنسبة للطفل أو نقله من بيئة غير مؤاتية إلى أخرى، أما الوراثة فإن التأثير فيها ما يزال محدوداً للغاية.

يضاف إلى ذلك إلى أن البيئة تؤثر حتماً في السمات والصفات والقدرات المحددة أصالة وراثياً. وعلى ذلك فإن الوراثة تعطي المادة الخام أو الأصول الأولى أو البذور أو الجذور أو الإطار العام التي تتولاها البيئة إما بالتنمية والصقل والتهذيب والازدهار، واما أن تصيبها بالطمس والذبول والاضمحلال والتلاشي والضياع. كذلك فإن البيئة هي التي تحدد المسار أو الطريق الذي تتخذه القوى أو القدرات الوراثية، فهي التي ترشد استخدام واستثمار ما لدينا من قوى وقدرات موروثة.

فالذكاء مثلاً قدرة فطرية وراثية، ولكن توظيفه واستثماره واستخدامه واستغلاله يخضع لظروف البيئة والتوجيه والإرشاد، فإما أن يتجه هذا الذكاء إلى العلم والنبوغ في العلم أو الفن أو الأدب والاختراع والإبداع وإما أن يتجه نحو الجريمة والجنوح والانحراف. وبالمثل فإن سلوك الجنس أو سلوك تناول الطعام بل حتى الإخراج وقضاء الحاجة تتناوله البيئة والتربية بالصقل والتهذيب والارتقاء به حضارياً. فالطفل يأكل بفعل دافع غريزي، ولكنه يأكل ملتزماً بآداب المائدة، أو يتعلم كيف يطهو الطعام ولا يأكله نيئاً. والدافع الجنسي فطري في طبيعته، ولكن إشباعه يخضع لقيود الدين وضوابط المجتمع وقيمه فلا يباح إلا في الحلال وبعد الزواج الشرعي.

٣- مجموعة العوامل الميلادية *Congenital Factors* :

وهي العوامل التي تؤثر في صحة الأم الحامل في أثناء فترة الحمل وفي أثناء عملية الولادة، كالتعرض للأشعة والتلوث أو إدمان الأم الخمور والمخدرات أو الولادة المتعثرة أو تعاطي الأم الأدوية والعقاقير دون استشارة الطبيب أو ممارسة الرياضة

العنيفة أو التعرض للأمراض مثل فقر الدم والحمى أو حتى التعـــــرض للانفعـــالات الحادة والعنيفة أو إصابتها ببعض الأمراض كالبول الســكري أو اختـــلاف فصيلـــة دم الأب عن الأم من حيث السالب والموجب وما إلى ذلك.

التفاعل بين هذه العوامل :

على أن هذه العوامل لا يعمل كل منها منعزلاً أو مستقلاً عن غيره من العوامل، وإنما يقوم بينها علاقات تفاعل أي أخذ وعطاء وتأثير، أو تأثير متبادل بيـــن العوامـــل الوراثية والبيئية والميلادية. فيحدث تأثير متبادل.

Mutual or reciprocal in fluence two or more system (English 270).

الوعي السيكولوجي والحياة الحديثة

دور علم النفس في الحياة المعاصرة :

في كل يوم تتسع آفاق علم النفس الحديث ورحابه، وخاصة في جوانبه التطبيقية والعملية، لتشمل مجالاً جديداً من مجالات الحياة العصرية، فإلى جانب فروع هذا العلـــم التقليدية كعلم النفس الاجتماعي والصناعي والتربوي والمهني والفسيولوجي والإكلينيكي والمرضي أو علم نفس الشواذ وعلم نفس الإرشاد، وعلم نفس النمو، وهناك بوادر لعلـــم النفس البيئي والهندسي والمعماري والقانوني والقضائي والعمالي والإداري والجنـــــائي والعسكري، إلى جانب عمليات فنية تقنية، كالقياس والتقويم، ودراسات الشخصية، وعلم النفس التجاري والسياسي والسياحي والإعلامي.

وعما قريب نتوقع أن يفرد علم النفس فرعاً من فروعه لكل مجال من مجـــالات الحياة العصرية، فيصبح هناك علم نفس التلوث وعلم النفس الاقتصادي وعلـــم النفـــس التنموي والجمالي والفني والأدبي وما إلى ذلك.

وإذا كنا نعيش في عصر العلم والمنهج العلمي، فإننا يجب أن نعتمد على العلـــم والمنهج العلمي في حل كل ما يواجهنا من مشكلات وفي تحقيق كل ما نصبو إليه مـــن غايات، وأمام تعقد الحياة الحديثة وصعوبة التكيف وإياها، تصبـــح هنـــاك ضـــرورة

لتعيين أخصائي نفسي مؤهل ومدرب تدريباً جيداً ليعمل في كل تجمع بشري كالنـــادي والمحكمة والمصنع والبنك والمدرسة والكلية وما إلى ذلك، ليقـــدم الخدمـــات النفســـية والرعاية النفسية لكل من يحتاج إليها، وقاية وعلاجاً وتشخيصاً.

بل إن القادة وما يصدرونه من قرارات حاسمة وذات أثر ســـيكولوجي عميـــق على نفسية أبناء المجتمع، يحتاجون إلى وجود مستشارين من علمـــاء النفـــس لتقويـــم القرارات والمشروعات والسلوكيات قبل وبعد صدروها لتحاشي الآثار النفسية الســالبة، ولضمان تكوين اتجاهات إيجابية لكفالة تنمية روح الوطنية والتضحية والفداء والانتمـــاء الوطني والإسلامي.

والحقيقة أن علم النفس لم يعد قاصراً على تقديـــم خدماتـــه العلميـــة والمهنيـــة للطوائف أو الفئات الشاذة في المجتمع الحديث كالمجرمين والجانحين وضعاف العقـــول والمرضى العقليين والنفسيين وأرباب الاضطرابات السيكوسوماتية، وحســـب ، ولكـــن نشاطه امتد ليشمل كل مجالات الحياة العصرية كالتعليم والصناعة والتجارة والسياســـة والسياحة والفندقة والحرب والسلام والتنمية والإدارة والإعلام وما إلى ذلك.

بل لقد وجد أن الأسوياء من الناس يحتاجون للخدمات النفســـية كمـــا يحتاجـــها المرضى والشواذ.

ففي دراسة أمريكية على مجموعة سوية من طلاب الجامعـــة مـــن الأصحـــاء جسدياً، طلب منهم الباحث أن يدون كل من لديه مشكلة أو مسألة يريد أن يتحدث فيـــها مع الأخصائي النفسي، وكانت المفاجأة أن الغالبية العظمى دونت أسماءها طالبةً مقابلـــة الأخصائي النفسي أو أخصائي الإرشاد للتحدث عما يعانون منه من المشكلات النفســـية والأسرية والتعليمية ..الخ.

ولنا أن نتوقع مثل هذه النتيجة وما يتجاوزها إذا سألنا مجموعة من العمـــال أو الموظفين الكادحين أو الجند أو الفلاحين أو غيرهم ممن يتحملون أعباء الحياة الحديثـــة ومشاقها.

ونظراً لاتساع دائرة المشاكل والأزمات والتوترات النفسية في كل مكان، فإنـــه يتعين فتح مراكز للبحث النفسي لدراسة مسائل مثل الجريمـــة والجنـــوح والانحـــراف

والإدمان والتطرف والإرهاب والغلاء ومشاكل أخرى كالسلبية واللامبالاة ، وعدم تحمل المسؤولية، والمشكلة السكانية من جوانبها النفسية، ومشاكل التعليم والدراسة والقبول بالجامعات والبطالة ومشاكل الأسرة والشباب والمراهقة والشيوخ، وما إلى ذلك كإنشاء مراكز للتوجيه المهني والتدريب المهني تقوم على أسس سيكولوجية وعلمية.

يخدم علم النفس أو بالأحرى، في الإمكان أن يخدم في جميع مجالات الحياة العصرية، ولنسوق على ذلك مثالاً: دوره في مجال دراسة الجريمة وتفسيرها والوقاية منها ومكافحتها والتعرف على دوافعها وأسباب حدوثها.

دور علم النفس في مجال الجريمة:

يهتم علم النفس بدراسة السلوك السوي منه والشاذ، وعلى وجه الخصوص يهتم أحد فروعه الحديثة بدراسة الجريمة وهو علم النفس الجنائي الذي يهتم بدراسة الجريمة وأسبابها، وشخصية المجرم، وسماته، فيبين أنواع الجريمة باعتبارها ظاهرة نفسية واجتماعية، وليس باعتبارها كما يعرفها القانون، ظاهرة قانونية استناداً إلى النص القائل بانه لا جريمة بلا نص، فإذا لم ينص في قانون العقوبات في مجتمع ما في حقبة ما، على أن سلوكاً معيناً مؤثماً أو معاقباً على فعله، فلا جريمة في الأمر، فالجريمة نسبية لاختلافها باختلاف الزمان والمكان، وهي شخصية فلا يسأل عنها فاعلها أو محرضة.

وتختلف الجرائم شدةً وبساطة، ولذلك تقسم إلى مخالفات وجنح وجنايات ولا شك أن للجريمة أسباباً نفسية شعورية أي يعيها الفرد ويفطن إليها ويدركها، وأسباباً أخرى لا شعورية، لا يعيها ولا يدركها ولا يعترف بها لنفسه أو لغيره، وهناك أيضاً العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والوراثية أو العضوية التي تلعب أدواراً متفاوتة في حدوث الجريمة.

تفسير الظاهرة الإجرامية:

وإذا كان هناك في التراث العلمي محاولات لتفسير السلوك الإجرامي، بإرجاعه إلى عامل واحد كالوراثة أو العوامل العضوية أو التكوينية أو الجبلية فإن

الاتجاه المقبول الآن هو الاتجاه المتعدد العوامل النابع من النظرة الشمولية ولقد فشل القول بعامل واحد في تفسير الظاهرة الإجرامية، سواء أكان هذا العامل نفسيا شعوريا أم لا شعوريا أم كان اجتماعيا أم اقتصاديا.

الاتجاه المقبول ، إذن: هو النظر للجريمة نظرة شمولية في ضوء العوامل السببية المتعددة وهي:

أ) العوامل الوراثية أي ما ينتقل للإنسان من سمات وصفات وخصائص وقدرات وميول من آبائه وأجداده عبر ما يعرف باسم ناقلات الوراثة أو الصبغيات أو الجينات ويؤيد هذا الرأي ما يلاحظ من تشابه السلوك الإجرامي لدى الآباء والأبناء، أو عبر أجيال متعددة من أسر بعينها. وتزايد هذا التشابه أو ذلك الارتباط كلما زادت درجة القرابة.

والقول بالوراثة ، وحدها، يغلق الأبواب ويوصدها أمام البحث عن أسباب أخرى، ويغل أيدينا عن محاولة الإصلاح والتعديل والتأديب والتهذيب ما دام الأمر مقدرا وراثيا. اللهم إلا ما يسعى إليه فرع جديد من العلوم البيولوجية وهو "الهندسة الوراثية"، إذ يحاول هذا الفرع تحسين السلالات عن طريق تحسين الوراثة أو الجينات والتخلص من الجينات الضعيفة.

ب) العوامل البيئية المسؤولة عن حدوث الجريمة والجنوح والانحراف، ومن ذلك خبرات الفشل والإحباط والحرمان والقسوة والطرد والنبذ وانعدام الرعاية والإشراف والرقابة الأبوية واختفاء القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدى به، وتوفر أقران السوء أو رفقاء السوء، والحياة في محيط أسري محطم، من جراء الطلاق أو الانفصال أو الهجر أو موت أحد الآباء أو كليهما، والتنشئة النفسية والاجتماعية غير الصالحة، والتعرض للأمراض والحوادث والإصابات، ونقص التغذية وما إلى ذلك مما يحيط بالفرد بعد ميلاده من عناصر البيئة بشقيها: المادي الجغرافي أو الفسيزيقي، والمعنوي أو الاجتماعي أو النفسي، كالنظم والعادات والتقاليد والثقافات الفرعية التي قد تقبل الإجرام وتشجعه مثلا.

ج) مجموعة العوامل الميلادية، وهي تلك التي لا تنتمي إلى البيئة، لأنها ليست مكتسبة من البيئة التي يعيش الفرد في كنفها ويتفاعل وإياها، وليست وراثية أو منقولة من الآباء والأجداد ولكن الإنسان يولد مزوداً بها أو يصاحبها عند الميلاد، من ذلك ما يلقاه الجنين من صعوبات في الولادات القيصرية أو المتعثرة، كالاختناق أو تدمير بعض خلايا الدماغ أو نقص امدادات الدم والأكسجين إلى دماغ الطفل أو تعرض دماغ الطفل للأذى من جراء ما قد يستخدم من آلات لجذبه من الرحم.

ومعلوم أن رحم الأم إن هو إلا بيئة يعيش فيها الطفل، ولذلك يتأثر بما يقع من حوادث، وإصابات وما تتعرض له من السموم، أو ما تتعاطاه من أدوية أو عقاقير دون استشارة طبية، وما يعتريها أو ينتابها من نوبات الانفعال الحادة، وما تصاب به من أمراض كالحصبة الألمانية، التي وجد أنها تصيب الطفل بالتخلف العقلي إذا أصيبت بها الأم الحامل. كذلك قد يؤدي اختلاف فصيلة دم الأم والأب إلى تكوين أجسام مضادة في جسم الطفل مما يعرضه للإصابة بالصفراء أو فقر الدم، وذلك إذا كانت فصيلة دم الابن مختلفة عن فصيلة دم الأم الحامل.

ومن الناحية الوصفية والواقعية يمكن أن نتصور المعادلة الآتية في تلخيص أسباب نشأة السلوك الإجرامي أو الانحراف أو الإصابة بالمرض. وتأخذ هذه النظرة في الحسبان، مقدار مقاومة الفرد وقدرته على تحمل ما يسقط فوقه من ضغوط وما يتعرض له من احباطات إلى جانب عاملي البيئة والوراثة، وضرورة مرور فترة زمنية طويلة نسبياً يكون الفرد فيها معرضاً لسقوط الضغوط عليه. فالمؤثرات العارضة الوقتية يزول أثرها بزوالها، فضلاً عن علاقة التفاعل أو التأثير والتأثر أو التأثير المتبادل بين عناصر هذه العوامل السببية، فهي تؤثر وتتأثر ببعضها بعضاً. وعلى ذلك يمكن وضع المعادلة الآتية تفسيراً للسلوك الإجرامي:

$$\text{السلوك الإجرامي} = \frac{\text{الوراثة} \times \text{البيئة} \times \text{فترة زمنية}}{\text{المقاومة}}$$

ويتناول علماء النفس دراسة عوامل فرعية في تفسير الجريمة وحدوثها من ذلك نزعة استهداف الجريمة. فإذا كان هناك في الحقل الصناعي نزعة استهداف التورط في الحوادث بين العمال، وهي عبارة عن ميل لا شعوري للتورط في الحوادث وإصابات العمل، فبالمثل هناك نزعة "انحراف التورط في الجريمة لأسباب لا شعورية تكمن في اللاشعور".

وترتبط الجريمة بظواهر أخرى شتى ، من ذلك: الفقر والإدمان والغلاء والبطالة والتطرف والظلم الاجتماعي، حيث يفقد الإنسان وعيه وإدراكه، ومن ثم يتورط في الجريمة أو تدفعه الرغبة في إشباع حاجة إلى الإدمان، وهي حاجة باهظة التكاليف، إلى السرقة أو القتل أو الاتجار والجلب في مجال المخدرات، وبذلك يتحول من مجرد مريض مدمن إلى مجرم يقف في مواجهة القانون فالإدمان يصاحبه حالة من فقدان الوعي أو البصيرة والإدراك، ولذلك قد يتورط الفرد في الجريمة. ومن هنا تبرز دراسات العلاقة بين الجريمة والإدمان، ظاهرة الإدمان التي يزداد انتشارها في هذه الأيام مواكبة مع تزايد الجريمة والإرهاب والانحراف عموماً، هذه الظاهرة يكشف تحليلها عن عدة عمليات تتمثل في :

أ) الاعتماد المتزايد للجسم وخلاياه ووظائفه على تناول العقار المخدر وتوقف هذه الوظائف إذا لم يتوفر العقار فيما يُعرف باسم "الاعتمادية"، ولا يختلف أمر الاعتماد هذا سواء كان الإدمان نفسياً أم فسيولوجياً فكلاهما يدفع لقهر الإنسان وعبوديته للمادة المخدرة.

ب) "الاحتمالية" أي قدرة الإنسان المتزايدة على احتمال الأثر المخدر للعقار أو الأثر التسممي للعقار المخدر، زيادة القدرة على تحمل كميات متزايدة بالتدريج على ذات العقار لإحداث نفس التأثير التخديري، ولذلك يحتاج المدمن لجرعات متزايدة من العقار، جرعات تأخذ في التزايد باستمرار، مما يعرضه للوفاة أو الجنون.

ج) "الانسحابية" وتتمثل فيما يعاني منه المدمن في حالة انسحاب العقار المخدر من بين يديه وعجزه عن تناوله، ولذلك يعاني من جملة أعراض بالغة الشدة والقسوة والألم والتعاسة والاكتئاب كتقلص العضلات وتشنجها، والرشح واحمرار العينين، والهلاوس والضلالات وفقدان الشهية وما إلى ذلك من الأعراض التي تنجم عن انسحاب العقار، وعدم قدرة المدمن على تناوله. ولذلك ليس غريباً أن يجعل علم النفس من بين اهتماماته قضية الإدمان وأثرها في تفشي الجريمة والدعارة وغير ذلك من ضروب الجنوح والانحراف والشذوذ الإداري، كالرشوة والاختلاس والتزوير والتزييف وما إلى ذلك من انهيار أسرة المدمن وفقدانه لوظيفته ومكانته وصداقاته وكرامته وسمعته. ولذا كان علم النفس الجنائي يدرس العلاقة بين الجريمة والجنون مبرزاً الجوانب الشاذة من الجريمة، وخاصة جرائم الاغتصاب، وهتك العرض، والسرقة القهرية، أو ما يعرف اصطلاحاً باسم هوس السرقة أو الولع باضرام النيران أو هوس الحريق، وغير ذلك من مظاهر الشذوذ الجنسي كالجنسية المثلية وجرائم الخطف والهيام بالأطفال وبجثث الموتى والسادية والماشوسية والفيتشية والتلصص الجنسي والاستعراء الجنسي وما إلى ذلك، فإذا كان الأمر كذلك، فإنه يدرس أيضاً أثر الذكاء أو الضعف العقلي في الجريمة، ومدى احتمالية تورط ضعاف العقول في جرائم كالدعارة والتسول والتشرد والسرقة والنشل وارتباط نمط آخر من الجريمة بالذكاء المرتفع كجرائم التزوير والتزييف والتجسس والجرائم السياسية وجرائم السرقات الكبرى التي تحتاج إلى تخطيط ودرجة عالية من الذكاء.

ويهتم علم النفس الجنائي بمدى إمكان تقدير الاعفاء من المسؤولية الجنائية لمن يرتكب فعلاً مجرماً وهو في حالة فقدان الوعي أو التمييز بين الصواب والخطأ أو الحلال والحرام أو لا يعلم إطلاقاً طبيعة ما يقوم به من أعمال كما هو الحال في حالة الذهانات العقلية الحادة، حيث يكون الإنسان في حالة يشبه فيها الحيوان الأعجم.

وفي هذا الصدد يتناول علم النفس أيضاً موضوعاً طريفاً وهو موضوع الشخصية السيكوباتية، وإلى أي مدى يمكن أن يتورط صاحب الشخصية السيكوباتية في الجريمة والجنوح والانحراف، وعما إذا كان في الإمكان إعفائه من المسؤولية الجنائية. ويمتد اهتمام علم النفس فيدرس المسؤولية العقلية عموماً قبل أن يقرر المسؤولية الجنائية.

النزعة السيكوباتية :

معروف ان السيكوباتية هي : اضطراب من اضطرابات الشخصية يعاني صاحبه من ضعف الضمير، وعدم الإحساس بالمسؤولية، وعدم الرغبة في تحملها، ويمتاز الشخص السيكوباتي بعدم الإحساس بالذنب أو بتأنيب الضمير بعد ارتكاب الأعمال غير الخلقية، كما انه لا يستفيد من تجاربه في الماضي، بل حتى لا يستفيد من العقاب، ويمتاز بالعدوان والرغبة الجامحة في إشباع دوافعه على حساب الآخرين، ولا تؤثر حالة السيكوباتية على ذكاء المصاب، ولذلك نجد كثيراً منهم يشغلون مناصب لا بأس بها، ولكنهم يتورطون في جرائم تحتاج إلى قدر أكبر من الذكاء، كالنصب والاحتيال والتزوير والتزييف. وترجع إصابة هؤلاء إلى عدم نمو الضمير الخلقي نمواً طبيعياً لانعدام الرعاية والإشراف الأبوي، وغالباً ما نجد هؤلاء بين جناح الأحداث ومحترفات الدعارة، ويعجز المريض عن ضبط وقمع الدوافع المضادة للمجتمع والمضادة للقيم الخلقية.

وقد تكون السيكوباتية أحد دوافع الجريمة. وفي الآونة الأخيرة ظهرت الحاجة إلى دراسة ظواهر مثل التعصب والتطرف والعنصرية والتمييز العنصري والتسلط والدكتاتورية وما إلى ذلك من ظواهر العصر.

تعريف التعصب:

فالتعصب : يعني نوعاً من العقيدة أو الحكم موالٍ أو مضاد لشيء أو شخص أو جماعة أو لمبدأ أو فلسفة أو جنس معين، كالتعصب العنصري على شرط ألا يكون على أساس أدلة صحيحة، وليس من السهل تعديله أو تغييره بتوفير الأدلة المضادة، وقد

يوصف بانه اتجاه أو عاطفة تجعل الفرد يميل لفعل، أو التفكير أو الإدراك أو الشعور إزاء الناس الآخرين بطريقة غير موالية أو موالية[1].

فالتعصب، اعتقاد لا تسانده الأسس أو البراهين أو الحقائق، وهو بذلك يختلف عن الاتجاه العقلي الذي يتوفر فيه عنصر معرفي من بين مقوماته إلى جانب الوجدان أو الشعور والسلوك. ومن المفاهيم المهمة التي يلزم الوعي بها في هذه الأيام مفهوم التطرف.

سمات شخصية المتطرف *Extremist* :

يشير إلى الشدة أو المبالغة أو الصرامة أو الإفراط والمغالاة والذهاب في أي موضوع أو في السلوك إلى أقصى الأطراف أو الذهاب إلى أبعد الحدود أو الوصول إلى نهاية الطرف الآخر أو البلوغ إلى الدرجة القصوى في السلوك أو في الاتجاهات والعقائد والآراء والأفكار، واتخاذ أو انتهاج الإجراءات المتطرفة. والشخص المتطرف يطلق عليه أحياناً الشخص الراديكالي والراديكالية تنبئ بحدوث هلاك قريب.

والتطرف لغة معناه: تجاوز حد الاعتدال والتوسط، ولذلك لا تطرف في الإسلام بل وسطية واعتدالية. وقد يكون التطرف في الأمور السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية. والتطرف قد يكون فردياً بمعنى قيام فرد واحد بممارسته، وقد يكون جماعياً تمارسه جماعة من الناس أو طائفة من الطوائف.

والشخص المتطرف جامد الفكر متصلب الرأي، حاد المزاج، ضيق الأفق، يتشبث برأيه ويرفض الحوار فيه، ويتمسك بوجهة نظره وان كانت خاطئة أو لا تساندها الأدلة والوقائع والبراهين. والمتطرف بعيد عن الواقع والواقعية ويؤمن بالأفكار الجامدة الصماء التي يعتبرها مطلقة وصادقة ولا تقبل الجدال أو التعديل أو التحوير.

والمتطرف منعزل يعيش في عالمه المغلق على ذاته، لا يقبل النقد ولا يحتمله، فضلاً عن بعده عن الامتثال لقيم المجتمع ومثله ومعاييره وتقاليده السائدة ، ومن ثم لا

([1]) عبد الرحمن محمد العيسوي، النمو الروحي والخلقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، ١٩٨٠.

يدين بالولاء أو الطاعة أو الالتزام.

والمتطرف يبتعد عن المرونة الذهنية ولا يؤمن بالأخذ والعطاء وتبادل الـرأي والمشورة والحوار. والمتطرف تفكيره ليس تفكيراً علمياً لأن العلم يؤمن بالديناميـة والتغير، والتطور، ونمو الأفكار، وتعديلها وفقا لتغير الحقائق الواقعة، ووفقاً لما تظـهره التجربة والقياس، وفي العلم، الكلمة الحاسمة للتجربة.

والمتطرف شخصية متسلطة تريد أن تفرض رأيها، ولو بالقوة، وتعتقد انها على صواب، وأن جميع الناس على خطأ.

والتطرف إما أن يذهب إلى أقصى اليمين أو إلى أقصى اليسـار فـي الأمـور السياسية أو الثقافية أو العنصرية أو العرقية والسلالية. مثل هذا الجنـوح اليسـاري أو اليميني يخلق بطبعه علاقة عداء مع المجتمع، وتصادم معه، لأن المجتمع دائماً يؤمـن بالتوسط والاعتدال.

والمتطرف يسعى لفرض آرائه، وهو في سبيل ذلك قد يعتدي ويرتكب الجرائم، ويسلك سلوكاً مضاداً للمجتمع. والمتطرف يريد أن يقهر الجماعة،وأن يخضعها لرأيـه. ولا يؤمن المتطرف بالقول المأثور المنحدر إلينا من الفلسـفة اليونانيـة القديمـة بـأن "الفضيلة وسط بين طريقين كلاهما: رذيلة أو إفراط وتفريط". فالزيادة عن الحد سلباً أم إيجاباً تنقلب إلى ضدها. والتطرف مقضي عليه لا محالة ويتضمن ذاتياً عناصر فنائه.

ويهتم علم النفس الجنائي بدراسة شهادة شهود العيـان وما قـد يعتريـها مـن عوامل الخطأ الشعوري أو اللاشعوري، ونزعة الإنسان لاستكمال الفجوات التي تقع في تذكره وفي إدراكه وما تتعرض له شهادة الشهود من تأثير النسيان والنزوع إلى مـلء الفجوات من عندياته، وغير ذلك مما يعرف باسم عامل الإغلاق في الإدراك الحسـي. ويدرس علم النفس تلك الدراما التي تدور في رحاب قاعات المحكمة ومـا فيـها مـن مؤثرات تتناول المتهم والدفاع والقضاة والمدّعين. والرأي العام وأثره في اتجاه الدعوى القضائية، وكيفية التأثير في القضاة وإقناعهم، وجذب انتباههم، وترتيب الأدلة، بحيـث تؤتي ثمارها المرجوة وتستخدم بعض التقنيات الفنية في مجال الجريمة والقضاء، منـها كشّاف الكذب للتحقق من مدى ارتكاب المجرم للجريمة المنسوبة إليه من عدمه وتقـوم

فكرته على قياس التغيرات الكهربائية التي تطرأ على سطح الجلد لدى المتهم نتيجة لما يعتريه من العرق وزيادة قطراته على سطح الجلد.

هذا العرق الذي يزداد نتيجة للكذب ومن ثم وخز الضمير عندما يسأل المحلل المتهم بعض الأسئلة أو يسرد عليه بعض الكلمات المتعلقة بالجريمة وظروفها وملابساتها ودوافعها ومكان حصولها والأداة المستخدمة فيها وأسماء الضحايا.

على أن النتائج المستمدة من كشاف الكذب لا يعتد بها إلا كقرينة فقط والا إذا قام بتشغيل هذا الجهاز أخصائي مدرب ومؤهل تأهيلاً يطمئن إليه.

هذا ولا تقتصر الدراسة في علم النفس في مجال الجريمة على الجوانب العملية التطبيقية أمام المحاكم وهيئات التحقيق، ولكن لهذه الدراسة جوانبها النظرية.

فيرتد إلى الوراء ليدرس تاريخ تفسير الجريمة ويتناول نظريات كنظرية (لامبروزو) وقوله بأن المجرم مولود مجرماً وقوله بالانحطاط التكويني للمجرم. وغير ذلك من النظريات العضوية أو الفيزيقية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية ودراسة العوامل التي تدفع للسلوك الإجرامي.

ومن ذلك فرض الإحباط ومؤداه أن تعرض الفرد لمواقف الفشل، والإحباط هو الذي يدفعه للسلوك العدواني، ومنه الجريمة والانحراف والجنوح والإرهاب.

ولذلك فمن الأهمية بمكان أن تتغير نظرة المجتمع للمذنب من كونه مجرماً إلى كونه مريضاً يحتاج إلى العلاج وإعادة التأهيل التدريب، بحيث يعود بعد قضاء العقوبة عضواً نافعاً في المجتمع.

ومن هنا تبدو الدعوة لاستخدام العلم في مقاومة موجات الإرهاب الحالية ومكافحته والوقاية مستقبلاً من شره وحماية الشباب من التورط والسقوط في مستنقع الإرهاب السحيق. ترى كم نحن في حاجة إلى الوعي السيكولوجي والثقافة السيكولوجية في هذا العصر بالغ التعقيد والصعوبة؟

هذا مجرد مثال واحد للفكر السيكولوجي والعلاج السيكولوجي في دراسة ظاهرة كالإجرام والإرهاب والجنوح والانحراف، وكيف يتم تطبيق المئات من المبادئ والقواعد والأسس العلمية والتقنيات الفنية في هذا العلم الناشئ الفتي.

الأسباب المؤدية للتصدع الأسري

- أسباب الطلاق: " دراسة ميدانية ".
- تأثير الطلاق على الصحة العقلية والنفسية للأطفال.
- الصحة العقلية والظروف الزواجية.
- سبل الوقاية من التصدع الأسري.
- ضرورة فض المنازعات الأسرية.
- العوامل النفسية في تجربة الطلاق.
- هل من مصلحة الأسرة المصرية الحديثة تعقيد روابطها ؟
- المرأة المسلمة في إعدادها الروحي.

أسباب الطلاق

دراسة ميدانية

ما من شك في ان الطلاق قد يكون ضرورة في بعض الحالات التي تسوء فيها العِشْرة ويستحيل فيها التفاهم بين الزوجين ولكن بدون شك ان معظم حالات الطلاق تعود الى عدم توفر الاسس والمقومات التي بني عليها الزواج والتي يمكن ايجازها في الآتي:

١-عدم التوافق الجنسي بين الزوجين مما يؤدي الى ازدياد درجة الخلافات ووصولها الى نقطة يصعب معها التوفيق ويصبح لا مناص من حل رابطة الزواج.

٢-الحب الرومانتيكي الذي يسبق الزواج والذي يشترط الوقوع فيه عدد كبير من الشباب كشرط جوهري للزواج ومن المعروف ان كثيرا من المحبين لا يخططون لمستقبل علاقاتهم تخطيطا واقعيا وعندما يصطدمون بضرورات الحياة ومشقاتها يصعب عليهم التكيف ويدركون انهم خططوا لمستقبلهم على أساس غير سليم.

٣-اختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي قد يكون عاملا في المدى القصير او الطويل في حل رابطة الزوجية لان الأسرة وهي جماعة تقوم على التعاون المتبادل لا تستمر طويلا مع وجود فوارق يحسها الزوجان باستمرار.

٤-وهناك أسباب اقل أهمية تعجل بقرار الطلاق في بعض الحالات من اهمها[1]:

* عدم صلاحية احد الزوجين او كلاهما أصلاً للحياة الزوجية وقد يرجع عدم الصلاحية الى أسباب جسمية او عدم النضج الاجتماعي والنفسي، كفساد أخلاق أحد الزوجين، او جنونه او فقده لمقومات جنسية.

* سوء اختيار الشريك وعدم توفر التكافؤ في المستويات والميول والاتجاهات وخاصة بسبب وجود فارق سن كبير بين الزوجين مما يؤدي لتباعد الميول مما يسبب الفشل.

---

[1] - علي الدين السيد محمد، الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية، ط ١١، بدون ناشر القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٧٨.

* العقم او الإصابة بالأمراض السرية التي تسبب الإجهاض المستمر وعدم الانسجام الجنسي.

* عدم كفاية الدخل او عدم اتباع الكياسة في الانفاق فقد يهمل رب الأسرة أسرته وينفق معظم دخله على ملذاته الخاصة ويترك شئون المنزل بدون انفاق مما تضطر الزوجة للشكوى وبالتالي تسوء العلاقة بين الطرفين او تكون الزوجة مسرفة ازيد من اللازم.

* تدخل الأهل في شئون الزوجين، فما زالت الحماة تغار على ابنها من زوجته بدوافع نفسية، مما يؤدي الى متاعب للزوجين. كذلك تدخل ام الزوجة في شئون ابنتها وزوجها مما يؤدي الى ان تسوء العلاقة بين الزوجين، ويزيد من هذه المشكلة وجود الزوجين في سكن مشترك مع الأسرة القديمة.

* القسوة وسوء المعاملة خاصة بالنسبة للزوج تجاه زوجته وفي الغالب تكون القسوة وسوء المعاملة مظهرا لدوافع سلوكية أخرى لا يعلنها الزوجان لما فيها من حرج خاصة اذا ارتبطت بجوانب جنسية، ولكن في أحيان أخرى قد يكون احد الزوجين[1] مصابا بمرض نفسي" السادية أو الماسوكية " لذلك يتسم سلوكه بالقسوة وسوء المعاملة مما يؤدي لفشل الحياة الزوجية.

* الغياب الطويل لأحد الزوجين او الحكم بسجنه لمدة طويلة.

معدلات الطلاق:

ويصنف بعض العلماء العوامل التي تؤثر في نسبة الطلاق في ثلاث عوامل:

الاول: مدة الحياة الزوجية:

تدل دراسة حالات الطلاق حسب مدة الحياة الزوجية انه كلما زادت مدة الحياة الزوجية قلت حالات الطلاق، فالأشخاص الذين يتزوجون هذا العام اكثر تعرضا

---

[1] - المرجع السابق، ص ١٧٩.

للطلاق ممن تزوجوا منذ عشرين او ثلاثين عاما، اذ ان اتجاهات الزوجين وتوقعاتهم وكذلك التغير الذي طرأ على القيم يجعل الطلاق مسألة سهلة ويقبلها المجتمع.

والثاني: العوامل الخارجية كالأزمات الاقتصادية التي تؤثر في نسبة الطلاق في فترات معينة والفئة الأخيرة من العوامل ترتبط بالظروف التي يتهم فيها الزواج كالزوج الذي يتصف بالرعونة او عدم النضج النفسي والاجتماعي.

ويرى كانون *Cannon* ان الاختلاف بين انماط المعيشة الريفية والحضرية من اهم العوامل التي تؤثر في نسبة الطلاق وبالرغم من ذلك فان نسبة الطلاق في المجتمعات الريفية تقل بصورة ملحوظة عن نسب الطلاق في المجتمعات الحضرية في كافة الولايات المتحدة الأمريكية[1].

كذلك تختلف نسبة الطلاق بين الجماعات المهنية المختلفة. ويرى (جود) ان ثمة ارتباط وثيق بين نسبة الطلاق والمستوى الاجتماعي والاقتصادي ولذلك فان الجماعات المهنية التي تتمتع بمستويات اجتماعية اقتصادية مرتفعة تنخفض بينها نسبة الطلاق بينما ترتفع نسبة الطلاق بين عمال الخدمات والعمال في المستويات الاجتماعية والاقتصادية المنخفضة وبالرغم من ذلك فقد وجد موناهان ان اقل نسب الطلاق توجد بين العمال الزراعيين في ولاية (ايوا) وبصورة عامة تشير معدلات الطلاق في المجتمع المصري الى التالي:

١-ان الطلاق يتم غالبا في السنوات الأولى للزواج وهذا يؤكد سوء الاختيار ونجد ان نسبة المطلقين التي تقل حياتهم الزوجية عن عام بلغت ٢٧١ في الالف وتقع معظم حالات الطلاق قبل مضي خمس سنوات وعادة يقوم الزواج بتوقيع الطلاق ولكن قد تطلب الزوجة التطليق إذا أصيبت بأضرار وتبلغ نسبة الزوجات اللاتي يطلبن الطلاق نسبة ٣٣% من جملة حالات الطلاق.

٢-المرأة في المناطق الريفية ما زالت لا تعمل ولذلك تعتمد اقتصاديا على الزوج لذلك تحرص على إرضائه لانه عمليا يمثل عائلها الوحيد وجدير بالذكر ان الزوجة الريفية بالرغم من فشل زوجها وعدم حبها لزوجها وتعاستها الشخصية

---

[1] - علي الدين السيد محمد، الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية، ط ١١، ١٩٨٥، ص ١٨٠.

تتحمل باستمرار الزواج لاعتمادها اقتصاديا على الزوج وخوفها من سخط المجتمع وتقولات الناس اذا طلبت الطلاق كذلك قد يتحمل الزوج الريفي المعيشة مع زوجته لشفقته عليها او لكثرة عدد أطفاله منها[1].

٣- استقلال النساء اقتصاديا في المدينة يجعلهن اكثر جراءة في طلب الطلاق اذا أصبحت حياتهن مع أزواجهن مستحيلة.

٤- تتعارض احيانا متطلبات الأسرة مع ظروف العمل مما يخلق مواقف صراعية بين الأدوار الأسرية والأدوار المهنية.

٥- يرتبط الزوجان عادة بأنشطة عديدة خارج نطاق الأسرة مما يحول بينهما وبين القيام بالتزامات الأسرية بصورة مرضية الأمر الذي يؤدي الى ظهور المشاكل والمتاعب المعجلة بانهيار الزواج.

٦- يحتمل ان يكون للتغيرات الاجتماعية المتلاحقة في المجتمع الحضري أثرها في إحساس الافراد بعدم الاستقرار والقلق الدائم مما ينمي لديهم مشاعر الأنانية وعدم الرغبة في التضحية من اجل الآخرين.

٧- يعتبر الزواج في الريف امرا ضروريا وحتميا وعملا من اعمال الأسرة ومحققا لقيم جمعية اما في المناطق الحضرية فالزواج مسألة شخصية بحتة لا تعني سوى الشابين المقبلين على الزواج لذلك يكون الطلاق في الريف من الامور الصعبة والمكروهة بينما يكون الامر غير ذلك في المدينة[2].

مفهوم الأزمات الأسرية:

في المعتاد ان تقوم علاقات ودية متوازية بين أعضاء الأسرة كالعلاقات بين الابوين وبينهما وبين الاطفال ويتحقق ذلك عندما تكون العلاقات والروابط الأسرية آخذة صفة الاستقرار النسبي لفترة ملائمة من الزمن وفي مواقف مختلفة متعددة. وبالتالي تستطيع الأسرة ان تمارس وظائفها ويتحرر الأفراد في الجماعة الأسرية نسبيا

---

[1] - المرجع السابق، ص ١٨١

[2] - المرجع السابق، ص ١٨٢

من التوترات ويشكل الافراد الذين يشتركون في عملية التفاعل" وحدة وظيفية متكاملة"
وتظهر صورة التوافق في العلاقات الأسرية اذا سارت على الوجه التالي:

أ- اذا اتجهت علاقات الأب والأم نحو الأبناء من طريق متفق عليه بينهما.

ب- اذا تساوت الحقوق والواجبات والرعاية والحنان بين الأبناء جميعا.

ج- اذا ارتبط كل من الوالدين باخلاقيات وقيم اجتماعية سليمة.

د- اذا كان للأسرة أهداف مشتركة وقدرة على الإسهام في خدمة المجتمع والنهوض به.

هـ- اذا اشترك الأبناء مع الأسرة في إدراك احتياجاتها والعمل على مقابلة هذه الاحتياجات.

وبالرغم من ذلك فقد يحدث أحيانا ان تظهر صعوبات تعوق التفاهم او القيام بالأدوار سواء من داخل جماعة الأسرة او من خارجها وفي مثل هذه المواقف قد ينشأ صراع مؤقت بين توقعات اعضاء الأسرة المختلفين، اما اذا اتخذ هذا الصراع صفة الاستمرار فقد يؤثر في وحدة الأسرة برمتها. وكذلك ممكن ان تؤدي التغيرات الاجتماعية[1] التي تطرأ على المجتمع الذي تعتبر الأسرة جزءا منه الى تغيير في بناء الأسرة وعلى سبيل المثال قد يؤدي عدم توفر فرص العمالة الى بطالة رب الأسرة، وقد لا يغير ذلك من دور الأب الاقتصادي من الأسرة فقط بل ويؤثر في اتجاهات وتوقعات أعضاء الأسرة وفي علاقاتهم المتبادلة بين بعضهم البعض وكذلك يؤثر بدرجات مختلفة في شبكة العلاقات الأسرية بأكملها وفي علاقاتها بالتالي في المجتمع الخارجي. وفي الحياة الزواجية قد يتدخل عدد من العوامل ويؤدي الى استقرار الحياة الأسرية والنجاح في الزواج ومن جهة أخرى قد تؤثر هذه العوامل بطريقة سلبية وينتج عنها الفشل واضطراب الحياة الزواجية. ويعتمد حدوث التوافق مع الأزمات الأسرية على مدى فاعلية أداء أعضاء الأسرة لأدوارهم وعلى استجابة المجتمع

---

[1] - علي الدين السيد محمد، الأسرة والطفولة في محيط الخدمة الاجتماعية، ط ١١، (بدون ناشر ١٩٨٥ م) ص ١٥٣

وتقديمه لصور المساعدة والمساندة للأسرة لمواجهة ازماتها ولا شك ان العوامل التـــي تساعد الأسرة على التوافق مع الازمة يمكن حصرها فيما يلي:

* مدى استعداد الأسرة لمواجهة الازمة.
* تكامل الأسرة.
* مدى العلاقات العاطفية بين اعضاء الأسرة.
* التوافق الزواجي القوي بين الزوجين[1].
* علاقات الصداقة الحميمة بين الآباء والأبناء.
* مشاركة مجلس الأسرة في اتخاذ القرارات.
* التجارب الناجحة السابقة للأسرة مع الازمات.

مفهوم الأزمات الأسرية :

نعني بالأزمة الأسرية " أي وهن او سوء تكيف وتوافق او انحـــلال يصيــب الروابط التي تربط الجماعة الأسرية كل مع الآخر. ولا يقتصر وهن هذه الروابط على ما قد يصيب العلاقة بين الرجل والمرأة بل يشمل أيضا علاقات الوالدين بأبنائهما.

ويعرفها آخرون بأنها موقف ينعدم فيه التوافق بين الدور المتوقع والـــدور الســلوكي لأعضاء الأسرة بالنسبة لبعضهم البعض وهذا يطابق ما يراه العالم *Morwer* فـــي ان كل أشكال الأزمات الأسرية تمثل الاختلافات السلوكية التي يكون فيها الافراد متمردين على التعليمات الاجتماعية المتعلقة بالعلاقات السلوكية كما تعرف الازمة الأسرية بانها احد الأشكال المرضية للاداء الاجتماعي ولها نتائج ذات اثر سيء في الفرد كعنصـــر في أسرة او في اعضاء الأسرة ككل او في المجتمع او في الثلاثة معا ونتيجـــة لذلــك فان المجتمع يعهد[2] لهيئاته ومؤسساته المعنية بمسئولية القيام ببرامج تـــأهيل مؤثــرة وفعالة توجه للأسرة والمجتمع. ومن الجدير بالذكر ان الخلافات التي قــد تنشــأ بيــن الزوجين تكون اكثر خطرا وادعى الى انحلال الأسرة باسرها ممـــا لوحــظ الخـــلاف

---

[1] - المرجع الســـابق، ص ١٥٤.

[2] - المرجع السابق، ص ١٥٥.

بينهما وبين ابنائها لانه مهما زاد الخلاف مع الأبناء فلن يؤدي الى انحــــلال الأســـرة وخصوصا اذا ظل الوالدان من حيث موقفهما متساندين وفي تعريف لجــود *Good* : الازمة الأسرية حالة من حالات عدم الاستقرار الزواجي وبانها اخفاق واحد او اكـــثر من افراد الأسرة في اداء واجبات دوره. وتأسيسا على ما سبق يمكن النظر الى الازمة الأسرية على انها شكل من عدم الاتفاق القائم بين الزوجين الامر الـــذي يـؤدي الـــى حدوث اضطراب في العلاقات الزواجية.

مظاهر الأزمة الزوجية:

لكل أسرة درجة انصهار معينة ومن الممكن ان نستعرض العملية التي قد تمـر بها الصراعات الزواجية والأسرية التي تصل ذروتها عند حلول الازمـــات فبعـد ان تنقضي المرحلة الاولى المشحونة بالعواطف ومطارحات الغرام في بداية الزواج. قـــد يبدأ نمط متكرر للحياة يسوده الضجر والملل والانشغال في مطالب الحياة اليومية وقـــد تمر كثير من المنغصات والصعوبات بسلام. ولكن قد تتكـــرر وتـــتزايد الصعوبـــات الصغيرة وتتكاثف حتى يشعر احد الزوجين بالسأم وقد تظهر التعاسة الزواجية في عدة اشكال لا تصل الى حد فسخ عقد الزواج، منها: الهجر او الصراع الســـافر او صـــور الهروب بالتمسك بالحب الرومانسي والأفلام والقصص الغرامية وتمثيليـــات الإذاعـــة والتلفزيون وقد يمثل المرض المزمن سبيلا للهروب من موقف او مشــــكلة زواجيـــة معقدة فاذا شعر احد الزوجين بالاهمال[1] او الضيق او النفور فقد يلجأ الـــى المـــرض للحصول على الرعاية والاهتمام او حتى يجلب الضيق والألم للطرف الآخـــر. وقـــد يكون الشعور الدائم بالتعب دون سبب جسماني دليلا على عدم الرضا بـــالزواج كمـــا دلت الدراسات على ان شرب الخمور او إدمان المخدرات وغيرها من وسائل الإشـباع البديلة يوفر سبلا للهروب من مواقف مؤلمة. وقد يلجا البعض الى الطـــرق المألوفـــة للتخلص من الشعور بالإحباط بالإقلال من التفاعل داخل الأسرة ويقضي كل وقته فـــي الأعمال المنزلية او في هوايته او في عمله او الانصراف الى المحال العامة. واخـــيرا

---

[1] - المرجع السابق، ص ١٥٦

قد يسقط كثير من الاباء خلال التعبير الزائد عن الحب لابنائهم والاهتمام الزائد بمستقبل الأبناء. وبصورة عامة يمكننا ان نلخص اهم مظاهر الازمة الزوجية في التالي:

١- اختفاء الاهداف المشتركة بين الزوجين وكذلك الاهتمامات المتبادلة وتصبح النزاعات والاهداف الفردية اكثر اهمية واكثر الفاتا للنظر من الاهداف الأسرية.

٢- تبدأ المجهودات التعاونية لاقامة الأسرة والحفاظ عليها في التلاشي تدريجيا.

٣- يبدأ الزوج او الزوجة في عمليات انسحابية متعددة في مجال الخدمات المتبادلة سواء في داخل الوحدة الأسرية او خارجها[١].

٤- يظهر التناقض في مجال العلاقات الشخصية المتبادلة او بمعنى آخر لا يكون هناك اتساق في الرغبات وتزداد فرص الاصطدام.

٥- يتغير شكل وموضوع التفاعل بين الزوجين وبين الجماعات الاخرى سواء كانوا جيرانا او تنظيمات اخرى.

٦- تتعارض الاتجاهات العاطفية للزوجين او تتخذ طابعا عدوانيا وفي بعض الأحيان تظهر اللامبالاة فتتخذ العلاقات الزوجية طابعا سطحيا.

المراحل التي تمر بها الأزمات الأسرية:

اشارت *Beck* الى ان التفكك الاسري يمر في العادة بعدة مراحل يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١- مرحلة الكمون:

وهي فترة متغيرة غير محددة وربما تكون قصيرة جدا بشكل يجعلها غير ملحوظة والاختلافات فيها سواء أكانت صغيرة او كبيرة لا يتم مناقشتها او التعامل معها بواقعية.

---

١ - المرجع السابق، ص ١٥٧

٢- مرحلة الاستشارة:

وفيها يشعر احد الزوجين او كلاهما بنوع من الارتباك وبانه مهدد وغير قـانع بالاشباع الذي يحصل عليه.

٣- مرحلة الاصطدام:

وفيها يحدث الاصطدام او الانفجار نتيجة للافعال المترسبة وتظهر الانفعـالات التي تم كبحها وقمعها لمدة طويلة ويوجد فيها احساس[1] متبادل بالتهديد وتكون الازمـة غير واضحة بالنسبة للطرف الاقل دراية بالموقف اما بالنسبة للطرف الاخـر فتكـون هناك محاولات من اجل حل المشكلة. وهنا يصبح الطريق شائكا يحـاول أي طـرف البحث عن تحقيق الاشباع في مكان خارج الأسرة.

٤- مرحلة انتشار النزاع:

لو ازداد التحدي والصراع والرغبة في الانتقام فان الامور سوف تزداد حـدة ويؤدي ذلك الى زيادة العداء والخصومة بين الزوجين ويزداد النقد المتبـادل بينـهما ويكون هدف كل طرف هو الانتصار على الطرف الاخر دون محاولة الوصول الـى التسوية وينظر كل منهما الى نفسه على انه الانسان المتكامل على حسـاب الطـرف الاخر وتقل المرونة ويزداد السلوك السلبي ونلاحظ هنا ان النزاع إذا كان فـي بـادئ الامر يتعلق بناحية معينة فانه سرعان ما ينتشر ليغطي النواحي الأخرى المتعددة.

٥- مرحلة البحث عن حلفاء

بطبيعة الحال اذا لم يستطع الزوجان حل المشكلة بمفرديهما فانـهما يبحثـان عمن يساعدهما في تحقيق ذلك من الأهل والأقارب والأصدقاء واذا اسـتمر الـنزاع لفترة طويلة فان القيم والمعايير التي تحكم بقاء الأسرة تصبح مهددة وهنا قد يلجأ أحـد الأطراف او كلاهما للحصول على الإشباع من خلال المصادر الأخرى البديلـة مثـل التركيز على الاهتمام بالأطفال وبالمشاركة في الأنشطة الاجتماعية والتركـيز علـى النجاح في العمل ولكن ذلك يكون على حساب الإشباع الذي يتحقق داخل الأسرة[2].

---

[1] - المرجع السابق، ص ١٥٨

[2] - المرجع السابق، ص ١٥٩

الطلاق كجزء من نسق الأسرة:

يميل الناس الى النظر الى الطلاق *Divorce* على انه كارثـــة او مأســاة وعندما ترتفع معدلات الطلاق في مجتمع ما فان هذا يكون دليلا على ان نسق الأســرة لا يعمل بصورة مرضية. وعلى الرغم من ان بعض الديانات تبيح الطـــلاق الا انــها تضع عوائق كثيرة في سبيله وفي دورة الحياة الزوجية ولو في فترة زمنية معينــــة ان تنشأ بعض الخلافات والتوترات الزوجية قد تصل الى درجة عاليــــة بحيــث تصبــح حياتهما معا مستحيلة وعند ذلك يلجآن الى الطلاق كحل امثل لهذه المشكلات[1].

ويوجد نمط زواجي آخر ينتشر في المجتمعات المختلفة غير الصناعيـــة وهــو ارتباط الزوجين بشبكة العلاقات القرابية، ولذلك لا تكون الخلافـــات قــاصرة علـــى الزوجين فقط بل قط تمتد ليشارك فيها الأقارب الأمر الذي يزيد من حدة التوترات بيـن الزوجين الى درجة لا تطاق. وتختلف نظرة المجتمعات في تعريفها للمستوى او للحــد الذي يصبح معه الخلاف بين الزوجين امرا لا يطاق او في اسباب انحلال الزواج غير الموفق[2]. ويختلف الموقف بين الزواج غير الموفق من مجتمع لآخر وخاصــــة فـــي المجتمعات الغربية.

ويحدث الطلاق اذن نتيجة لتعاظم الخلاف بين الزوجين الى درجــــة لا يمكــن تداركها، ولكنه بالإضافة الى ذلك يؤدي الى صراع جانبي بين كل من اسرتي الـــزوج والزوجة حيث تقع بينهما في العادة خلافات لا نهاية لها ذات مضمون مادي او معنوي او تتعلق بالاطفال الذين كانوا ثمرة هذا الزواج ولا توجد في أي مجتمع طرق معينـــة واضحة لتجنب او خفض حدة الصراع الزواجي او حتى جعل الازواج قادرين علـــى تحمل زيجاتهم.

فالطلاق اذن يكون احد صمامات الامن للتوترات الحتمية التي تقع فـــي الحيـاة الزوجية. فالطلاق هو الحل الاكثر انتشارا لمشاكل الحياة الزوجية. كمــا ان الحلـول

---

[1] ـ د. سناء الخولي، " الزواج والعلاقات الأسرية "، دار الفرقة الجامعية، ١٩٩٠، ص ٢٥٩.

[2] ـ المرجع السابق، ص ٢٦٠.

التي تقدمها المجتمعات المختلفة للفصل بين الزوجين في حالة وقوع الخلاف بينهما هي في الواقع اختلاف في نمط الطلاق ويختلف الطلاق عن هذه الاشكال في انه يسمح بالزواج الثاني[1] ويكون حدوث الطلاق افضل من العيش في حياة تعسة غير متوقعة حتى مع وجود اطفال يستطيعون الحياة مع الأم او الأب في حالة انفصالهما تكون حياتهم افضل من المعيشة في جو مشحون بالخلافات والصراعات مما يكون له اكبر الأثر على سلامتهم النفسية وتكوين شخصياتهم بصورة سوية[2].

معدلات الطلاق :

تختلف معدلات الطلاق من مجتمع لاخر تبعا لظروفه المجتمعية والسياسية والاقتصادية وكذلك تبعا لقيم ومعايير ولاسباب أخرى عديدة ويتميز المجتمع الأمريكي بأعلى نسبة طلاق كما ان لبعض الدول في الماضي نسبة أعلى من معدلات الطلاق مثل "مصر"٣٥ -١٩٥٤ " واليابان ١٨٨٧-١٨٧٩" والجزائر ١٨٧٧-١٩٤٠".

وسوف نستعرض في الجدول التالي[3] ما يلي:

- ارتباط معدلات الزواج بمعدلات الطلاق في المجتمع المصري
- ترتفع معدلات الطلاق كلما زادت معدلات الزواج والعكس صحيح
- من تحليل البيانات الإحصائية الواردة في الجدول أن أعلى معدل للطلاق في العشرين سنة الأخيرة يظهر في عامي ١٩٥٣،٥٢ ثم بدأت معدلات الطلاق تسير بعد ذلك بصورة متوازية الى ان بلغت أدنى معدل لها في هذه عام ١٩٦٧ (عام الحرب) ومعدلات الزواج ايضا في هذه السنة ايضا منخفضة وذلك مرتبط بعدم الاحساس بالامن وظروف خيبة الأمل وتبين الإحصاءات ان معدلات[4] الطلاق تختلف من الريف الى الحضر حتى احصاء عام ١٩٧١ معدل الطلاق في الحضر وصل الى ٦ر٢ لكل الف من السكان بينما وصل الى ٧, ١ فقط في كل الف من السكان في المناطق

---

[1] – المرجع السابق، ص ٢٦١.

[2] – المرجع السابق ص ٢٦٢.

[3] – المرجع السابق، ص ٢٦٣.

[4] – المرجع السابق، ص ٢٦٢

الف من السكان بينما وصل الى ٧, ١ فقط في كل الف من السكان في المناطق الريفيـة أي ان معدل الطلاق مرتفع في المدينة عنه في القرية وذلك يرجع الى عدة اسباب:

١- المرأة لا تعمل في الريف وبالتالي تعتمد اقتصاديا على زوجها وبالتالي تحـاول ارضائه.

جدول معدلات الطلاق والزواج لكل ألف من السكان في مصر

السنة	معدل الزواج	معدل الطلاق
١٩٥٢	٨ر١٠	٣ر٢
١٩٥٣	٨ر٩	٨ر٢
١٩٥٤	٨ر٩	٦ر٢
١٩٥٥	٨ر٩	٦ر٢
١٩٥٦	٨ر٩	٤ر٢
١٩٥٧	٠ر١٠	٥ر٢
١٩٥٨	٢ر٩	٤ر٢
١٩٥٩	١ر٩	٤ر٢
١٩٦٠	٩ر١٠	٥ر٢
١٩٦١	٦ر٨	٢ر٣
١٩٦٢	٥ر٨	٠ر٢
١٩٦٣	٨ر٩	١ر٢
١٩٦٤	٥ر١٠	٢ر٢
١٩٦٥	٨ر٩	٢ر٢
١٩٦٦	٨ر٩	١ر٢
١٩٦٧	١ر٧	٨ر١
١٩٦٨	-	-
١٩٦٩	٥ر٩	٩ر١
١٩٧٠	-	-
١٩٧١	٢ر١٠	١ر٢

٢- استقلال النساء اقتصاديا في المدن عن الريف يجعلها اكثر جرأة في طلب الطلاق.

٣- التغيرات المتلاحقة في المجتمع الحضري عنه في الريف

٤- الزواج حتمي في الريف اما في الحضر فهو مسألة شخصية فالطلاق في الريف مكروه على عكس المدينة[١].

تصور الأسرة كوحدة متكاملة وظيفيا[٢]:

معظم الأسر في الفئات الحضرية ترى ان أسرة اليوم اكثر تماسكا من أسرة الأمس ويرجعون ذلك الى عدة أسباب:

أ- أسرة اليوم تقوم على أساس الاختيار الحر.

ب- صغر حجم الأسرة يجعلها اكثر تماسكا.

ج- العلاقات الداخلية في الأسرة بين افرادها تقوم على المحبة والتفاهم.

اما الذين يرون ان أسرة الأمس افضل من أسرة اليوم فينحصرون في اسر المناطق المختلفة والأسر الريفية للأسباب الآتية:

١- أسرة اليوم غير متكاملة.

٢- فقد الرجل مركزه وسلطته في الأسرة.

٣- انخفاض من درجة احترام الأبناء لآبائهم.

٤- الأسر في الوقت الحاضر فردية ومنعزلة.

٥- غلبة المصالح الشخصية الفردية في الأسرة.

العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تكامل لا تناقض:

تحسب الناس ان الرجل والمرأة خلقا متنافسين[٣] ولكنهما في الحقيقة خلقا

---

١ - المرجع السابق، ص ٢٦٤

٢ - المرجع السابق، ص ٢٩٦

٣ - محمد متولي الشعراوي ، " كتاب المرأة في القرآن الكريم " طبعة اخبار اليوم .

متكاملين، يكمل كل منهما الآخر في الرسالة والحقوق والواجبات لقوله تعالى:﴿ والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى ان سعيكم لشتى﴾ " الآيات من ١-٤ سورة الليل".

ويشبه الله تعالى قضية التكامل بين الرجل والمرأة بقضية التكامل بين الليل والنهار فهما مختلفان في الطبيعة، فالنهار يملؤه الضوء للسعي للرزق، والليل تملؤه الظلمة للسكون والراحة، فهما يختلفان في الطبيعة ، ولكنهما متكاملان لمهمتهما في الكون، وهي مهمة متكاملة.

أيضا الرجل والمرأة خلقهما الله سبحانه وتعالى متكاملين وليسا متعاندين[1] الرجل له وظيفة في السعي على الرزق ورعاية زوجته وأولاده والمرأة لها مهمتها في رعاية البيت وإنجاب الأولاد، وحتى تكون مسكنا للزوج عندما يعود الى بيته متعبا من حركة الحياة تستقبله بابتسامة تمسح له شقاء اليوم.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم موحة ورحمة ان في ذلك لأيات لقوم يتفكرون﴾ " الآية ٢١ سورة الروم". وهكذا حدد الله سبحانه وتعالى المهمة المتكاملة للرجل والمرأة، وليس هذا على مستوى الأمة الإسلامية وحدها، ولكنه القانون السائد الذي وضعه الله سبحانه وتعالى في الكون كله، تلك هي سنة الله في كونه ومن تمام الحياة ان يؤدي كل انسان مهمته فيها، اما قلب الموازين (مثل رجل يبقى في البيت وامرأته تعوله،ولا توجد امرأة الا وتتمنى ان تعيش في حماية رجل يوفر لها كل شيء ويرعاها) فلا ينجم عنه الا الشقاء للانسان[2].

ولكن ما الذي حدث الآن؟ أخذت القضية غير مسارها اصبح هناك شبه معركة بين الرجل والمرأة فلا الرجل رضي بمهمة المرأة في الحياة ولا المرأة قنعت بدورها ومهمتها. بل كلاهما دخل في معركة متعاندة وهذا هو سبب القضية والتي يجب الا

---

[1] – محمد متولي الشعراوي، المرأة في القرآن الكريم، مكتبة الشعراوي الاسلامية، كتاب مؤسسة اخبار اليوم، القاهرة، ب ت ، ص ١٢.

[2] – المرجع السابق، ص ١٦.

تكون موجودة اصلا لو ان كل منهما رضي بمهمته في الحياة. بل لقد أصرت المـــرأة ان تزاحم الرجل في الحياة فاستسـلم الرجل لمزاحمة المـــرأة فحـدث اختـلال فـي المجتمع.

صورة المرأة المثالية في الإسلام:

قالت ام سلمة لرسول الله ﷺ اخبرني يا رسول الله عن قول الحق ﷻ " حـور عين " فقال ﷺ " " حور" معناها بيض و" عين " أي ضخام شقر.. الحوراء في منزلـة جناح النسر قالت ام سلمة اخبرني يا رسول الله عن قوله تعالى: ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان﴾ فقال النبي ﷺ صفاؤهن كصفاء الحـر " أي اللؤلـؤ الحـر " الـذي فـي الأصداف لا تمسـه الأيـدي. وقالت ام سلمة يا رسول الله اخبرني عن قوله تعـالى: ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ فقال رسول الله ﷺ خيرات الاخلاق حسان الوجـوه فقـالت ام سلمة فأخبرني يا نبي الله عن قوله تعالى: ﴿ كأنهن بيض مكنون﴾ قال رسـول الله ﷺ رقتهن كرقة الجلد الذي في داخل البيضة فيما يلي القشرة.

وقالت ام سلمة اخبرني يا رسول الله عن قوله تعالى: ﴿ عربـا اترابـا﴾ قـال رسول الله ﷺ " من اللاتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله يـوم القيامة بعد الكبر[1] فجعلهن عذارى عربا متعشقات محببات اترابا على ميلاد واحـد أي سن واحدة فقالت ام سلمة يا رسول الله ﷺ انساء الدنيا افضل ام " الحـور العيـن " ؟ قال النبي ﷺ بل نساء الدنيا افضل من الحور العين كفضل الظهارة علـى البطانـة. فقالت وبم ذلك قال ﷺ " بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله ﷻ البس الله وجـوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلـى مجـامرهن الـدر" وأمشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن الفالحات فلا نيـأس أبـدا ونحن المقيمات فلا نطعن ابدا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكـان لنا " قالت ام سلمة يا رسول الله.. المرأة قد تتزوج الزوجان والثلاثـة والأربعـة ثـم تموت فتدخل الجنة فمع أي الأزواج تكون. قال ﷺ " انها تخير فتختار أحسنهم خلقـا

---

[1] - المرجع السابق، ص ٥٩.

فتقول يا رب ان هذا كان احسن خلقا معي فزوجنيه يا ام سلمة ان حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة[1].

وهكذا نرى ان قول رسول الله ﷺ ناقصات عقل ودين معناه ان المرأة تفعل اشياء بعاطفتها يقف العقل عندها اما مسألة الدين فهي بحكم طبيعة خلقها تمر عليها ايام في الدنيا لا تؤدي فيها صلاة ولا صياما اذن فالمسألة شرح لطبيعة المرأة وليس محاولة للانتقاص منها والا ما كان رسول الله ﷺ قد اخذ برأي ام سلمة في صلح الحديبية وما كان قد قال عن عائشة رضي الله عنها (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) فقد كان وجهها يميل الى الاحمرار[2].

المجتمع الإسلامي يعاون المرأة :

مهمة المجتمع الإيماني معاونة المرأة التي لا عائل لها في أداء ضرورياتها دون ان يجبرها على ان تخرج وتختلط بالرجال لقوله تعالى: ﴿ اني لما أنزلت الي من خير فقير ﴾ يبين لنا انه رغم ان موسى عليه السلام كان محتاجا الى المال ولم يكن ذمه شيء انه سقى الفتاتين مجانا دون ان يتقاضى أجرا عن ذلك. اذن فعمل المرأة عند الضرورة له شروط فالضرورة اقتضت خروجهما لان اباهما شيخ كبير .

ان المهمة الإيمانية للمجتمع هي مساعدة المرأة بدون اجر مجانا على ان تقضي عملها وتنصرف[3].

من أمثلة ذلك ان موسى عليه السلام عندما وجد امرأتين محتاجتين للمساعدة قام هو بالمهمة وهي سقي الماشية بدلا عنهما وهذه هي مهمة المجتمع الإسلامي ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب إني لما نزلت إلي من خير فقير﴾ [4] وبالتالي اذا اضطرت المرأة للخروج للعمل على الرجل ان يقضي لها مهمتها بسرعة فهذه هي المهمة الإيمانية التي قام بها موسى عليه السلام.

---

[1] – المرجع السابق ص ٦٠.

[2] – المرجع السابق، ص ٦١.

[3] – المرجع السابق، ص ١٠٧.

[4] – الآية ٢٤ سورة القصص، المرجع السابق، ص ١٠٦.

ويذكر المؤلف انه عندما سافر الى السعودية (الشيخ محمد متولي الشعراوي) كان راكبا مع صديق له السيارة وفجأة توقف الصديق بالسيارة واتجه الى باب بيت وكان امام البيت لوح من الخشب وعليه عجين خبز فحمل الصديق هذا اللوح الذي عليه العجين ووضعه في السيارة فسأله المؤلف عن ذلك فقال له عندما تجد لوح عجين امام منزل مغلق تعرف ان رب البيت غير موجود فأي سائر في الطريق يأخذ لوح العجين ويتم خبزه ثم يعود به الى مكانه وهذه هي مهمة المجتمع الإيماني معاونة المرأة التي لا عائل لها في اداء ضرورياتها حتى لا تجبر على ان تخرج وتختلط بالرجال.

اذن فعمل المرأة عند الضرورة له شروط والعمل يتم على قدر الضرورة وقد ساعد موسى عليه السلام الفتاتين بدون اجر رغم حاجته الى المال كما في قوله تعالى: ﴿اني لما نزلت إلي من خير فقير﴾ [1].

سمات الزوج الصالح :

بعد مساعدة موسى عليه السلام للفتاتين يوم السقاية للماشية عادت الفتاتين الى الاب الشيخ واخبرتاه بالقصة ولو انهما عشقتا الخروج لأخفيتا عنه هذه القصة لتخرجا كل يوم لانهما فعلتا ذلك أي الخروج من المنزل وهما كارهتان[2] فماذا كان المقابل يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ [3].

وهذا السلوك من موسى عليه السلام من ناحية مساعدة الفتاتين بدون اجر جعل نبي الله شعيب يحس ان موسى عليه السلام فيه إيمان وأمانة[4] لهذا أرسل واحدة من بنتيه لكي تستدعيه لكي يعطيه أجرة السقاية، وذهب موسى عليه السلام الى بيت شعيب وجلس

---

1 – المرجع السابق، ص ١٠٧

2 – المرجع السابق، ص ١٠٨

3 – من الآية ٢٥ سورة القصص، المرجع السابق ص ١٠٨

4 – المرجع السابق، ص ١٠٨

معه شعيب بنفسه ليختبره ويختبر إيمانه وأمانتـه وهنا يروي لنا القرآن الكريم:﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ [1].

أي ان شعيب بعد سماع قصة سيدنا موسى هدأ من روعه وطمأنه وهنا جاءت الفرصة للفتاتين لكي تتخلصا من العمل ومن الخروج حيث اقترحت إحدى الفتاتين على أبيها ان يستأجر موسى عليه السلام ليقوم بالسقاية مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قالت إحداهما يا أبت استئجره ان خير من استئجرت القوي الأمين﴾ [2].

ولكن كيف عرفت ابنة شعيب ان موسى قوي وامين؟ لانه زاحم الرعاة ورفع حجرا ضخما موضوعا فوق البئر وعرفت امانته لانه لم ينظر الى أي منهما ولم تلحظ أي منهما عليه أي مسلك يمكن ان يشينه.

تأثير الطلاق على الصحة العقلية والنفسية للأطفال

تمهيد :

الطلاق وهو انحلال الرابطة الزوجية يترك أثاراً مختلفة على الاباء والأبناء معا. وهو وان كان في قليل من الحالات قد يُعد خطوة إيجابية تحرر الأسرة من صعوبات حادة ومزمنة لا سبيل الى علاجها الا بالانفصال، الا انه في معظم الحالات يؤدي الى نتائج سلبية على القليل بالنسبة للأطفال من الحرمان من وجود وعطف احد الوالدين ذلك الذي يؤدي الطلاق الى رحيله.

وهناك كثير من الدراسات التي تؤكد ان للطلاق تأثيراً سلبياً لا على الصحة العقلية والنفسية للآباء والأمهات والأطفال وحسب ولكن ايضا على صحتهم الجسمية، حيث يحتمل ازدياد نسبة الإصابة بالأمراض الجسمية او الأمراض السيكوسوماتية *Psychosomatic disorder* .

---

[1] - الآية ٢٥ سورة القصص، المرجع السابق ص ١٠٩.

[2] - الآية ٢٦ سورة القصص، المرجع السابق ص ١١٠.

يهتم علماء النفس اهتماما كبيراً بتأثير الطلاق على حياة الأبناء *The effects of divorce on children* فلا تتوقف آثار الطلاق على الزوجين فقط بل يمتد الى التأثير الى الابناء ويحفل التراث السيكوماتي بالأدلة القاطعة بان إجراءات الوقاية قد تقلل من هذه الآثار الضارة بصحة الاباء والأبناء الجسمية والنفسية .

ففي الولايات المتحدة الأمريكية يعاني كل عام نحو مليون طفل من خبرة تحطم او اضطراب بيوتهم بالطلاق او الانفصال او الهجر بين الابوين لدرجة انه يقدر بانه سوف يكون هناك نحو ثلث من عدد الأطفال الأمريكيين جميعا ممن يتعرضون لخبرة طلاق الوالدين.

وعلى الرغم من كثرة انتشار الطلاق في بعض المجتمعات الا انه ما يزال ينظر اليه من الناحية الثقافية على انه حدث غير عادي، وان له كثيرا من النتائج السالبة لكل الأشخاص المتصلين بواقعة الطلاق. كذلك يعتبر الطلاق واحدا من المواقف شديدة الضغط، ومواقف الانحلال او التفكك التي قد تحدث في حياة الانسان. وفي الغالب لا يكون الكبار او الأطفال مستعدين نفسيا لها *One of the most stressful and disosgam going events that may occur in a persons life (Sarason,p.501)*

الطلاق، ولا شك، خبرة مزعجة ومحزنة للاطفال. ولقد ادرك كثير من العلماء هذه الحقيقة منذ امد بعيد. فنسبة اطفال الاسر المنفصلة كانت اعلى بين رواد عيادات الطب العقلي الخارجية *Psychiatric Out Patient Clinic* عما يوجد بين اطفال الاسر العادية. فأطفال الاباء المطلقين يعانون من الاضطرابات العقلية التي تستوجب العرض على العيادة النفسية.بل ان الأطفال الذين لم يترددوا على عيادات الطب النفسي والذين كانوا ينحدرون من اسر منفصلة اظهروا صعوبات في نشاط اللعب، وفي علاقاتهم مع الآخرين. ذلك لان الطفل في هذه الحالة، لا يعاني فقط من الضغط الواقع عليه هو نفسه، ويجاهد في سبيل التكيف والتوافق مع هذا الضغط، بل انه ايضا يتعرض لوالد يعاني من الضغط كذلك، وعليه ان يتكيف ويتوافق مع هذا الاب في هذا

الظرف الحرج. على الطفل ان يتحمل الآثـــار الناجمـــة عـــن معانـــاة والـــده مـــن الاضطرابات الصحية الجسمية والنفسية والعقلية.

وبذلك نلمس ان الضغوط التي تسقط على الطفل تصبح مضاعفة او مزدوجة. ولا شك ان الطلاق يلعب دورا رئيسا في معظم ثقافات العالم، ولذلك ينبغـــي ان يـــهتم العلماء لا ببحث آثاره على الأطفال وآبائهم وقت وقوع الطلاق، ولكن فيما بعد وقوعـه أيضاً في مستقبل نموهم وتكيفهم المقبل للحياة.

هل تظل آثار الطلاق باقية في شخصية الطفل والى أي مدى تظل تؤثر فـــي نموه وتوافقه؟ هل هي خبرة موقفية مؤقتة تزول بعد فترة وجيزة من فصول الطلاق ام ان لها آثارا باقية راسخة في أعماق الشخصية؟

هذه النقطة في حاجة الى إجراء الدراسات التتبعية المتعمقة وخاصة في بيئتنـــا العربية للتعرف على الآثار بعيدة المدى للطلاق، ولكن تشير المعطيات الحالية علـــى قلتها الى ان هذه الخبرة بعيدة الاثر.

تهتم الدراسات بتتبع الاثار المترتبة على الطلاق على حياة الأطفال. ففي بحـث اجري في كاليفورنيا حول اطفال الطلاق *The California Children of divorce project* (١٩٨٠).

تم تتبع ٦٠ حالة طلاق واطفالهم البالغ عددهم ١٣١ طفلا تراوح عمرهم مـــن ٣-١٥ سنة، تم تتبع هؤلاء لمدة السنوات الخمس التي اعقبت الطلاق لمعرفـــة مـــاذا سوف يحدث لهم.

من بين اهداف هذه الدراسة التعرف على كيفية مرور الأولاد بالطلاق نفســه، بمعنى التعرف على مفهوم الأولاد عن الطلاق، والتعرف على العوامل التـــي جعلـــت هذه التجربة محتملة بالنسبة لهم من عدمه. ومن اهداف هذا المشروع البحـــث كذلـــك تتبع الأطفال عبر فترة من الزمن لمعرفة أي من عمليات النمو قد أصيبـــت بالإعاقـــة وايها اصابها الاسراع عن طريق تأثير الطلاق. هل من الممكن ان يكون للطلاق آثارا إيجابية؟

لقد كانت الفترة التي تلت الطلاق مباشرة فترة ضغط شديد بالنسبة للأطفال، وذلك من جراء واقعة الطلاق ذاتها، ولان الأطفال كانوا يتلقون تعضيدا نفسيا قل من الآباء الذين كانوا بدورهم يعانون من درجة عالية جدا من الضغوط.

ولكن بعد حوالي عام اختفت الاستجابات الحادة، وكثيرا من الأطفال استعادوا مستواهم السابق في النشاط والأداء، ولقد شفي الأطفال أسرع من آبائهم، وان كانت البنات قد شفيت أسرع من الذكور. وظلت التغيرات المزمنة بعد مرور عام على الطلاق.

ولقد امتدت فترة الانتقال هذه من بعد الضغط الحاد فترة تراوحت ما بين عامين وثلاثة أعوام وذلك في كثير من الأسر.

وفي المرحلة الثالثة استطاعت معظم الأسر التكيف كأسرة مطلقة او بعد زواج جديد.

ماذا كان الاتجاه العقلي نحو الطلاق لدى الآباء والأطفال؟

لقد كانت هذه الاتجاهات متباينة خلال السنوات الخمس. وفي الزواج غير السعيد بالنسبة للآباء كان الأطفال ينظرون للطلاق على انه امر سعيد او انه حدث مرض او شبع.

١. نصف الأطفال رأوا ان الوضع الأسري لم يتحسن عما كان عليه قبل الطلاق، حتى بعد مضي السنوات الخمس. بينما اعتقد اقل من ٢٠% من الآباء بأن الطلاق كان فكرة خاطئة. وبعد مضي خمس سنوات تكيف ثلث الأطفال تكيفا حسنا وظل نحو الثلث الآخر غير سعيد، حيث شعروا بالحرمان او بالنبذ وكانوا غاضبين من احد الابوين او كليهما (*Sarason p. 501*) .

ولكن هل يؤثر سن الطفل الذي يقع عنده الطلاق على تكيفه المستقبلي؟

٢. اخبر الأطفال عن الأسباب التي دعت لاتخاذ قرار الطلاق، لأن ذلك يمنع شعور الأطفال بأنهم هم كانوا وراء سبب الطلاق او الانفصال كما يوضح الصورة الحقيقية حتى لا يعتقد الأطفال انه لم يكن ضروريا او انه قرار خاطئ *Break up*

واجعل شرحك او تفسيرك موجزا، ولكنه امين وصادق، ويتمشى مع سن الطفل ومستواه العقلي في الاستيعاب.

٣. اكد على ان قرار الطلاق قرار دائم ومستمر، وذلك لأن هناك كثيراً من الأطفال يعتقدون ان آباءهم سوف يعودون الى بعضهم البعض حتما في النهاية وهذا امر قد لا يحدث.

٤. اشرح للطفل نوع التغيرات التي ستحدث في حياة الطفل بعد الطلاق، من ذلك الانتقال لمكان آخر، او تغيير المدرسة وقلة النقود. وشجع فيه التحدي الإيجابي للتكيف مع الموقف او الوضع الجديد على ما قد يكون فيه من صعوبات.

٥. دع الأطفال يعبرون بحرية عن غضبهم، لان ذلك حماية ضد نشوب مشكلات بعيدة المدى او طويلة المدى ولا ينبغي ان يستخدم الوالدان الأطفال كمكان لتخزين شعورهم هم بالغضب واليأس. والأحرى بهم ان يشاركوا مشاعرهم السلسة مع صديق كبير او مع المعالج او المرشد النفسي الذي ندعو الى ضرورة توفره في المجتمعات العربية او في مراكز الرعاية الطلابية.

٦. ينبغي تجنب إرغام الطفل على اختيار احد الوالدين اذا كانت سنه تسمح بهذا القرار من حيث النضج اللازم، لا يبدو السن مؤثرا في حد ذاته. انما علاقة الطفل بوالديه هي التي تؤثر في تكيفه كما يتأثر الطفل بنوعية الحياة في الاسرة المطلقة، والى أي مدى نجح الطلاق في حل المشاكل التي أدت اليه. كذلك وجد ان تكيف الطفل يرتبط بنوع شخصية الأب والأم وأسلوب الآباء في الأبوة. كما يتوقف التوافق على شخصية الوالد الذي سيبقى الطفل معه والعلاقة به. الأطفال الذين لم يكن لديهم علاقة وثيقة بهذا الوالد ظلوا يشعرون بالاكتئاب وكانت فكرتهم عن احترامهم لذاتهم ضعيفة.

تأثير حضانة الطفل الصغير:

في معظم الحالات كانت تقضي المحاكم بأن حضانة الطفل *Custody* للام ما لم يثبت عدم صلاحيتها لرعاية الطفل واحتضانه. وكان حتى المجتمع الأمريكي ينظر

بعدم الرضا للام التي تعطي ابناءها للاب. فلقد كان ينظر اليها على انها عديمة الاهتمام او قليلة الرعاية وليست اما كما ينبغي ان تكون عليه الام. ويلزم توفر معلومات دقيقة مثل صدور القرار بالحضانة.

ويحتاج موضوع الحضانة لكثير من الدراسات الميدانية للتعرف على الأحوال النفسية للطفل. من ذلك البحث الذي اجري في تكساس ١٩٨٣ بالولايات المتحدة الامريكية *The Texas Custody Research project* حيث تمت مقارنة تكيف الأطفال الذكور والاناث الذين قضي ببقائهم مع الاب بعد الطلاق، مقارنتهم بأولئك الأطفال الذين كانت حضانتهم في يد الام، وكذلك الأطفال الذين عاشوا في اسر سليمة *Intact families* . ما الذي أسفرت عنه هذه الدراسة؟

لقد تبين ان الأطفال الذين عاشوا مع والد من نفس الجنس كانوا اكثر تكيفاً في النمو الاجتماعي بل ان الأطفال الذكور الذين كانوا في معية الاب كانوا اكثر نضوجا من أطفال الاسر السليمة. اما الإناث فلم تكن اقل عن إناث الاسر السليمة في النضج *Maturity* .

ولكن بالطبع لا تكفي مثل هذه الدراسة لكي نتخذ منها اساسا لقرار الحضانة ولذلك يتعين القيام بمزيد من الدراسات التي تتبع المنهج الطولي *Longitudinal method* .

ويتعرض الأطفال والكبار لمرارة تجربة الانتظار في المحاكم وانقطاع الصلة بين الطفل والوالد غير الحاضر كيف يمكن التخفيف من حدة آثار الطلاق على الأطفال؟. وعلى كل حال يمكن ان نستمد كثيرا من المعلومات من الممارسة الاكلنيكية وخبرة المرشدين والمعالجين النفسيين في العيادات النفسية المخصصة للاطفال وذلك لمساعدة الآباء والامهات على التخفيف من حدة التجربة على الأطفال.

سبل مساعدة الطفل لاجتياز أزمة الطلاق:

اخبر الأطفال بقرار الطلاق قبل حدوثه، لان ذلك يساعدهم على الاستعداد

لتقبل ان احد الوالدين سوف يذهب او يرحل والوقوف معه ضد الوالد الآخر. لا ينبغي استخدام الأطفال في حلبة الصراع بين الطرفين.

وهناك حقوق للحضانة وللرؤية يتعين احترامها من كلا الطرفين، ويتم الاتفاق عليها، وينبغي ان يظل الوالدان على اتصال دائم بالطفل الصغير. *(Sarson, p.503)*

ويمكن ان يستفيد الآباء سواء في حالة الانفصال او عدمه من القراءة في كتب علم نفس النمو واصول التنشئة الاجتماعية والتربية النفسية والاطلاع على اساليب معاملة الطفل. وفي حالة الطلاق يصبح الطفل في حاجة ازيد لمزيد من الحب والدفء والرعاية والحنان والتعويض الإيجابي والإشباع المعقول.

ولا ينبغي تشويه صورة الوالد الآخر في ذهنه او جره الى حلبة العراك او غرس الضغائن في نفسه او الحط من قدر الوالد الآخر او اهمال الطفل والانصراف الى اللهو او المتعة الجنسية من طرف آخر او اخضاع الطفل لسيطرة شخص اجنبي عنه.

الصحة العقلية والظروف الزواجية

مقدمة :

في هذا المقال المتواضع معالجة سريعة لاثر الظروف الزواجية على الصحة العقلية لأفراد الأسرة. فلقد اهتمت البحوث النفسية بتناول تأثير التصدع الأسري او البيوت المحطمة الناجمة عن الطلاق او الانفصال او موت احد الوالدين او كليهما او الهجر على الابناء الذين يتعرضون ولا شك لخبرات مريرة بين الحرمان والقسوة وفقدان السند والتعضيد والإشراف الوالدي السليم والتنشئة الاجتماعية الصالحة ولا تتوفر لهم القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدى به والنموذج الرجولي او النسائي الذي توحد الصبية والبنات وإياه إضافة للمعاناة الاقتصادية وانقسام الشعور بالولاء.

وللأسف لم يوجه الاهتمام العلمي والبحثي الى تـــأثير مثـل هــذه الخـــبرات الصدمية على صحة الزوج والزوجة. فما الذي تتركه خبرة الـــهجر او الانفصــــال او الطلاق او التصدع الاسري على صحة الرجل والمرأة؟ وهل يعد المرض العقلي ســببا للطلاق ام نتيجة لــــه؟

يلقي حديثنا – الضوء على ما قد يعانيه الرجل المطلق والمرأة المطلقـــة مــن الاضطرابات والمتاعب العقلية والنفسية والجسمية والسلوكية بل وما قد يتورط فيه مـن الجريمة والجنوح، الأمر الذي يتطلب الدعوة لتوفير المجتمع للرعاية النفسية والعقليـــة والطبيـــة والجسمية والاجتماعية والدينية والروحية والأخلاقية والمالية أو الاقتصاديـــة لمن يتعرضون لمثل هذه الكوارث الإنسانية.

وفي هذا المقال استعراض لتأثير الانحلال او التفكك الثقــافي علـــى الصحـــة العقلية والجسمية وكذلك المشاكــل الشخصية كالطلاق والانفصال أو الســـجن وتـــأثير حياة العزلة والوحدة والانسحاب من المجتمع المادي كذلك تأثير المواقـــــف الصدميـــة وكذلك تأثير المستوى الاقتصادي والاجتماعي على الصحة العقلية في المناطق المتدنية المستوى. فأيهما اكثر اضطراباً من الناحية العقلية: المتزوجون، العـــزاب، الأرامـــل، المطلقون المنفصلون؟ واي الجنسين اكثر تأثراً بهذه الأوضاع؟ واخيراً يتساءل كـــاتب هذه السطور مع القارئ الكريم هل في الإمكان التنبؤ بالزواج السعيــــــد او الفاشــــل؟ ووضع الضمانات الكفيلـــة بتحقيق الزواج المتكيف.

الطـــلاق كموقف حتمـــي:

هو حدث قهري واضطراري يضطر إليه احد الزوجين او كلاهما لحل أخــــير لمشاكل الزواج التي يتضح انها أصبحت غير محتملة وان بقاء الروابط الزوجية علـــى ما هي عليه قد يضر بصحة الاسرة اكثر من الانفصال. فالطلاق كحل حتمي لتعقيـــــه المشاكل المحتدمة يعتبر موقفاً ايجابياً او حلاً حتمياً وليس شذوذاً.

ويشير لندن *London* الى الطلاق باعتباره احد مظــاهر اضطــراب الخلــق *Character disorder* ويدرج معه الجريمة الكحولية وغير ذلــك مــن الاعــراض الادمانية ولكن الطلاق ليس مرضا او عيبا او نقيصة خلقيــــة بحيــث يتســاوى مــع الكحولية أو الادمان او الجريمة .

لقد اورد ذلك لندن فــي معــرض حديثــه عــن حيــل الدفــاع *Depense mechanisms* ومنها النكوص او الرجـــوع الــى الــوراء *Reprssion* والتفكــير *Thinking*والاسقاط *Projection* على اعتبار ان الامر لا يخلو من وجود عوامــل نفسيــة لا تصورية قد تكمن وراء الزواج والطلاق.

اثــر التفكك الثقــافي:

وفي اطار التفكك الثقافي *Cultural disorganization* الذي يحـــدث فــي مرحلة الانتقال *transition* الثقافي او الحضاري حيث ينتقل المجتمع من نمط ثقــافي معين الى نمط آخر مغاير سواء بالنسبــة للأفراد او المجتمعات او انتقال الفــرد مــن مجتمع الى آخر، فإنه يتعرض للقلق، وعدم الأمان، وقد ينتج عن ذلـــك اضطرابــات عقلية او سيكوسوماتية ويكشف ذلك عن الرابطة بين العوامل الثقافية والصحة العقليــة. ولقد تبين من خلال دراســة كل من وتكاير وفرد *Wittkauer & Fried* عام ١٩٥٩ ان مشاكل الصحة العقلية للمجتمع تزداد لدرجة ان الروابط التقليدية التي تربط الاســرة والمجتمع بعضها بعضا تضطرب وتتعرض للتحلل والتفكك.

فهناك علاقة تفاعل او تأثير متبادل بين الظروف الاسرية والصحة العقلية بــل والصحة الجسمية ايضا فالصحة العقلية اذن ترتبط بالظروف الاسرية وتؤثــر وتتــأثر بها، وتذهب هذه الدراســة الى القول بأن الناس الذين تربوا في اســـر سويـــة ذات روابط سوية تتعرض للمعاناة من اضطراب المجتمع المحيط بها، فالمجتمع هو المنــاخ او المحيط او الغلاف الذي يحتضن الاسرة ويؤثر فيها ولا يمكن تصور الاسرة تعيــش بمعزل عن المؤثرات الاجتماعية المحيطة بها. وقد يصاب المهاجرون مــن مجتمــع

لاخر ببعض الاضطرابات السيكوسوماتية مثل الربو الشعبي *Bronchial Asthma* أي تلك الأمراض التي تنشأ عن عوامل او اسباب نفسية كالقلق والتوتـــر والضغـــوط والانفعالات والأزمات ولكن تتخذ الاعراض شكلا جسميا.

المجتمع المفكك يؤدي الـــى تكويـــن فـــرد مفكـــك ايضــــا *Disorganized individual* كما يؤدي الى الجريمة والجنوح والامراض الجســـمية والاضطرابـــات العقلية والى الانتحار. وينتشر هذا التفكك فـــي المنـــاطق متدنيـــة المســـتوى *Slum dwellings* والمناطق كثيفـــة السكان *High Population Density* بل ان الطـــلاق وجد مرتبطا بحالات دخول مستشفيات الأمراض العقلية في الأسرة التي تقـــع ضمـــن النسيج الاجتماعي المحيط بها.

اثـــر حياة الوحـــدة والعزلـــة على الصحـــة العقلية :

ففي دراســـة اجريت على ٣٠٥ من حالات الدخول للمستشفى لاول مرة فـــي امريكا من حالات الفصام *Schizophrenia* بين الرجال، كانت النسب العالية لسـكان وسط المدينة، وكان معظمهم من العزاب والمنفصلين عن بيوتهم او المطلقيـــن الذيـــن كانوا يعيشون بمفردهم او يعيشون في عزلة ومعروف ان حياة الوحـــدة فـــي البلـــدان الغربيـــة (*London p 441*) تشكل تجربة بالغة القسوة والشدة لضعـــف الروابـــط الاسرية. هناك كذلك وجد ارتباط بين عيشة الرجل وحده مفردا في غرفة واحدة وبيـــن الاقدام على الانتحار وقد لوحظ هذا في مدينـــة لندن والحقيقة ان الطلاق قـــد يرتبـــط بالضغوط التي تنشأ بين الاشخاص *Interpersonal stresses* وليس فقط من جراء المشاكل الاجتماعية الكبرى او المشاكل العامة التي تواجه المجتمع كله كـــالحروب او الركود الاقتصادي او المشاكل العرقية أو السلالية التي يواجهها الاقليـــات مـــن قبـــل المجتمع العام، ولكن الاكثر من الكوارث هو تأثير الحياة الفردية ومشاعر القلق. بـــل ان الاسرة اذا كانت سوية قوية الأواصر استطاعت ان تصمد امـــام القلـــق العـــام او الاضطراب العام الذي يعاني المجتمع منه.

Not the result of major social upheaval such as, war, economic depression, on the alienation of ethnic or social minorities from the wider society but rather results of the dilemmas, anxieties and tragedies of individual lines.

ويعترف لندن انه لا يوجد سوى قليل من الدراسات التي تصدت لدراسة هـــذه الكوارث *Crises* الإنسانية.

تأثير الصدمات على الصحة العقليـــة:

لقد وجد أن هناك بعض الصدمات *Traumas* التي تسبق الإصابة بـــالأمراض الجسمية، ففي دراســـة على العمال الأمريكان من النساء والرجال (١٩٥٧) تبيـن ان هناك نسبـــة عالية بين أولئك الذين يعانون من الأمراض الفيزيقية الخطيرة قد مـــروا بخبرات صدمية اجتماعية متعددة منها الطـــلاق والانفصـــال *Separation* ونشـــوب الصراع مع الطرف الآخر، او مع الآباء او مع الأبناء او الحيـــاة غـــير الطبيعيـــة او ظروف عمل غير سعيدة. وتحدث نفس النتائج إذا حرم الفرد المريض مـــن الاشـــباع العاطفي في العلاقات الشخصية المتبادلة أي: العلاقات الزوجية. ولقد تبين ان الاصابـــة بالقرحة المعدية ترتبط بعزل الفرد عن مجتمعه الذي كان يوفر له الحمايـــة. وبـــالمثل وجد ان فقدان شخص عزيز لدى المريض يرتبط بالإصابة بالسرطان والسل الرئـــوي، وخاصة ما يلقاه الفرد من صعوبات في العامين اللذين يسبقان الإصابة بالسل الرئـــوي. هذه الفترة تبين انها تضمنت كثيرا من حالات انهيار او تحطيـــم الـــزواج *Broken Marriages* او حدوث تغيير جذري في الوظيفة او في محل الاقامة لدى المريـــض *This Period included a high frequency of broken marriages and changes in occupation and residence.*

الإصابة بالأمراض الجسميـــة :

ان هناك ارتباطا بين التغيرات التي تحدث في العلاقات الشخصية وما يتبعـــها من مشاعر الاكتئاب، ومجموعة متنوعة من الأمراض الفيزيقية.

فلقد تبين ان خبرة فقدان انسان عزيز على الفرد تؤدي الى الامراض الفيزيقيـة والى شعور المريض بأنه لا حول له ولا قوة، والشعور بفقدان الامل. هذه المشـــاعر يتعرض لها المريض قبل حصول الاعراض الجسمية، تلك الاعراض التي تحدث بعـد اسبوع من واقعــة الفقدان.

الامراض العقلية تنتشر اكثر بين ارباب المستويات الدنيا، وترتبط بـــالظروف القاسية للحياة *Sense conditions of life in this segment of the population* بل ان هناك بعض الدراسات التي توحي بان سكان المناطق المحرومة اقصر عمـــرا، وان نسبـــة وفيات الأطفال، وكذلك الكبار تزداد عندهم. كذلك وجد ان معدلات البطالة *Unemployment* ترتفع عندهم، وأنهم اعتبروا البرامج التي وضعت من اجل إعـــادة توطنيهم في مناطق حضرية انها تمثل موقفـــا ضاغطـــا بالنســـبة لـــهم *Stressful Conditions* ذلك الموقف الذي قد يؤدي الى ظهور الأمراض العقليـــة ولا شـــك ان البيوت المحطمة *Broken homes* وكثرة الشجار والفتـــار والعـــراك بيـــن الآبـــاء والأمهات وضعف الصحة الجسمية ومتاعب العمل ومنغصاته تؤثـــــر فـــي أطفـــال الأسرة. ولقد وجد ان هناك تناسقا بين حدة الموقف الضاغط وشدة المرض، وكلمـا زاد عدد الضواغط او المواقف الضاغطة على الانسان كلما زادت حدة او شـــدة الشـــكوى العقلية. ولقد لوحظ ان تأثير هذه الضغوط يكون اكثر شـــدة لدى ابناء الطبقات الدنيـــا عنه لدى أرباب المستويات الاجتماعية والاقتصادية الأفضل وذلك من جـــراء تراكـــم الضغوط وتجمعها وتفاعلها فالضغوط الى تسلط على الفرد لا تعمل فرادى. وان كـــان هناك حالات من الضغوط لا تؤدى الى الإصابة بالأمراض، فحيث يتمكن الفـــرد مـــن التعبير عن انفعالاته، كما هو الحال في حالة الحرب واشتراك الجنود فيها، فانه يوفـــر لهم فرصا للتعبير عن ذواتهم وتصريف طاقاتهم وإظهار مهاراتهم، أما فـــي الحـــالات التي يعجز فيها الفرد عن التعبير عن نفسه، فإن الضغوط قد تـــؤدي الـــى الاصابـــة بالامراض العقلية *On the other hand, any disruption of a person's life which senders his usual of adaptation inoperative heighten the potential for pathological response (p 449 London).* فإن اضطـــرابا

في نمط حياة الفرد يعوق نمطه الطبيعي او المعتاد في التكيف، يزيد من احتمال إصابته. فالضغوط البيئية *Environmental stresses* قد تؤثر في نمط تكيف الفرد وان كان ذلك يتخذ صورة اشد في حالة المستوى الاجتماعي والاقتصادي المنخفض.

الحالة الزواجية *Marital Status* وأثرها في الصحة العقلية:

لقد وجد ان العجز العقلي يختلف باختلاف الحالة الزواجية للفرد فهل يختلف المتزوجون عن غير المتزوجين في الاضطرابات العقلية؟ وهل يختلف الرجال عن النساء في هذا الصدد ؟ بين المتزوجين لا يوجد فرق بين النساء والرجال في العجز العقلي. ولقد وجدت نفس النسبة بين الأرامل *Widowed* والمتزوجات وعلى العكس من ذلك كان هناك نسبة عالية من الاضطرابات او العجز العقلي بين المطلقات. فهناك فرق بين حالة الترمل وحالة الطلاق *Higher rates of impairment were repeated for divorced than for married people of both sexes.*

وكذلك المطلقون من الرجال فيبدو أن تأثير الطلاق يحدث للرجال كما يحدث للنساء لتشابه التجربة التي يمرون بها بين الحرمان والوحدة. اما العزوبة بالنسبة للرجال والنساء، فكانت مختلفة المرأة العزباء لم تختلف عن المرأة المتزوجة. أما الرجال العزاب فكانت نسبتهم أعلى من الرجال المتزوجين في هذه الاضطرابات وربما يمكن تفسير هذا الوضع بالنسبة للمرأة العزباء بأنها كثيرة الاعتماد على ذاتها، وبالتالي ترغب في البقاء عزباء بعيدة عن الزواج *Self-raliant* والنتائج المستمدة من دراسة مارتسون Martinson ١٩٥٥ تؤيد هذا الافتراض.

He reported that among fifty-nine pairs of single and married girls matched on many vaniables, the single girls showed better emotional adjustment, greater self-reliance, a greater sense of personal freedom, and fewer suithdraual tendencies.

وهناك تقرير *Day ton* عام ١٩٤٠ والذي وضع على الناس الذين دخلوا المؤسسات بسبب الاضطرابات العقلية في المدة من ١٩١٧ حتى ١٩٣٣ او لتوصي بأن الناس المتزوجين كانت فرصة اصابتهم بالاضطراب العقلي اقل من غيرهم.

وكانت أعلى نسب في الطوائف الاتية حسب هذا الترتيب في الدخول لاول مرة للمستشفى العقلي:

١- الارامل.

٢- العزاب.

٣- المطلقات.

وكانت نسبة الأرامل تزيد بمقدار ٤٥% عن المتزوجات وبنسبة ٨٠% عن العزاب، وتزيد عن المطلقات بنسبة ٢٣% اعلى.

وبالنسبة للرجال كانت نسبة الأرامل تزيد عن المتزوجين بمقدار ١٣٠% وعن العزاب بنسبة ٢٠٠%، وكان هناك زيادة قدرها ٤٠٠% لدى المطلقات. وكانت نسبة المطلقات اعلى في الاضطرابات العقلية عن المتزوجات.

وهناك كثير من الدراسات التي تناولت العلاقة بين الحالة الاجتماعية والتشخيص السيكاتري. وأمكن تصنيف المرضى على النحو الاتي :

١- متزوجون.

٢- عزاب.

٣- فئات أخرى تشمل المطلقات، المنفصلات، الارامل. هذه الطوائف تم دراستها في ضوء ست متغيرات هي :

١- مجموع سكان مدينة *Massachusetts* مؤسسا على احصاء عام ١٩٥٠.

٢- مجموع نزلاء المستشفى ومن بينهم بعض السجناء.

٣- مرضى الجنون الدوري *Manic-depression*.

٤- الفصام *Schizophrenics* .

٥- العصاب او الأعصبة النفسية.

٦- أرباب الاضطرابات الأخلاقية.

ولقد تبين ان نزلاء المستشفى يختلفون عن بقية المجتمع في الحالة الاجتماعية فنسبة كبيرة من المرضى كانوا من العزاب. وبالنسبة للرجال نسبة عالية كانت منفصلة ومطلقين أو أرامل، وذلك بالقياس لسكان المجتمع بصفة عامة. نسبة قليلة ممن كانوا يعانون من الجنون الدوري والعصاب النفسي كانوا من العزاب ونسبة اعلى كانت من المتزوجين وعلى العكس من ذلك كانت اضطرابات الأخلاق والفصام أعلى نسبة من العزاب، واصغر نسبة كانت من المتزوجين وكانت نسبة غير المتزوجين اعلى بين نزلاء المستشفى وخاصة بين الفصاميين ومرضى الاضطراب الخلقي ذلك لان اعراضهم تمثل الانسحاب الاجتماعي او الانطواء الاجتماعي والعدوان تجاه الآخرين.

اما الجنون الدوري والاعصبة تلك التي تتضمن نزعات نحو النقد الذاتي وبعض الاضطرابات الأيدلوجية، فكانت منتشرة اكثر بين المتزوجين.

ومن الأمور الهامة ايضا مقارنة الحالة الاجتماعية لدى المجرمين، فلقد وجد ان نحو ثلث الشبان والرجال الذين دخلوا الإصلاحيات او الحجز او السجن كانوا متزوجين.

فيما يتعلق بالنزاع او الخلاف او التنافر او النشوز او عدم الانسجام او التعارض والتضارب العائلي او الزواجي *Family discord* ، يرى لندن ان مشاكل الأسرة تشبه مشاكل كبار السن، بمعنى أن الاحداث السيكولوجية التي تهيئ للنزاع او الخصام العائلي والطلاق بين المتزوجين، وكذلك الصراع بين الابناء والاباء ليس من الضروري ان تختلف هنا الأشياء الآن عنها عما كانت عليه منذ قرن مضى. ولكن يلاحظ زيادة عدد الزيجات وعدد حالات الطلاق والصراعات الاسرية على القليل من جراء زيادة عدد السكان منذ الحرب العالمية الثانية .

هل في الإمكان التنبؤ بالسعادة الزوجية ؟

Predicting marital happiness

هناك محاولات للتعرف على الشروط او الصفات التي تسهم في جعل الزواج زواجا جيدا. ويمكن ان تنقسم هذه الصفات الى صفات في الشخص نفسه وأخرى في العلاقة بين شخصيتين او اكثر.

وهناك استبيانات يملؤها الازواج والزوجات للتنبؤ بالزواج السعيد، ومنها يمكن معرفة فرص الزواج السعيد او التنبؤ به. ولكن لا توفر هذه الاستبيانات دليلا كافيا ونهائيا بان الزواج سوف يفشل أو ينجح وانما هي مجرد مؤشر، ذلك لاتصاف سلوك الإنسان بالدينامية المطلقة وتعرضه للتغير وفقا لتغير المثيرات الوقتية التي يتعرض لها الإنسان. وتتوقف السعادة الزوجية على اساس الهدف من الزواج.

لا ينبغي ان يكون الزواج وسيلة من وسائل الهروب من مشاكل الحياة، وإنما ينبغي ان يكون خطوة ايجابية الى الامام ولا ينبغي ان يكون خطوة ناتجه عن التقليد، لأن جميع زملاء الفرد قد تزوجوا مثلا وهناك من يرغب في الزواج من أي انسان وبأي طريقة هروبا من مواقف غير سعيدة، كالمنزل التعس. او لوجود صعوبة في المدرسة او الجامعة او لعدم وجود فرص طيبة في المجتمع، وإنما هناك حياة مثبطة ولذلك هناك ما يعرف باسم زواج الضرورة. والشخص الذي نشأ في منزل يسوده العراك والشجار وعدم السعادة او في المنزل المضطرب او غير المنظم يجب أن ينظر لهذه الظروف على أنها إنذار معتم او كئيب للصعوبات التي تقف امام المقبلين على الزواج من الشبان. فالشاب يتصور أن هؤلاء الناس الذين يواصلون ملحمة الشجار الآن كانوا في يوم ما شبابا يتوقعون السعادة من وراء الزواج. وعندما تمت خطبتهم لم يجلسوا للتخطيط لحياة ملؤها النزاع والخلاف والخصام والاضطرابات والوقوع في الديون واليأس او خيانة العهد او الخيانة الزوجية *Infidelity* لقد كانوا يطمحون في حياة زوجية سعيدة ولكنها قد تسوء دون توقع منهم قد يرجع فشلهم لأن الواحد منهم اخطأ في اختيار شريك حياته، او ربما لأن الواحد منهم كان غير ناضج *immature* وغير قادر على الوفاء بمطالب التكيف للحياة الزوجية السعيدة. مثل هؤلاء الناس سوف يجدون أنهم هربوا من حياة تعسة الى حياة أخرى تعسة أيضا او لا تقل تعاسة عن الاولى. لا يمكن تصور علاج مشكلة بوضع الانسان في مشكلة اخرى فالمشاكل لا تحل بعضها بعضا ، وهناك رأي يقول ان الفشل الدراسي قد يؤدي الى فشل في الزواج، على اعتبار ان فشل الفرد في جانب من جوانب حياته أميل الى أن يقود الى فشل في الجوانب الاخرى. اذا كان الفرد عاجزا عن عمل النظام

المطلوب للنجاح الدراسي، فلا يحتمل أن ينجح أو أن يكون قادرا على صنع الاسرة مع مطالبها الرتيبــة والمتكررة.

اذا كان على الفرد ان يهرب من منزل اسرته غير السعيد، فإن الهروب يمكـن ان يكون الى العمل والى الاقامة في منزل مستقل بـــه. ومنـــه يستطيـــع ان يضـــع الاسس القوية التي يبدأ منها في البحث عن شريك مناسب. ولا يمكن الاعتقـــاد، علـــى طول الخط، بأن الزواج عبارة عن تعضيد متبادل، فقد يحتاج أحــد الطرفيـــن الـــى مساعدة الاخر في فترة ما، بينما لا يحتاج الى ذلك في فترات اخـــرى. ولكـــي يكـــون المرء قادرا على تقديم العون عندما يطلب منه، فإنه يجب ان يكون قـــادرا أولا علـــى الاعتماد على نفســـه.

ولا شك ان الحياة الزوجية تختلف اختلافا كبيرا عن حياة الوحدة او العزوبـــة. وهنـــاك من يجد صعوبة في التكيف للحياة الجديدة. والحقيقة ان المشاكل الشخصيـــــة لا تحل آليا عن طريق الزواج من ذلك مشاعر النقص والدونية *inferiority* لا يحلـــها الزواج، بل بالعكس قد يجسدها.

ولا تصبح العلاقات الاجتماعية اكثر سهولة بسبب الزواج. كذلك فإن الشـخص مدمن الكحول قد يجد فرصة اوسع للشرب كذلك فإن الشخص غير النـــاضج والانـــاني وسيئ التوافق سوف يتعس الطرف الآخر ويفسد عليه حياته اكثر من فرص شفائه هـــو فلا ينبغي ان يقوم الزواج على اساس من الانانية الفرديـــة وانما على اســـــاس حســـن الاختيار والتعاون والتراحم والتعاطف والمودة والسكينة.

سبـــل الوقـــاية من التصـــدع الأســـــري

لا شك ان استقرار المجتمع يرتبط برفاهـــة الوحدة الأولى المكونة لـــه وهـــي الأسرة.

فإذا صحت الأسرة صح المجتمع والعكس صحيح لان الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع، ومن هنا تبدو مسؤولية المجتمع حيال الـــزواج والحـــرص على استمراره قائماً وسعيداً.

ومن هنا كان لا بد من ان يوفر المجتمع اساسا قانونيا لحماية استقرار المجتمع على المدى البعيد ولإتاحة الفرصة امام الرجال والنساء لاستئناف حياة جديـــدة اذا مـــا باءت تجربتهم الأولى بالفشل والتصدع وعلى ذلك يجب ان يحرص المجتمـــــع لعـــدم اقامة زيجات لا يتوقع لهن البقاء *Survival* والى جانب ذلك فعلى المجتمع ان يســـاعد الزوج للتغلب على الصعاب التي تواجهه. وهناك ثلاث مهام للمجتمع هي، الحمايـــة او الوقاية *Prevention* والمواساة *Reconciliation* مع وجود نظـــام فـــاعل لحـــل المشاكل والمنازعات *Dissolution* هذه الانظمة متضافرة ومترابطة وينبغـــي بـــذل الجهد فيها كلها *(Dominian, p.129)*

والحقيقة ان الوقاية امر بالغ التعقيد لعدم ارتكازها على حقـــائق كثـــيرة ولان التدخل الخارجي قد ينال من حرية الفرد *Liberty* ويمكن للبرامج التعليمية ان تلعـــب دورا في هذا الشأن.

ولقد اهتم علماء الاجتماع بعامل العمر لشريك الحياة عند الزواج ومدى وجـــود حالات حمل قبل الزواج وذلك بالطبع في المجتمعات الغربية التي فيها ظاهرة الحمـــل قبل الزواج *Premarital pregnancy*.

ولكن هل تغير سن الزواج عما كان عليه في الماضي؟

لقد دلت الدراسات الإنجليزية على ان الزواج يتم الآن في سن مبكرة عما كـــان الامر عليه في الماضي. ويرجع ذلك الى تحسن الأحوال الماليـــة والمهنيـــة للأفـــراد

هناك. ولا شك ان الزواج يتأثر بالوضع الاقتصادي للمجتمع وبثقافته واوضاعه السياسية.

ففي الخمسينيات من هذا القرن كان هناك ٢٠% في بريطانيا من الزوجات او العرايس قد تزوجن قبل بلوغ سن العشرين وكان هناك ٩٣% تزوجن قبل سن ال ٢٥ عاما وفي بداية هذا القرن كان هناك ٢٠ من كل الف من العزاب ممن يقل عمرهم عن العشرين كانوا متزوجين.

وفي عام ١٩٦٣ ارتفع هذا الرقم الى ٧٩.

فهناك اتجاه نحو خفض سن الزواج في إنجلترا وفي أمريكا وكانت هذه الأرقام بالنسبة للعوانس *Spinsters* ١٠٤ و٣٠٥ على التوالي.

هل يؤثر سن الزواج على نتائجه او مصيره؟ لقد دل البحث على ان هذا السن يؤثر في استمرارية الزواج وعلى وجه الخصوص الزواج الذي يتم قبل بلوغ سن ١٨ عاما يتعرض للانهيار فالزواج المبكر في العمر يتعرض للانهيار والتصدع *Breaking down* فهناك علاقة بين الزواج المبكر وعدم استقراره.

ماذا كانت نسبة أولئك النسوة اللائي تزوجن مرة ثانية من أولئك اللائي تزوجن لاول مرة قبل بلوغ سن ١٨؟ لقد كانت هذه النسبة تساوي ثلاثة اضعاف نسبة النسوة اللائي تزوجن في السن من ٢٢-٢٤ عاما. الزواج قبل سن ١٩ يتعرض لمخاطر كبيرة وتفسير ذلك ان صغر السن يكون في الغالب مرتبطا بعدم النضوج العاطفي وبقلة الخبرة وبعدم الاستقرار الاقتصادي او المهني او الدراسي وبالتذبذب العاطفي وسرعة التغير الانفعالي. والحقيقة انه لا يوجد تفسير واحد او سبب واحد لانهيار الزيجات المبكرة .

وان كان نضج الاعضاء الجنسية والوصول للقدرة على التناسل *Reproduction* غير كاف لاقامة علاقة زواجية متكيفة وناجحة ومن العوامل الرئيسة في الحياة الزواجية الدافعية *Motivation* التي تكمن وراء اقبال الفرد على الزواج او تدفعه للقيام بإتمام الزواج فالدافعية هي المحرك للانسان للقيام بأنماط معينة من السلوك .

تدل معظم الدراسات على ان مثل هذه الدافعية لدى بعــض الزيجــات يكمــن ورائها دافع او حاجة قوية للهروب او التخلص او الخلاص من حياة غير سعيدة ولكـن يجد الفرد بديلا يحقق الأمان *Security* ولذلك يقام الاتحاد الزواجي للـــهروب مــن المشاكل الشخصية. ولذلك يشعر الفرد المقبل على الزواج انه سيجد الصحبة الحميمــة والامان والهروب من موقف لا يحتمل. وكذلك قلة الخبرة وعــدم الثبــات الانفعــالي *Emotional Instability* يتضاعف تأثيرها السلبي بالصعوبات التي يقابلها الـزواج من الناحية الاقتصادية ومشاكل الاسكان *Economic and Housing difficulties* .

في بداية حياة الزوجين يكون المكسب المادي محدوداً والمصروفات او الانفاق كبيرا. وعندما تتكاتف وتتظافر المشكلات الناتجـــة عــن عــدم النضــج الانفعــالي *Emotional Immaturity* وصعوبات الاقتصاد والاسكان حتى تصبح فوق طاقـــة الاحتمال ولا شك ان مساعدة الشباب في هذا الصدد امر صعب، فمنع هذه المشــكلات امر صعب التحقيق وخاصة اذا علمنا ان القانون يسمح بالزواج في سن ١٨ عاما. ففي هذه السن يبدو الزواج كما لو كان حلا سحريا للمشاكل التي يعـــاني منـــها الشــباب. ويحتاج الأمر الى المرشد النفسي المؤهل تأهيلا جيدا لاقامة علاقة ثقـــة بينـــه وبيــن الشباب أولاً للتهيؤ لقبول الحلول.

الزواج عديم الاطفال *Childless Marriage* الناجم عن نقص القدرة علـــى الإخصاب *Fertility* يواجه مشكلة اصعب وبالمثل فان الحمل قبل الزواج من اســباب الانفصال وخاصة اذا كان الزواج قد تم مبكرا في السن. عندمـــا تتضـــافر العوامــل المهددة للزواج يحدث الانفصال كأن يجتمع صغر السن مع الحمل قبل الزواج. بــل ان الحمل المبكر الذي يأتي بعد الزواج مباشرة قد يكون مــن اســباب الطــلاق مقارنـــة بالإنجاب المتأخر او المؤجل.

ولقد وجد ان تأثير الحمل السابق على الزواج يتوقف على نوع الثقافة وعمـــا اذا كانت تدين بالفوضى الجنسية من عدمه، ففي حالة الإباحة الجنسية تكـــون الآثـــار السلبية اقل، ولكن في جميع الأحوال حتى في ظل الثقافة الأمريكية و الأوروبية فـــان الحمل السابق على الزواج من عوامل حدوث الطلاق، والسبب في ذلــك هــو لجــوء

الطرفين للزواج لان هناك طفلا في الطريق، وليس لانهما مناسبان لبعضهما البعض. وفي هذه الحالة يبدأ الزواج بالمآسي او الأحزان او الآلام *Grievances* والشعور بالعدوان *Guilt* تلك المشاعر التي تظهر كلما ظهرت في الأفق صعوبة ما كذلك يصاحب هذا النوع من الزواج مشاعر الحصر *Amxiety* والذنب من خلال القيم الاخلاقية ومن تعليقات الاخرين عليهم. وبصرف النظر عن هذه المشاعر السالبة، فان الزواج يبدأ وقد تحول الانتباه الى الطفل بدلا من ان يتجه من احدهما الى الاخر وفي هذه حرمان عاطفي *Deprivation* قد لا يحتمله بعض الأشخاص ولذلك يتعين تحاشى الزواج المتسرع.فالزواج لا ينبغي ان يتم الا اذا كان الطرفان مستعدين له وقادرين على تحمل أعبائه. وفي الوقت الذي ينادي فيه بعض كتاب الغرب بتقديم المساعدات للاسر غير المتزوجة وتوفير الأرشد النفسي لها بدلا من الزواج او الدعوة للأخذ بنظام تبني الاطفال *Adoption* نجد الاسلام وقد اعتمد على توعية الشباب وحثهم على الصوم في حالة تعذر الزواج والتمسك بالطهارة والعفة والاهتداء بهدي التقوى والورع والخشوع وفي ذلك يقول الحديث النبوي الشريف: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء).

فالتعليم والتنشئة وتكوين عادات ضبط النفس افضل السبل لتحاشي مثل هذه المشكلات.

وبصرف النظر عن عامل السن، هل تؤثر مدة الخطوبة في نجاح او فشل الزواج؟

في فترة الخطوبة *Engagement Period* يتم الإعداد والتهيؤ والاستعداد وعلى ذلك اذا كانت هذه الفترة ناجحة كان الزواج ناجحا والعكس صحيح. وعلى ذلك أيضا يمكن اتخاذ نجاح فترة الخطوبة او الدرجة التي تعبر عن هذا النجاح كمؤشر للتنبؤ بنجاح الزواج *Prediction* ولقد دلت الدراسات الكثيرة أن مدة بقاء التعارف والخطوبة *Duration of acquaintance and engagement* ترتبط بالزواج السعيد وكلما طالت هذه المدة كلما كان الزواج اكثر عرضة للسعادة وكلما قصرت كلما كان الزواج اقل سعادة.

ولكن كم تبلغ هذه المدة لضمان النجاح؟ لقد دلت بحوث كثيرة على أن الحد الأدنى لهذه المدة هو تسعة شهور للخطوبة.

الزواج الذي يحدث بعد فترة تعارف قصيرة *a brief acquaintanceship* يكون مؤسسا على الإثارة الفيزيقية دون توفر الفرصة لاختبار الصفات الشخصية وهي التي سوف تقف في مواجهة الضغوط والصعاب والازمات والتوترات والحياة اليومية.

فالخطوبة للتعارف والتفاهم والتدارس.

ومن اهم العوامل التي وجدت مرتبطة بالطلاق ما يلي:

١- قصر مدة الخطوبة أي الزواج المتسرع.

٢- عدم الالتصاق العاطفي والعجز عن اظهار العاطفة.

٣- معارضة الاباء للزواج *Parental opposition* .

٤- الفروق الثقافية.

٥- الفروق الدينية .

٦- الفروق الاجتماعية.

٧- وجود صعوبات شخصية.

وهي ذات الاسباب التي تؤدي الى فسخ الخطوبة *Broken engagement* ولكننا لا يمكن ان ننسى ان هناك عوامل شخصية في بناء الانسان نفسه تكمن في الخلفية بمعنى ان هناك عوامل مهيئة وأخرى مهيّرة او معجلة بحدوث الانفصال او فسخ الخطوبة *Precipitating factors* فقد يكون فسخ الخطوبة بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير وقد يكون هي نفسها نتيجة لتوترات نفسية سابقة.

ففسخ الخطوبة ينتشر اكثر بين المرضى النفسيين العصابيين *neurotics* واصحاب الاضطرابات الشخصية *Personality disturbances* وقد يعاني الفرد من الانقسام بين العقل والعاطفة.

ضرورة فض المنازعات الأســرية

لاستمرار الزواج قائماً لابد من فض ما قد ينشأ من منازعات داخــل جــدران الأسرة *reconciliation* أي تسوية النزاعات وتحقيق المصالحة بين اطراف الأســرة أولاً بأول وقبل ان تتفاقم الأمور وتصل الى طريق مسدود في الحقيقة لا توجد دراسات كثيرة عن العلاج الاسري او العلاج الزواجي *Marital Therapy* ولذلــك يصعــب علينا الاجابــة عن كثير من التساؤلات حول هذا الموضوع، فمن الذي يسعى لمثل هذا العلاج ومن الذي يقوم به وما هي نتائجه بعيدة المدى؟ وان كانت هناك اعــداد كبــيرة تشير الى الحاجة الى هذا العلاج والتي تبحث عن المساعدة.

فمنذ وقت مبكر يرجع الى عام ١٩٦٣ كان هناك ٤١٨١٥ حالة لدى مركــز المراقبة بالمملكة البريطانية المتحدة *Probation Center* . وفي عــام ١٩٦٤ كــان هناك ٥٧٥٤٠ من المقابلات التي اجراها مجلس التوجيــه القومــي *The National Marriage Guidance Council* وكان هناك ١٧٩٠٥ مقابلــة اجراهــا المجلــس الزواجي الكاثولوكي الارشادي *The Catholic Marriage Advisory Council* وكان هناك ٣٥٠٠ حالة مقابلة لــدى مكتــب المناقشــات الزواجيــة *The Family Discussion Bureau* ولا يتضمن هذا العدد الاسر التي حصلت على المساعدات من جمعيــة رعايــة الأسرة *The Family Welfare Association* وهناك الاف الاسر التي ترددت على عيادات الطب العقلي *Psychiatric Clinics* .

وضعت لجنة مورتون وهي اللجنة الملكية الخاصة بالزواج والطــــلاق *The Moston Commission (Royal commission on Marriage and Divorce 1951 – 1955)* ، وضعت شروطاً تتضمن توفير الضمانات الاكيدة والكافية لعــــدم الافصاح عن أي شئ مما يقوله العملاء للمرشد دون موافقة العميل نفســه. واعتــبرت ذلك احد شروط ومتطلبات المصالحة الناجحة.

وبطبيعــة الحال لابد من توفر الدافعيــة *Motivation* والرغبــــة لــدى أطراف العلاقة الزواجية *Partness* في تلقي المصالحة، اما اذا كان احدهما او كلاهما

رافضا لها فلا جدوى من بذل المجهود. وقد يعوق المصالحة ايضا وجـود اتجاهـات صماء جامدة وعدم وجود امل في فض النزاع بين اطرافـه ولذلك لا بد مـن توفـر النيـة والرغبة والعمـل علـى تكوينـها. والـى جـانب توفـر الإرادة والاستعداد *Willingness* لا بد من توفر الوعي والنضوج او النضج *Maturity* بحيث يكـون هناك تقدير لهذا الجهد. كذلك اذا غاب الاستعداد للتغيير فان المصالحة تجـد صـدى. ويتوقف تكيف الفرد على مبلغ نضوجه وحتى اذا لم يكن في مقدور المصالحـة انقـاذ الزواج من هذا النوع فانها تفيد في تعريف الاطراف بالموقف وبذلـك نمنـع حـدوث مضاعفات وتعقيدات قد تحدث في المستقبل ومنع الانسان او الانجاب *Procreation* في حالة تعثـر الزواج منذ البدايـة.

واذا توفرت الدافعية الكافية والظروف الصحيحة لخلق الثقـة في المرشد، فإن المصالحة قد تفيد الأطراف. حيث تتاح الفرصة لإشباع الحاجات والرغبـات والآمـال التي جمعت بين طرفي العلاقة. وعلى ذلك يلزم توفير التدريب الملائـم لقيـاس هـذه السمات وتلك الدوافع في أطراف العلاقة بصورة موضوعية دقيقة وليست ذاتية او وفقـا لأهواء المرشد.

وبعد هذا التقويم للحالة يقدم المرشد المساعدة في بعض الموضوعات الخاصـة التي تشكل مشكلة بالنسبة للطرفين او لأحدهما. ومساعدة الأفراد وعلى توضيح الأمـور بالنسبـة لهم. والحقيقة انها المشاعر والانفعالات والعلاقات الداخلية المتبادلة المتداخلة وهي التي يتعين الاعتراف بها وفهمها اكـثر مـن المشـاكل الخارجيـة كالمشـاكل الاقتصادية ومن المشاكل الرئيسـة التي ينبغي التصدي لها عدم وجود مسكن مناسـب للزوجين *Accommodation* او عدم وجود النقود اللازمة او عدم وجـود عمـل او وجود احد الأقرباء او الأصدقاء الذين يتدخلون في حياة الزوجين مثل هـذه المشـاكل يجب ان تناقش وتعالج بأمانة وصراحة.

كذلك من الاهمية بمكان علاج اعتلال الصحة الجسـمية والعقليـة والنفسـية للزوجين او لاحدهما. ذلك لأن المصالحة لا تجدي في حالـة وجـود الآلام او التعـب الزائد او الارق أو القلق الزائد او الاكتئاب *Pain, Fatigue, insomnia, anxiety*

and depression (Dominion 141). هذه الأعراض نتيجـــة للصـــراع *Conflict* الدائر بين اطراف العلاقة وبعد تحقيق الاستبصار *Insight* الكـــافي بـــهذه المشاكل قد يلزم الاستعـــانة ببعض العقاقير لمساعدة الاطراف علـــى التركـــيز علـــى التوترات الداخلية المتبادلة في العلاقة الزوجية *Personal tensions* .

كذلك هناك سلسلة من الصعوبات الاساسية التي قد تنشأ مـــن جـــراء وجـــود اختلافات بين الطرفين في الامور الاتيـــة:

١- الـــدين.

٢- السلالـــة أو الجنس .

٣- الطبقـــة الاجتماعيـــة.

٤- المكانـــة الاجتماعيـــة.

٥- السمات والخصائص والخصال والعادات الشخصية.

ولا شك انه اذا لم تتوافر القيم المشتركة والأهداف المشتركة والمثل والمعـــايير المشتركة والعادات والتقاليد الاجتماعية، فإن الزواج يفقد واحدا من أدوات اللحمة القويـــة في اواصره *Some powerful means of cementing a marital bond are lacking* ولذلك كانت فطنـــة الاسلام وعبقريته في الحرص علـــى تكويـــن الأســـرة السوية حيث نصح بالزواج من المرأة التي تجتمع فيها فضائل الدين اولاً وقبل كل شـــئ ثم المال والجاه والاصل والنسب.

تقويـــم الحـــالة او تشخيص المشكلة :

لعل من اولى خطوات علاج اية مشكلة طبيـــة او نفســـية او اجتماعيـــة هـــو تشخيصها *Diagnosis* .

والتعرف على أسبابها، وفي الغالب ما تكمن هذه الأسباب فيما يلي :

١- الحـــرمان الزواجي *Marital Desperation*.

٢- الفـــروق الاجتماعيـــــة.

٣- اعتـــلال الصحـــــة.

٤- سمات شخصية سيئة او غير سارة لدى الطرف المذنب.

وعلى المرشد ان يعمل على إزالة هذه الأسباب باقتراح مصادر المساعدة الطبية او الفيزيقية ثم بعد ذلك يركز على ضرورة عدم الانسجام او عدم الوئام الزواجي *The roots of marital disharmony namely personality conflicts.(Dominc P 142)*

ويتطلب حل مثل هذه المشاكل الصبر والمشاركة الوجدانية والقدرة على تخيل الانسان في موقف الغير من قبل المرشد حتى تأتي عملية الإرشاد ثمارها المرجوة في حل الازمة واعادة الوئام.

والمعروف ان العملاء يستجيبون بطريقة إيجابية للشخص الذي يشعرون انه يتعاطف معهم ويتفهم موقفهم ويشعر بما يشعرون به ويحس بإحساسهم. ولذلك فان الاتجاه المملوء بالدفء والفرد يساعد في تحقيق العلاج.

ومن الجدير بالملاحظة ان يتذكر المرشد انه في هذا الموقف عليه ان يستمع لا ان يكون قاضيا يصدر أحكاما بالبراءة او الادانة وليس عليه ان يقف موقف الناقد او يقدم حله الخاص او الشخصي للازمة.

عليه ان يشارك عاطفيا وان يصور نفسه في مكان الغير، وان يشعر الغير بالدفء وحسن الاستماع، عليه ان يتواصل مع العميل. وسوف يتطلب علاج الازمة إحداث بعض التغييرات وعلى ذلك سوف يرى العميل ان ما كان يعتقد انه السبب في المعاناة في الزواج، ليس هو في الحقيقة السبب، وانما تكمن جذور المشكلة في الصعوبات العاطفية وفي المشاكل وهي التي يتعين ان نتعرف عليها وندركها ونقدرها حق قدرها ونغيرها ولو بالتدريج. من ذلك ضرورة تغيير اتجاه الرفض الذاتي او النبذ الذاتي *Self-rejection* .

وان يصبح الفرد مستعدا لقبول حب الطرف الآخر ورعايته. كذلك يلزم مساعدة العميل في تحقيق قدر كبير من النمو الانفعالي لكي نقلل من اعتماده على الغير او تواكله وتحقيق قدر معقول من الاعتماد على الذات *Self-reliance* ذلك لان هناك زوجات تلقي بثقلها كله على كاهل الرجل وتضع عليه مسئولياتها هي نفسها، فتصبح

عالة ثقيلة مغلولة الى عنقه وبمرور الزمن وبازدياد اعتماديتها وتواكلـــها والقـــاء كـــل اعمالها عليه تنوء قدراته على احتمالها وقد يتخلص منها كلية.

فهناك حالات تطلب فيها الزوجة من الرجل بل وتفـــرض عليـــه ان يقضـــي مصالحها الشخصية وان يحل لها مشاكلها في العمل ويزودها بالمال اللازم ويذهب بـــها الى الطبيب وينقلها بسيارته الى زيارة اهلها واصدقائها وينتظرهـــا حتـــى تنتـــهي مـــن تصفيف شعرها عند الحلاق وما الى ذلك. ويؤدي ذلك الـــى شـــعور الـــزوج بالفشـــل والاحباط والعدوان وانها حمل لا يطاق .

الذكاء وحده لا يكفي:

على انه لا يكفي الذكاء وحده لحل مشاكل الفرد وخاصة مشاكله الانفعالية، فقد يستطيع الفرد ان يستبصر مشاكله، ولكنه يظل عاجزا عن حل المشاكل الانفعاليـــة، ولا بد اذن من توفر المرشد النفسي المدرب او المعالج النفسي المتحرر من قيـــود الموقـــف وضغوطه، والذي يكرس جهده لحل الأزمة.

والإرشاد يوفر فرصة لكي يكتشف العميل قيمه واستعداداته وقدراته وامكاناته.
والمرشد يساعد الفرد على اكتشاف ذاته والتعرف على قيمتها او وزنـــها وهـــو يقبـــل عملائه كأناس يستحقون الحب والتقدير.

دائرة التفاعـــل:

والزواج الناجح يحقق الاشباع، وبالتالي يسمح بمزيد من النمو فـــي قـــدرات الفرد وميوله واستعداداته وسماته الشخصية. انها دائرة ايجابية والانسجام فـــي الـــزواج يؤدي الى النمو والتقدم. والتقدم بدوره يؤدي الى الوئام في الـــزواج. وعلـــى الجـــانب السلبي نجد ان الزواج التعس يقود الى الاضطرابات والاضطرابات بدورها، تؤدي الـــى مزيد من التعاسة الزوجية.

ان حياة الانسان سلسلة مترابطة من السمات والمتغيرات المتفاعلة المتكاملة.

قد يعمل المرشد او المعالج مع احد الزوجين على انفراد، ولكن هناك اتجاه حديث مؤداه ان يعمر .... الاطراف كمعالج للآخر *Spouses* ويتأتى ذلك بعد ان يقابلهم المعالج الاثنين معا لعدة جلسات .

وقد تتم المقابلة وحدهما او تتم ضمن مجموعة من الازواج او في هذه الحالة يساعد الجو الجماعي في إزالة سوء الفهم.

الوضع المثالي ان تتم المقابلة مع الزوجين معا، ولكن قد يكون ذلك أمرا متعذرا في كثير من الحالات في حالة إحساس الاثنين بان كليهما مجروح. وهناك من يعتبر طلب المساعدة اعترافا بالفشل. وفي الغالب ما يلقي كل طرف بمسؤولية التعاسة الزوجية على الطرف الآخر. ولكن حتى إذا أصر احد الأطراف على عدم البحث عن المساعدة، فان الطرف الثاني قد يقدم عليها ويقاوم رفض الطرف الآخر.

وللعلاج الأسري حساسية خاصة، ذلك لانه إذا نجح في إحداث تغيير ما في سلوك طرف من الأطراف، فان ذلك قد يؤدي الى انهيار حالة التوازن التي كانت قائمة بين الطرفين. وقد يؤدي ذلك الى الإسراع في الانهيار الزواجي بدلا من إصلاحه.

وعلى ذلك، فان العلاج الزواجي *Marriage therapy* ينبغي ان تقدم معالجة كلية شمولية اجمالية بمعنى ان تكون معالجة او مساعدة اجتماعية وطبية ونفسية وزاوجية وعقلية وشخصية بحيث تحقق التكامل *Integration* .

وفي المملكة البريطانية المتحدة يمكن الحصول على المساعدات الاسرية او العلاج والارشاد الزواجي من المؤسسات الآتية:

١-ضباط المراقبة *Probation officers* وقد يقدم الازواج اليها بارادتهم الحرة او عن طريق تحويلهم عن طريق المحاكم.

٢- المجلس القومي للتوجيه الزواجي *The National Marriage Guidance Counsel* وله اكثر من ١٢٠ فرعا للارشاد ويعمل به اكثر من الف مرشد متطوع.

٣-المجلس الكاثولوكي لنصائح الزواج *The Catholic Marriage Advisory Counsel*

العوامل النفسية في تجربة الطلاق

تعريف الطلاق:

يعرف الطلاق بأنه فسخ رابطة الزواج لسبب منصوص عليه قانونا، وتختلف الأعراف التي تبيح الطلاق، باختلاف المجتمعات، ومن اهم الاسباب التي تجيز طلب الطلاق او الأسس التي يبنى عليه: *Grounds of Divorce* الزنا والهجران عدة سنوات، والقسوة، والجنون الذي لا يرجى شفاؤه.. الخ وحق المرأة في طلب الطلاق اقل نطاقا من حق الرجل.

وهناك فرق بين الانفصال والطلاق *Separation and divorce* ففي الطلاق يكون الطرفان احرارا في إقامة علاقات زواجية جديدة، بينما في الانفصال يقتصر الأمر على الانفصال الجسماني، وعدم الاتصال الجسماني، واستقلال كل طرف من المأكل والمخدع[1] مع بقاء الرابطة الزوجية كما هي.

ويمكن النظر للطلاق على انه ترتيب نظامي لإنهاء علاقة الزواج والسماح لكل طرف بحق الزواج مرة أخرى، وقد يساعده ذلك على إعادة تكيفه. كذلك من معاني الطلاق انتهاء رابطة الزواج، او إصدار اعلان قانوني ببطلان هذه الرابطة، وقد يشير هذا المصطلح الى حدوث انفصال بين الزوجين، بحيث لا يغير هذا النظام من العلاقات القانونية بينهما، التي نجمت عن الزواج. ويجد علم الاجتماع المقارن صعوبة في تعريف معنى الزواج في الثقافات المختلفة، وهذه الصعوبة هي التي تجعل من العسير تكوين فكرة محدودة وواضحة عن الطلاق في كل المجتمعات.

ولذلك هناك صعوبة أيضا في تحديد معدلات الطلاق في المجتمعات المختلفة[2]، ولكن لا بد من التفرقة بين مجرد الانفصال والطلاق، ففي الطلاق يصبح كل طرف من الأطراف حرا في إقامة زواج جديد. ولا يصلح هذا التميز في

---

[1] ـ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦، ص١١٦.

[2] ـ محمد علي محمد، وآخرون، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، ١٩٨٥م، ص٦٣٩.

المجتمعات التي تتعدد فيها الزوجات، إذ الزوج حر في ان يجمع في عصمتـــه أربـــع زوجات. والطلاق عبارة عن انفصام علاقة الزواج بسبب منصوص عليـــه شـــرعا او قانونا.

ومن أخطر أسباب الطلاق الزنا، والهجران، والقسوة، والجنون الميؤوس مـــن شفائه. والطلاق معناه رفع القيد كأن يتم إطلاق سراح الأسير او السجين أي رفع قيـــد الزواج او رفع قيد النكاح.

العوامل المسؤولة عن حدوث الطلاق:

وهناك عوامل كثيرة من أهمها العوامل النفسية او انعكاساتها التي تؤدي الـــى حدوث الطلاق، تعد مسئولة عن حدوث الطلاق. من ذلك صغر سن الزوجيـــن، فكلمـــا كان سنهما عند الزواج صغيرا كلما زادت احتمالات الطلاق، ومرجع ذلك قلة الخـــبرة، وقلة النضوج *Lack of maturity and experience* ، فلقد وجد ان الذين يـــتزوجون قبل بلوغ سن العشرين تبلغ نسبة الطلاق بينهم ضعف الذيـــن يـــتزوجون بعـــد ســـن العشرين. وبالتالي يقصر عمر الزواج في هذه الزيجات، حيث وجد ان نصف حـــالات الطلاق تحدث في السنوات السبع الأولى من عمر الزواج.

وقد يسبق الطلاق خطوات كثيرة من الانفصال الجزئي او الهجر ومحـــاولات اصلاح ذات البين ومعنى ذلك ان خطوات الطلاق تبدأ قبل ذلك بكثير، منذ ان يتســـرب التصدع الى الكيان الزواجي. ومن العوامل السببية كذلك طلاق الوالدين، حيث وجـــد ان الأزواج الذين ينحدرون من آباء وأمهات مطلقين اميل الى ان يطلقوا هم أنفسهم.

وليس معنى وجود مشكلات في الحياة الزوجيـــة ان ينتـــهي الـــزواج حتمـــا وضرورة بالطلاق، فقد يظل الطلاق، الا عندما يصل الطرف الذي يطلبه الى القناعـــة بان الطلاق افضل من الحياة الزوجية التعيسة.

ومما يدل على ان حياة الزواج مفضلة عن حياة العزلة او الوحدة هناك زوجـــة من كل اربع زوجات مطلقات يتم زواجها مرة ثانية والعودة الى حياة الزواج وذلك فـــي المجتمع الأمريكي.

ومن العوامل المرتبطة بحدوث الطلاق انخفاض مستوى المعيشة للزوجين او ضعف المستوى الاقتصادي والاجتماعي، فالطلاق بين الفقراء اكثر منه بين الأغنياء لان عدم الراحة الناجمة من قلة الدخل تؤثر في الزواج وقد تدفع الى الطلاق وكذلك فعدم استقرار الدخل قد يؤدي الى الطلاق. واذا كان الدخل المنخفض جدا وغير المستقر من أسباب الطلاق، فان الثراء الفاحش أيضا قد يدفع الى الطلاق، كما يلاحظ في أوساط المهن الفنية.

والغريب ان هذه العوامل ليست مطلقة سواء أكانت صغر السن او قلة الدخل او زيادته، لان هناك ملايين الحالات من هذه الفئات التي لا تنفصل، ومؤدى ذلك ان الإحساس النفسي بهذا العامل السببي او ذاك هو المسئول عن الطلاق وليس العامل من ذاته، والحقيقة ان الشعور النفسي هو الذي يكمن وراء الرغبة في الطلاق، حينما يتصور الزوج او الزوجة انه لم يعد جذابا بالنسبة لشريكة حياته، وان حياته قد تغيرت بهذا الزواج عما كان يرغب فيه او عما كانت قبل ذلك. فالطلاق قد يرجع لعوامل حقيقية او عوامل" وهمية متخيلة" فقد يتوهم احد الاطراف بان الطرف الآخر اصبح لا تربطه به علاقة حب وعاطفة، فيفكر في الانفصال عنه.

وهناك من يرجع الطلاق الى حالة نفسية أخرى حين يوازن الفرد بين مزايا بقاء الزواج وعيوبه، ومزايا الانفصال، فاذا شعر ان للانفصال مزايا اكثر، فانه قد ينزع الى الطلاق. وسواء كانت حسابات الخسائر والأرباح هذه حقيقية ام " وهمية "، فإنها قد تدفع الى الطلاق.

وقد يقبل الزوج على الطلاق بتأثير ما يلقاه من عوامل جذب من خارج نطاق الزواج، كالصحبة او الصداقة او الزملاء أي البديل عن حياة الزواج الفاشل.
فاذا فازت كفة الزواج في عقد المقارنات بقي، واذا قلت انفصم الزواج. وقد لا تكون هذه الموازنة عادلة او موضوعية، فقد يتحيز الفرد فيقلل من مزايا الزواج في نظره، ويضخم من عيوبه، او من مزايا الانفصال.

وهناك عوامل نفسية تقاوم الطلاق، من ذلك الخوف على مستقبل الاولاد او نسيان علاقات الحب والتعاطف والمشاركة الوجدانية التي سبق ان قامت بين الزوجين،

والخوف من المجهول بعد الطلاق. وكذلك مقاومة الاهل والخوف على إفساد علاقة الود بين الاسرتين، وخاصة في حالة القرابة.

تشابك وتعقد العوامل المسؤولة عن الطلاق:

والطلاق عملية معقدة ومتشابكة، وليست بسيطة، ولا يحتمل ان يقف وراءها سبب واحد دون سواه، ولكن تتشابك وتتفاعل في حدوثه العوامل الموضوعية المحددة والواضحة والعوامل الغامضة أو اللاشعورية، فقد يدخل فيه زيادة أعباء العمل، ووجود مشكلات مع الأهل، والأقارب، أو وفاة أحد أفراد العائلة، وتغير الوظيفة أو الانتقال لمكان بعيد أو وجود طرف ثالث. وقد يعزوها البعض الى القضاء والقدر ويصعب تحديد المسؤول عن الطلاق، فإذا سئل الزوج قال: إن الزوجة هي المسؤولة وإن سألنا الزوجة قالت انه الزوج.

عدم النضوج وقلة الخبرة :

وفي بعض الدراسات كان عدم النضوج من بين الأسباب المؤدية للطلاق، وفقدان الشعور بالثقة من الطرف الآخر، وزيادة المطالب الجنسية الزوجية من جانب الزوج، وانشغال الأم أكثر من اللازم مع الأولاد، وإدمان الخمور والمخدرات، والمشكلات المالية والوظيفية والمشاكل العاطفية والشخصية.

وفي دراسة أمريكية جاء في مقدمة الأسباب فقدان عنصر التفاهم، والنزاع حول الأدوار التي يقوم بها كل من الرجل والمرأة، وتعاطي الخمور وعدم الانسجام، وتغيير الاهتمامات والقيم، والانهماك في العمل، وقلة الحياة الاجتماعية، عدم الإحساس بالحياة العائلية. وإذا كان لكل من الزوج والزوجة أسبابه، فإن هناك أسبابا مشتركة عند الطرفين مثل تعاطي الخمور أو انعدام الثقة أو قلة التفاهم[1].

ويعتقد كثير من الناس أن طلاق الأم يؤثر تأثيرا سالبا على نفسية أبنائها، ولذلك يتعين تحاشي الطلاق بقدر المستطاع حماية لصحة الأبناء.

---

[1] - ثروت محمد محمد شلبي، الطلاق والتغير الاجتماعي في المجتمع السعودي، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٨٨ ص ٨٦

والطلاق، من الناحية الشرعية، مباح لرفع الضرر عن أحد الزوجين، أو كلاهما لقوله تعالى ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ سورة البقرة، وقوله تعالى﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ سورة الطلاق، ويجب الطلاق إذا كان ما لحق أحد الزوجين من الضرر لا يرفع إلا به، كما أنه قد يحرم إذا كان يلحق بأحد الزوجين ضررا، ولم يحقق منفعة تفوق ذلك الضرر أو تساويه، وذلك لقول النبيﷺ للذي شكا إليه بذاء امرأته :" طلقها " وقوله " أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة "[1].

ولا يقع الطلاق إلا من الزوج المكلف، فليس لغير الزوج أن يوقع طلاقا، ويجب أن يكون الزوج عاقلا بالغا مختارا غير مكره لقول النبيﷺ " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " ولا يقع الطلاق لامرأة ليست للمطلق، ولا على امرأة بائنة منه بالطلاق الثلاث، او بالفسخ او بطلاق قبل الدخول بها. فالطلاق لا يقع إلا على الزوجة التي تربطها بالزوج المطلق رابطة زواج حقيقية، بأن تكون في عصمته، لم تخرج عنه بفسخ أو طلاق أو حكما، كالمعتدة من طلاق رجعي أو بائن بينونة صغرى ولا بد لحدوث الطلاق شرعا أن يتوفر اللفظ الدال على الطلاق صريحا كان او كناية فالنية وحدها بدون تلفظ بالطلاق لا تكفي ولا تطلق بها الزوجة لقول النبي ﷺ " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به " متفق عليه[2].

وجوب محاولات الصلح وحل النزاع :

والحقيقة أنه على المسلم واجب الصلح بين الزوجين قبل أن يصل الأمر الى حد الطلاق، فهناك دعوة عامة من إسلامنا الحنيف لاصلاح ذات البين، واعتبار الصلح خيرا، والنظر للمسلمين أو المؤمنين على أنهم أخوة جميعا. فقد جاء الهدى الاسلامي فقال تعالى: ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ النساء ١١٤، وقوله تعالى: ﴿ والصلح خير﴾ النساء ١٢٨، وقوله تعالى:

---

[1] – ابو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، مكتبة الدعوة الإسلامية وشباب الأزهر، قطر، ١٩٦٤م.

[2] – ابو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، مكتبة الدعوة الإسلامية وشباب الأزهر، القاهرة، ١٩٦٤م.

﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ الانفال ١، وقوله عز وجل ﴿ إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ الحجرات ١٠، ولقول الرسول ﷺ " كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله او ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة " متفق عليه[1].

وعلى المجتمع الحديث ان يتصدى لظاهرة الطلاق لتقليل انتشارها بقدر المستطاع، ذلك لان الدراسات الأوروبية الحديثة تدل على ان الطلاق احد عوامل الجريمة والجنوح *Divorce is a factor in crime and delinquency* . بل انه يرتبط بالمرض، وبعض حالات القرح *Cancer* والانتحار *Suicide* .

فلقد وجد ان الطلاق يحتل المكانة الثانية مباشرة بعد موت شريك الحياة *Death of Spouse* من قائمة احداث الحياة الضاغطة التي تتطلب اعادة التكيف *Readjustment* .[2] فالطلاق وجد انه منتشر اكثر بين المترددين على دخول المستشفيات، ولقد وجد ان المطلقين صحتهم اقل من صحة المتزوجين *Poorer health* .

فهناك علاقة بين الضغط والقرح *Stress and Cancer* وتظهر هذه العلاقة في الرجال ايضا.

كذلك تؤكد الدراسات، وقوع تأثير سيئ على الاطفال من جراء الطلاق او مصاحبة للطلاق، فالأطفال الذين انحدروا من آباء وأمهات مطلقات، وكذلك الذين كانوا يعانون من النبذ والطرد وعدم القبول والهجر والمعاملة الوحشية، كل هذه الخلفيات تظهر لدى الاطفال أصحاب السلوك السيئ ويجب منع، بقدر المستطاع، الأسباب التي قد تؤدي الى الطلاق، ومن ذلك صغر السن. وحتى بقاء الزواج قائما لا يدل على السعادة الزوجية، فهناك زيجات منفصلات عاطفيا او انتقاليا، وان كانت تعيش تحت

---

[1]- الامام محي الدين أبي زكريا، يحيى بن شرف النووي الشافعي – رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، وكالة المطبوعات – الكويت– ودار القلم – بيروت – لبنان.

[2]- Gallatin.

سقف واحد. وكذلك من العوامل السببية الإسراع في الاختيـــار، والاحبـــاط الـــذي لـــم ينتظره احد او الزواج الذي يتم بالقوة كالزواج بين ارباب المدارس.

واذا كنا نسعى لمنع انتشار ظاهرة الطلاق، فعلينا ان نتعرف علـــى الاســـباب المؤدية اليها للوقاية منها، ومن ذلك سوء الاختيار لشريك الحياة او التوقعات الخياليـــة او غير الواقعية من وراء الزواج.

تتطلب الحياة الحديثة، وما تفرضه من ضغوط، تخصيص أخصـــــائي نفســـي لبحث مشاكل المقبلين على الزواج، ومساعدة الحالات التي تعـــاني مـــن المنازعـــات والخصومات الزواجية، وللعمل على التخفيف من وطأتها قبل ان يصل الامر الى حـــد الطلاق.

هل من مصلحة الأسرة المصرية الحديثة تعقيد روابطها؟

يثور في هذه الأيام جدال حول اقتراح إدخال عدد من القيود والشـــروط علـــى عقود الزواج. سواء أكانت هذه القيود والالتزامات تنصب على الرجل ام على المـــرأة، فإنها ليست في صالح تكوين الأسرة، والتشجيع على إقامتها وحث الشباب من الجنســين على الإقبال على الزواج، وتكوين الأسرة، وتحقيـــق الإشـــباع الحـــلال، والاســـتقرار الاجتماعي والنفسي والأخلاقي والاقتصادي للشاب والشابة على حد سواء لذلك يتطلـــب التيسير لا التعسير والترغيب لا التنفير.

العلاقات الزواجية وان كانت تقوم تأسيسا على تعاقد رسمي، الا ان هذا التعاقد تباركه الأديان وتحترمه وتشجعه المجتمعات وتضع ما يلزم لصيانته وحمايته وكفالـــة استمراره.

ولذلك فليست العبرة بتكبيل أطراف العلاقة بسلاسل من القيود والاشـــتراطات والالتزامات والجزاءات والعقوبات، ذلك لان مثل هذه القيود تدفع الشباب للخوف مـــن الاقبال على الزواج والى العزوف عنه كلية. فهل لنا ان نترك الأســـرة وحالـــها وقـــد تأخر سن الزواج في السنوات الأخيرة بسبب صعوباته واعبائه الثقيلة التـــي أصبحـــت

تفوق قدرات معظم الشباب، ولذلك زادت نسبة العنوسة بين بناتنا وهو أمر بالغ الخطورة ولا يرضى الرجال ولا النساء. والمفروض أن يسود بين شقي المجتمع الوئام والانسجام والتواد والتعاطف والتماسك والتعاون والإخاء والمودة.

كفى الأسرة ما تعانيه من الغلاء الفاحش ومن صعوبات في إيجاد السكن وتأمينه، وفي تعليم أبنائها وما تتكبده من الأعباء الناجمة عن غول الدروس الخصوصية تلك الدروس التي أصبحت تمتص إمكانات الأسرة وتجهدها وترهق كاهلها. وكفى ما تواجهه من صعوبات إذا ما اضطرت الى العلاج، وقد بلغت تكاليف العلاج بالمستشفيات الاستثمارية أرقاما خيالية وفلكية باهظة .. المطلوب ان تعود الأسرة الى والمحبة والتكاتف وان نعيد اليها جو الرومانسية المفقودة والتي ضاعت في خضم المادية البغيضة.

عقد الزواج ليس شبيها بعقود انشاء الشركات الاقتصادية.. وانما هو عقد له خصوصيته وله طابعه الإنساني الصرف. فهو ينظم علاقة مقدسة قوامها، كما تذهب الى ذلك الثقافة الإسلامية، المودة والرحمة والسكينة والتعاون والأخذ والعطاء والتضحية اذا ما لزم الامر..

﴿ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ الروم ٢١، وقوله تعالى: ﴿ وجعل منها زوجها ليسكن اليها﴾ الاعراف ١٨٩.
لا نريد للشباب المقبل على الزواج ان يجد نفسه تطارده الشروط والشروط المضادة وانما نريد له ان يسكن في رحاب الأسرة.

الزواج علاقة انسانية في المحل الاول، لا بد وان نترك لاطرافها دون وضع قيود تحد من الاقبال على الزواج او تسبب صراعات حول تنفيذ بنود الاتفاق تكون مثارا للجدل. انما العلاقة الزواجية علاقة انسانية ديناميكية نامية ومتطورة وتخضع لكثير من الظروف والمتغيرات الطارئة. ويجب ان نتركها للإرادة الخيرة في الطرفين.. هب ان زوجا او زوجة مرضت مرضا عضالا.. فهل تنفع الشروط والبنود والقيود؟ وليس معنى ذلك الوقوف ضد مصالح المرأة، فالمرأة هي الام والأخت والابنة

والزوجة ورفيقة مشوار الحياة، ولا بد من الاحتفاظ بقدر من التوازن في هذه العلاقـــة من الناحية الرسمية. اما الذي نشجعه في عصر طغيان الماديـــة فـــهو العـــودة الـــى الرومانسية داخل الأسرة. وتوقيع ظلم على احد اطرافها ليس في صالح هذه العلاقة في شيء. فأبسط ما يمكن ان يحدث ان يعزف الشباب عن الزواج وحينئذ تعاني المـــــرأة من العنوسة ويعاني منها اهلها وكل المجتمع. في الزواج غض للبصر وحفظ للعـــرض وصون للخلق والتعفف وليس من مصلحة الزواج توسيع قاعدة الطلاق واطـــــلاق يـــد المرأة لتطلق نفسها الى جانب حق الرجل في هذا. مثل هذا الاتساع سوف يزيـــد مـــن معدلات الطلاق، وليس ذلك في صالح أطراف العلاقة الزواجية.. واذا كنـــا نفـــهم ان المنظمات النسائية تطالب بالحد من انتشار ظاهرة الطلاق فالأولى ان تطالب بـــالتقليل من فرصها لا ان تزيد قاعدتها ومنحها لاطراف كثيرة. وان كان ذلـــك لا يلغـــي حقـــا مقررا للمرأة لتطلب الطلاق اذا ما وقع عليها ضرر تستحيل معه المعاشرة.

نحن امام دعوة متناقضة الحد من الطلاق وفي نفس الوقت توسيع قاعدته. هذه العلاقة الانسانية في جوهرها الديناميكية في طبيعتها، لا يمكن وضع قيود مسبقة علـــى ما سيحدث من ظروف في المستقبل القريب او البعيد. فقد يرفـــض زوج مـــا الآن ان تعمل امرأته، ولكنه قد يوافق على ذلك اذا تغيرت الظروف بعد فترة من الزمن. وليـــس من مصلحة العلاقات الزواجية ان تسافر المرأة للخارج تاركة زوجها على الرغم مـــن إرادته فاضعف الاحتمالات ان تعود من رحلتها او اعارتها لتجـــده وقـــد تـــزوج مـــن غيرها. ومسألة استكمال دراستها العليا مسألة ايجابية حقا. ولكن ماذا لـــو ان ميزانيـــة الزوج او الزوجة لا تفي باعباء الدراسة، او ماذا اذا كانت الدراسة العليا تـــؤدي الـــى اهمال الام لابنائها الصغار وماذا اذا كانت دراستها العليا تعرضها لاخطار كالسفر ومـــا الى ذلك..

المسألة يجب ان تترك للظروف وللحالات الفردية ولمشاعر الثقة المتبادلة بيـــن الزوجين والتي تنمو باستمرار المعاشرة الطيبة.. ثم اين طاعة الزوجة لزوجها بـــالطبع في غير معصية؟.. ثم اين قوامة الرجال على النساء؟.. ثم لماذا يلزم القـــانون الرجـــل بالإنفاق على زوجته اذا كانت تسافر للخارج في اعارة رغم انفه.. هذه العلاقة قوامـــها

الظروف الفردية. ولا يمكن تعميم أحكامها، وفيما عدا ما نص عليه الشرع من شروط صحة النكاح السليم من الرضا والعلانية والمهر ومؤخر الصداق وشهادة الشهود. فأمر لا داعي له ولا فائدة منه لا للرجل ولا للمرأة على حد سواء.. لا ينبغي ان نقلد الغرب فيما يذهب إليه لانه نظام فاشل في هذه الأمور.

كنا نتوقع ان تصدر التشريعات حاثة على التشجيع على الزواج وتكوين الأسرة وعلى تمكين المرأة ومساعدتها على التوفيق بين عملها وواجباتها داخل أسرتها وذلك بدعم الأسرة ماليا واجتماعيا وثقافيا وروحيا وحل مشاكلها وحماية أبنائها من أخطار باتت تهدد كيان الأسرة كالإدمان والعنف والجنوح والتطرف والإرهاب والبطالة والفقر والغلاء..

المرأة المسلمة في إعدادها الروحي

الجانب الروحي في الإنسان هو أساس وجوده، وبه تتحقق إنسانيته وتزكو أعماله، وبقدر ما تسمو الروح يكون استعلاء الإنسان على غرائزه، وارتقائه على نفسه الأمارة بالسوء وتحكمه في نزعاته.

فالروح للجسد بمنزلة الشمس للارض، فكما ان الشمس يصفو إشعاعها وتمد الأرض بالحياة، حين لا يحجبها غمام فكذلك الروح حين تزكو، تشرق على النفس الفضائل وتملأ كيان المؤمن ووجدانه بمعاني الخير، فيصفو معدنه، ويلطف جوهره، ويرقى حسه، ويفيض بركة على من حوله.

والعناية بأمر الروح في الإنسان هدف الإسلام الأسمى، ومقصده الأعلى من الرجل والمرأة.

ولكن العناية بذلك ينبغي ان تكون اكثر من حق المرأة، لان المرأة تمتلك قلبا جياشا بالعواطف، وتستهويها مظاهر الحياة، ويشدها ما في الكون من مغريات، كما ان عليها عبئا ثقيلا في تكوين النشء، وكلما رق وجدانها، وشفت روحها انعكس ذلك بالأثر العظيم على أبنائها. والقرآن الكريم يقص علينا من خبر مريم ابنة عمران التي أثمرت التربية الالهية فيها العبادة الصادقة والنفس القانتة، والروح المشرقة، ولكن القرآن يلفت كل أم الى صدق النية، واخلاص الوجهة، حتى يكون الله عونا للأمهات والآباء في انباتهم نباتاً حسناً، وتقبلهم بقبول حسن.

فامرأة عمران كان قلبها معلقا بالمسجد الاقصى، وكانت نفسها تهفو الى ان يخرج من بطنها من يقوم على بيت الله بالخدمة، وما ان حملت حتى نذرت ما في بطنها خالصا لله، وتطلب من الله ان يتقبل منها.

﴿ إذ قالت امرأة عمران ربي اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم﴾ . ولكن تفاجئها الأقدار عند وضعها بأنثى وكان لا يصلح لهذه المهمة الاّ الذكور، فانتابها الألم، وراحت تبث حزنها وشكواها الى الله.

ثم تسمي ابنتها باسم يحمل العبادة، والطاعة، والقنوت.

يقول القرآن مصورا لحالة أم مريم عند ولادتها﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم ﴾ ومريم في اللغة العبرية هي القانتة.

وفي هذا ابلغ الدلالة على ان ام مريم كانت شغوفة بان تكون ابنتها من الصالحات، لهذا تقبل الله منها.

ويبين القرآن دور الأسرة في التربية الصالحة، فقد شاء الله ان تنشأ في كفالة نبي الله زكريا لتقتبس من نور النبوة ما يغمر روحها بهدي الله، ويعطر نفسها بنفحات السماء، اذ ان مجالسة الصالحين ومعايشتهم يخلع على النفس الصلاح والتقوى، ولا تنكر التربية أثر القدوة الصالحة في تزكية القلب وتطهير السلوك.

يقول تعالى: ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ .

فقد بلغت مريم في صلاحها واتصالها بربها حدا أجرى الله عليها رزقها بغير حساب، وظهرت على يديها الكرامات وحفتها البركات، فقد روى ابن كثير عن مجاهد ان زكريا كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف حتى ان زكريا عليه السلام غبطها، وتمنى ان يكون له غلام يشبهها في صلاحها، وجعل يدعو ربه ان يرزقه الذرية الطيبة﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء﴾ .

والإسلام اذ يعرض شخصية السيدة مريم انما يشير الى عدة أمور.

الأمر الاول: مهمة الأسرة في رعاية أبنائها وتزويدهم بالفضائل.

الأمر الثاني: اللجوء الى الله والاستعانة به في تحقيق ما يرجوه الآباء من صلاح الأبناء، فانه لا يعين على هذا الأمر الشاق ولا يهدي الى احسن السبيل الا هو.

الأمر الثالث: ان المرأة كالرجل عند الله اذا استقرت معه في الخير والإيمان والطهارة، وكما اتصلت السماء بالسيدة مريم فان الله اوحى الى ام موسى. وهذا يدفع ما زعمه الزاعمون من كون المرأة اقل رتبة من الرجل وانها شيطان، وليس هذا

صحيحا فالإنسان بعمله الصالح سواء اكان ذكرا ام انثى، يكون حريا بالقرب من الله، وقد مدح الله المؤمنات القانتات في اكثر من آية.

ففي سورة الأحزاب يقول تعالى: ﴿ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ .

وقد بين القرآن ان المرأة التي تستأهل ان تكون زوجة خيرة في اشرف مكانة ولأعظم رسول هي الزوجة المسلمة القانتة التائبة.

يقول تعالى بصدد الحديث عما حدث للنبي ﷺ من جراء الغيرة عند بعض زوجاته ﴿ عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً﴾

ويشير الحق في آية اخرى الى الترغيب في القنوت لله فيقول مخاطبا لنساء النبي ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما ﴾.

ثم يبين القرآن صفات الزوجة التي يريدها الله فيقول تعالى: ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾

ومن هذا العرض ندرك ن المرأة لا بد وان تغد اعدادا روحيا لتنهض برسالتها بل ان الإسلام جعل ذلك امرا واجبا وتكليفا لازما على المؤمنين يقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ .

يقول قتادة عند تفسير هذه الاية ان تأمر اهلك بطاعة الله وتنهاهم عن معصيته، وان تقوم عليهم بأمر الله وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية زجرتهم عنها "[1].

---

[1] - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ٣٩١ ج ٤.

وسائل الإعداد الروحي:

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن التربية الروحية ان نوجه الآباء والمربيـــن الـــى أمور هامة لا بد من مراعاتها في بناء النفس وإصلاح الروح.

الأمـــر الاول:

القدوة الصالحة: بأن يكون المربي مثلا اعلى في قولـــه وفعلـــه، وحركاتـــه وسكناته وليعلم انه محل نظر ابنائه، بأفعاله يقتدون ولأعمالـــه يحـــاكون، فـــلا يـــأمر بفضيلة وهو لا يأتيها، ولا ينهي عن رذيلة وهو يخالف ما ينهي عنه.

ومن ثم نعى الله على من يناقض فعله بقول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لـــم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

وثمة أمر هام نلفت الآباء والمربين اليه وهو الصدق في مراعاة القدوة، فـــلا يظهر المربي من اب او ام او مدرس بمظهر ديني ويتقمص شخصية خلقية امام ابنائـــه وهو في الحقيقة على غير ذلك.

نقول ان هذا امر خطير لان الايام كفيلة بكشـــف النوايـــا، ونشـــر الســـرائر، وفضيحة ما هو مخبوء ولنتذكر قول الشاعر:

ومهمـــا يكـــن عندَ امرئٍ من خليقـــة

وإنْ خالَهـــا تخفى على النـــاسِ تُعلـــمِ

وحين تسقط الأقنعة الزائفة، وتزول الحجب، ويرى الأبناء ان ما رأوه علـــى غير حقيقته فان ثقتهم تتزعزع لا في من خدعهم، بل في كل قيمة دينية وفي كل امـــر عظيم.

وكيف يبقون على فضائل لا ظل لها من الواقع؟

ويثقون بأشخاص يتحلون بالفضائل ليتخذوا منها وجهاً حسناً يســـتر عيوبـــهم، ليصلوا الى مآربهم الشخصية.

فلنتق الله في أبنائنا ولنعلم انهم في أيدينا أمانة، وإننا مسؤولون عنهم أمـــام الله، فلا نريهم من أنفسنا الا ما هو خير وحق، حتى لا تهتز المبادئ الإسلامية في اعينـــهم وتنعدم ثقتهم في القيم والمثل العليا.

الأمـــر الثاني:

التوجيه الراشد: ولا يكفي ان يكون دور المربين في محيط الأسرة والمدرسـة قاصراً على الظهـور بمظهر الصلاح والتقـوى. بـل عليـهم ان يراقبـوا الابنـاء ويوجهوهم الى القول السديد والفعل الرشيد في رفق وتلطف وان يبصروهم بكل ما هو نافع، ويفتحوا أعينهم على ما به صلاحهم، وان يعملوا علـى ترسـيخ الايمـان، وان يعرفوهم بان خالق هذا الكون ومدبر شئونه هو الله بل عليهم ان يهيئوا الطفـل لحـب الخير واستقباح الشر، وذلك بإكبار الفضائل والتشجيع علـى الخـير، والتنفـير مـن الرذائل، وتبغيضها الى الطفل بحيث تنقبض نفسه عند سماعها.

وهذا لا يتحقق الا اذا راقب الآباءُ الأبناء ووضعوهم تحت سمعهم وبصرهـم، فاذا رأوا منهم فضيلة حمدوها واجزلوا عليها الثواب المادي وعرفوا الطفـل بـان الله يرضى عنه، وان صدر منه شيء مخالف اظهروا غضبهم وإنكـارهم، وتوعـدوه اذا تكرر منه ذلك فسوف يعاقب بالضرب والحرمان مما يحب.

واذا كنا نهتم بغذاء الطفل ليصح جسده فعلينا ان نهتم بثقافته فنختار له الكتـاب النافع والقصة المفيدة، ولنعطه المعلومات التي تواكب سنه في كل مرحلة. ولنشرح لـه بالعبارة المبسطة واللغة التي يفهمها حتى نغذي عقله وروحه بالغذاء النافع.

وفي هذا الصدد نهيب بالآباء ان ينتقـوا لابنائـهم مـا ينبغـي ان يشـاهدوه ويسمعوه، لينموا استعداد الخير عندهم، ويجدي فيهم النصح وتنفعهم الموعظة.

وأخيراً يجب على الآباء ان يختاروا لابنائهم الجليس الصالح الـذي ينتفعـون بمجالسته ويقتبسون من أخلاقه، ويتأثرون بأفعاله.

وعلى النقيض من ذلك يكون الحذر من صديق السوء، ومجالسة الاشرار فانـها باب للشر، وعن طريقهم تكون العدوى بأفتك الامراض، وجراثيم الضلال.

وقد لفت النبي ﷺ الى قيمة مجالسة الصالحين وحذر مـن مخالطـة جلسـاء السوء، وضرب لذلك الأمثال لتكون العبرة اشد ويكون الدرس النافع عن ابي موسـى الاشعري ان النبي ﷺ قال: انما مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسـك ونـافخ

الكير، فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه، واما ان تجد منه ريحا طيبـــة، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا منتنة".

الأمـــر الثالث:

الاهتمام بالعبـادات: ومن الأمور التي يجب على الاباء والمربيـــن تكريـس الجهد لها والعناية بشأنها تنشئة الاطفال منذ نعومة أظفارهم على ممارسـة العبــادات من الصلاة والصيام، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : " مروا أولادكم بـالصلاة لسـبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع". والذكور والإناث في هذا ســواء فيجب ان تعود الفتاة الصلاة وتأخذ بما يأخذ به الذكر من الامر بها والضرب عليـها، فكما امر الله المؤمنين بإقامة الصلاة أمرت المرأة بذلك.

وقد جاء هذا في امر نساء النبي حيث قال الله تعالى لـهن: ﴿ وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾.

وطلـب مـن الرسـول ان يأمر أهله بالصلاة وان يصبر عليهم قال تعـالى: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألـك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ .

وفي قصة مريم السالفة الذكر ما فيه قدوة للمرأة المسلمة فان مريم انقطعـت للعبادة فكانت أهلاً للاصطفاء ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفـاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾.آل عمران/٤٢.

إعـدادها الخلقي:

ان مجد الأمة رهن بأخلاقها، وقد اثبت التاريخ ان الأمم التي دالت كان السـبب في اضمحلالها انهيار الأخلاق فيها، كما اثبت التاريخ أيضاً ان المـرأة هـي السـبيل لحفظ الأخلاق او انهيارها، وقد بين ابو الاعلى المودودي فـي كتابـه" الحجـاب" ان اليونان حين اتخذوا من المرأة ماخورا يعج بالشهوات، تـاركين الأدبـاء والشـعراء يصورون المرأة بصورة الجمال بما يغري الرجل، ويأتي على ملذاتهن ويمد لـه فـي شهواته، ويشعل فيه أوار الغريزة، وحين تبوأت المرأة العاهر مكانها فـي المجتمـع، وصار المجتمع يغض الطرف عن المرأة العفيفة، كان مصيره الفناء او علـى الأقـل

لازمه هذا الطغيان، وذلك الإسفاف، حتى زال عن الوجود، وكذلك الحال في الدولة الرومانية، لقد ظلت قوية بقوة الأخلاق فيها، ومحافظة الرجال على عفة النساء.

وحدث ذات مرة ان عضوا في مجلس الشيوخ قبّل زوجه امام ابنته، فغضب عليه القوم، وحكموا على صنيعه بأنه غض من كرامة الخلق القومي.

ولكن ما لبثت الدولة الرومانية ان تهاونت في الاخلاق، واصبحت العلاقة الزوجية تبعة يتخفف منها الرجال، وبرزت النساء العاهرات في المجتمع وقد بلغ بهم التهاون، الى ان اباح علماؤهم مباشرة الفجور، فهذا " كانو" الذي اسندت اليه الحسبة الخلقية سنة ٨٤ قبل الميلاد، يجهر بجواز اقتراف الفحشاء في عصر الشباب، ثم يأتي " شيشرون" المصلح الشهير، فيرى عدم تقيد الشباب بأغلال الاخلاق المثقلة.

وتفتح الدولة الرومانية الباب على مصراعيه للعري والانغماس في الشهوات وقد أصبحت المسارح مظاهر للخلاعة والتبرج الممقوت، وزينت البيوت بصور ورسوم كلها دعوة سافرة الى الفجور والدعارة والفحشاء، وانتشر استحمام الرجال والنساء في مكان واحد بمرأى من الناس، ولم يكن الأدب الخليع والقصص الماجنة بمعزل عن هذا التيار الجارف، بل كان هو الأدب الذي يحظى بالقبول، وقد مهد كل هذا الى ان اصبح الفجور والدعارة ليس قاصرا على نسوة خاصة، بل انغمس فيه نساء الدولة الرومانية، مما جعل القوم يضطرون الى وضع قانون خاص في عصر القيصر، " تائي بيريس" لمنع نساء البيوت من احتراف مهنة الموسسات وصناعتهن النافقة، وبات صعبا كبح جماح الشهوات في الدولة الرومانية الى ان دالت، واصبحت في خبر كان.

هذه الإشارة الموجزة تضع ايدينا على قيمة الاخلاق، والعمل بكل سبيل لتصان المرأة، وتربى منذ نعومة أظفارها على الاخلاق، واي تهاون في هذا يجلب للامة الخراب والدمار، ويقودها الى سوء المصير.

ان المرأة تحتاج الى تقويم طبيعتها، وتهذيب نفسها بصفة خاصة، لانها المحضن لتربية الاولاد، وفي كنفها ومن أخلاقها وسلوكها يتعلمون، فهي قدوتهم، وهي السبيل لعاداتهم وتقاليدهم وانطباعهم بالطابع الحسن او السيئ، وهي اكثر ملازمة

لأولادها فتسليحها بالخلق الكريم تحصين للأسرة من الفساد، وسبيل الى خلـــق جيــل صالح.

طبيعة المرأة ان ترضي الرجل، وتلفت نظره اليها، وفي الواقع أنها ترضـــي غرورها، وتثبت شخصيتها، شأن الضعفاء الذين يخضعون لسيطرة الغــير فيحــاولون استرضاء من له الغلبة عليهم، والمرأة في سبيل تحقيق هدفها وإشباع رغبتها تلجأ الــى الإغراء بكل وسائله، فهناك فتنة الصوت، وفتنة الزينة، وفتنة الطيب، وفتنة العـــري، وليس هناك حدود تقف عندها المرأة لإغواء الرجل والسيطرة على قلبـــه،والمــرأة اذ تصنع هذه المغريات لا تثق بالرجل ولا تلتزم حياله بعهد، وكما يقول " العقاد":

" ان المرأة وفية صادقة، وفية للحياة لا لهذا الرجل او لــذاك، وصادقــة فـــي الحب لا في إرضاء أهواء من تحب، ولو أنعمنا النظر لعرفنا ان المرأة تخون نفســـها كما تخون الرجال في سبيل الأمانة للحياة، وتكذب على نفسها كما تكذب على محبيـــها في صيانة عهد الحب، فهي وفية بالفطرة، رضيت ام لم ترض، وهي صادقة بالإلـــهام حيث أرادت وحيث لا تريد "[1].

ان الإسلام يقدر ما انطوت عليه طبيعة المرأة وما عساه ان ينجم عنـــها مــن فتنة، ولو تركت المرأة وشأنها دون تهذيب او تقويم لأفسدت الحرث والنسل، وضلــت وأضلت، وأورثت المجتمع الهلاك، وانت معي ان الوقاية خير من العلاج، وان العلـــة اذا استحكمت بات ضربا من المحال استئصالها، ومعالجتها بما يأتي عليها، وقد رأينـــا المجتمع الروماني حين استيقظ لخطر المرأة وفسادها، وراح يعالجها بالقوانين لم يفلـــح العلاج، وكما يقولون: ان المارد اذا خرج من القمقم لا يمكن رده، ومن ثم فإن الاسلام يأخذ للامر عدته، فيأمر الأدباء والمربين ان ينهضوا بتربية ابنائهم على الفضيلــة، وان يقوموا بتأديبهن وتربيتهن، ليستأهلوا الجزاء العظيم.

يقول عليه الصلاة والسلام: " من كانت له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها، ورباهـــا فأحسن تربيتها، وغذاها فأحسن غذاءها، كانت له وقاية من النار".

---

[1] – المرأة في القرآن للاستاذ عباس محمود العقاد ص ٣٩.

مظاهر عناية الإسلام بأخلاق المرأة:

وتتجلى عناية الإسلام بحفظ المرأة من الدنس، وصيانتها من كل سوء وذلك فيما يلي:

خلق الحياء:

الحياء من ابرز الصفات التي تنأى بالمرء عن الرذائل، وتحجزه عن السقوط الى سفاسف الأخلاق وحمأة الذنوب، كما ان الحياء من اقوى البواعث على الفضائل وارتياد معالي الأمور، وكما يقول النبي ﷺ " الحياء لا يأتي الا بخير"[1].

ولعظيم أثره جعله الإسلام في طليعة الأخلاق، يقول عليه الصلاة والسلام: " ان لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء"[2].

ومن حكمة الله وعنايته بالمرأة ان فطرها على الحياء، وما على المربين والمصلحين الا ان يزكوا فيها هذا الخلق، لتنشأ عليه ويواكب نموها. والمرأة لا تفسد الا اذا أفسدها رجل وخدش حياءها.

ولا تقل أهمية الأخلاق في الحرب عنها في السلم وحسبنا في ذلك ما أدلى به المارشال" مونتجمري" اذ يقول: " ان قضية الجيش الثامن تنطوي على مغاز روحية عظيمة الى جانب مغزاها العسكري، فقد دلت تلك القضية على ان اهم عوامل الانتصار في الحرب هو العامل الاخلاقي، فلا يمكن لقائد ما ان يدفع رجاله الى بذل اقصى جهودهم في العمل الا اذا كانت ضمائرهم مرتاحة الى ما سيقومون به. ويقيني ان الجيش اذا سار بدون مرضاة الله فقد سار الى غير هدى. والأنانية تخالف تعاليم الدين والجندية، وان الكنيسة، والجيش معا لا يقرانها في الإنسان فتقضي التعاليم الدينية، وتؤازرها في ذلك التعاليم العسكرية، بأن يؤدي كل رجل واجبه بإخلاص وامانة مهما كان نوعه، وان الانحطاط الخلقي في صفوف الجيش اشد خطرا عليه من اعدائه، فعلى الجيش ان يشن حربا داخلية لتنظيم صفوفه قبل ان يفكر في شن حرب

---

[1] - رواه البخاري ومسلم.

[2] - رواه مالك في الموطأ.

خارجية ضد أعدائه، لذلك لا نستطيع ان ننتصر في أي معركة الا اذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء".

فعلى التربية ان تقود الناس الى الطريق الصحيح حيث يشع من وراءه السحب ذلك القبس العلوي المنير ممثلا كل ما هو حق، وكل ما هو عدل ، وكل ما هو جميل. ومن هنا تتجلى حاجة التربية الملحة الى الدعامة الخلقية لتشييد صرح المدنية الشامخ، ووقف تيار البربرية المتدفق الذي يكاد يطوح بالمثل العليا، والمبادئ الاخلاقية السامية. ولتتخذ التربية اذن من الاخلاق صخرة قوية توقف هذا التيار الغاشم، وتهيئ للنشء حياة احفل بالسعادة، وللانسانية المعذبة الطمأنينة، والاستقرار.

معنى الأخلاق:

هذا وقد انقسم العلماء شيعاً، وأحزاباً من حيث طريقة تناول موضوع الأخلاق، فقد خلطوه بالشخصية حينا، وبالوجدان حينا آنا، وبالذكاء أحيانا، وزعم البعض انه يستطيع دراسة الأخلاق عن طريق الكيمياء، وتحليل عناصر الجسم مدعيا ان لبعض المواد الكيماوية التي يتركب منها الجسم اثراً واضحا في أخلاق الفرد. كما رأى الآخرون إمكان دراسة الأخلاق عن طريق دراسة تقاطيع الوجه او شكل الجمجمة. كما لم يحجم أنصار علوم التشريح والأحياء، والوراثة عن الإدلاء بدلوهم في هذا الموضوع زاعمين ان لهذه العلوم القدح المعلى في اكتشاف حقيقة الاخلاق . ولكن عندما بزغ علم النفس، وسطع، نجمه، واصبح مستقلا بنفسه قائما بذاته أسدى يدا بيضاء الى قضية الأخلاق وذلك بمعونة علم الاجتماع.

وقد قامت مدارس تتنازع هذا الموضوع، فذهبت مدرسة الوجدان او العاطفة الى ان الأخلاق مستمدة منها، كما ذهبت مدرسة الإرادة الى ان الأخلاق منتج من نتائجها، وزعمت مدرسة العقل او الذكاء ان الأخلاق نتيجة التفكير، والعقل، ولكل مدرسة من هذه المدارس انصار، فكثرت المؤلفات الحديثة في ألمانيا- وفي امريكا بذلت محاولات جبارة لقياس الصفات الخلقية قياسا علميا وقد اتفقت معظم هذه المؤلفات على ان الاخلاق جزء هام من الشخصية، وانها تشمل تنظيم النواحي الوجدانية، والنزوعية منها واليك بعض التعاريف:

أولاً - تعريف الاستاذ ماكدوجان[1]

" Well-developed character, is an integrated system of sentiments, a system that is a hierarchy dominated by a single master- sentiment and integrated by that domince."

الخلق القــويم : هو نظام تصاعدي متكامل من العواطف تسيطر عليه ســيدة العواطف، وتكامله نتيجة لتلك السيطرة. فالخلق في نظر " ماكدوجال" وجهة خاصة في الشخصية النامية تؤدي بالشخص الى:

١-التماسك – *Consistency* :

فالخلق يجب ان يكون سجية للنفس يصدر عنها الســلوك عفــوا فــي جميــع المواقف، والحالات المتماثلة او المتشابهة فليس بخليق ان يعد الرجل كريما اذا بــذل او اغدق في موطن ثم بخل وامسك في موقف مماثل او مشابه، وليس بحقيق ان يوصــف المرء بالشجاعة اذا استقبل الهول، واستعذب الموت لطارئ من الطوارئ ثم احجم فــي موطن آخر يتطلب الاقدام والتضحية.

٢- العزيمة، الصلابة- *Firmness* :

وليس معنى هذا اندفاع المرء في نوع من السلوك في ضلالة وغبـــاء. فـــإن فضائل المرء قد تستحيل بهذا الى رذائل، ولكن معناه أن يتدبر الإنســان الموقــف ثــم يعتزم العمل وفق ما تقتضيه الحال. فمثلا إذا أردت نجاحا آخر العام فلا بد من العزيمة الصادقة للاستذكار والمثابرة.

٣- ضبط النفس – *Self – Control* :

فإذا حدثتني نفسي أن أحيد عن طريق الفضيلة، والشرف. كـــي أصبــح مــن الأغنياء فيجب أن يكون لدي من القدرة ما يكفي لضبط النفس. وإبعادهـــا عــن هــذه الرغبة التي لا تتفق ومبادئ الأخلاق.

٤- التوجيــه – *Self- Direction* :

---

[1] - McDougall : Social Psychology, p. 343 .

وقدرة الإنسان على توجيه نفسه. وعلى الاستقلال في الشخصية وعدم الاعتماد على الغير أمر لازم في تكوين السلوك الخلقي فالفرد يجب أن يكون قادرا على أن يوجه نفسه الوجهة التي يرى أنها تتفق مع المبادئ القويمة فالسجايا لابد منها، ولكن يجب أن توجه كلها الى الخير العام، وصالح الجماعة. والفضائل لازمة، والزم منها التوجيه الى نفع الناس وخير المجتمع.

ثانيا : تعريف باجلي *Bagley* :

يرى " باجلي " أن الخلق عبارة عن كثير من العادات الصالحة النافعة، فأساس الخلق في نظره هو العادات النافعة وهذه إما أن تكون :

١- عادات نافعة ، ومفيدة، كالمشي باعتدال، وتنظيف الأسنان.. الخ.

٢- منع النفس، وضبطها عن الإتيان بعمل أو إظهار رغبة لا تسمح بها الحيازة المتحضرة.

ومن تحليل تعريف " باجلي "[١] نرى أنه يتخذ نفع العادات للمجتمع كأساس للسلوك الخلقي، ومن استخدامه كلمة " عادة " كأساس للسلوك نفهم انه يقصد وصف هذا السلوك بالتشابه، والتماسك، وأن هذا السلوك لابد وأن يكون نتيجة لرغبة أو لتحقيق مبدأ. على أن هذا التعريف يوحي إلينا بأن الخلق شئ آلي طالما يتخذ من العادة أساسا له. كما أن هذا التعريف قد أهمل أهمية العواطف في تكوين السلوك الخلقي.

ثالثا – تعريف روباك :

إن الخلق حالة أو ميل نفسي يتحكم في الغرائز، ويمنعها من تحقيق أهدافها، وذلك بمقتضى مبدأ منظم لتلك الغرائز. وهذا التعريف يوقفنا على تحكم الخلق في الغرائز ويغفل أهمية العادات، والعواطف، والمثل العليا كعناصر أساسية في تكوين الخلق.

رابعا – رأي هادفيلد :

الخلق هو قيمة النفس المتزنة، والنفس المتزنة هي تلك النفس التي تتسق فيها الميول الطبيعية، والعواطف، وتضافرت هذه الميول، وتلك العواطف على غاية واحدة،

١- Bagley : The Educative Process, p. 120

فالخلق صفة النفس، والإرادة سلاحها. وهذا تعريف يتصف بالشمول، والاتزان.

خامساً - رأي جون ديوي :

الخلق هو كل ما ينطوي عليه العمل من عمليات الامعان أي الموازنة والتروي والرغبة، أو الدافع سواء أكانت هذه العمليات قريبة ام بعيدة.

ومن تحليل هذا التعريف نرى أن " جون ديوي " راعى أن يذكر في تعريفه " الدوافع " التي تدفع الشخص الى العمل، وهذه تكون ناتجة عن مبادئ الشخص كما راعى أيضاً أن العمل الذي سيصدر عن الشخص لن يصدر اعتباطاً، ولكن عن روية، وإمعان وتحليل، واختيار فهو أبلغ في إظهار الناحية الخلقية. زد على ذلك أن هذا التعريف يتضمن سجايا الشخص النفسية التي تدفعه في النهاية الى العزم والعمل وأخيراً لو أننا تأملنا جيداً هذا التعريف لوجدنا أنه يتضمن تكوين عواطف إذ أن الرغبة في شئ تؤدي الى تكوين عاطفة نحوه.

سادساً - تعريف كلباتريك :

يرى كلباتريك أن هناك ثلاثة أشياء هامة في كل عمل خلقي هي :

١- الحساسية : لما يحتمل أن يتضمنه موقف ما.

٢- الروية : والإمعان فيما يجب عمله.

٣- الرغبة : الملحة في تنفيذ العمل.

فالحساسية نحو موقف من المواقف تتضمن إدراك الموقف، ورؤية العوامل التي يتضمنها والعواقب الممكن أن تنتج عنها ثم اتخاذ قرار معين وهذا القرار يتوقف على معلومات الشخص، وتجاربه، ومعرفته، كما يتوقف على نوع تفكيره، وذكائه، وأما التروي فيتطلب من الفرد أن يكون لديه هدف معين، وأن يكون قادراً على التبصر في الأمور، وأن يكون لديه مقياس مكون من المبادئ، والمستويات التي كونها لنفسه أثناء حياته عن طريق تجاربه الشخصية، ومعلوماته، وتجارب المجتمع.

ومن التعاريف السابقة نلاحظ أولاً أن الكتّاب حينما يتكلمون عن الخلق لا يجيدون بيان ماهيته بقدر ما يجيدون التكلم عن وظيفة في الحياة البشرية ويمكن أن نستنبط أن معظم الكتّاب يتفقون على أن الخلق يؤدي الى الوظائف الآتية :

(أ) يجعل سلوك الإنسان متصفاً بالثبات، والتماسك، والتوافق والاضطـــراد فمثـــلاً : عواطف الإنسان نحو أســرته لا تتصادم مع عواطفه نحو وطنه بل إن عواطفه جميعـــاً تعمل بشكل منسجم ومتوافق.

(ب) يمكن التنبؤ بتصرف الشخص، وسلوكه في المواقف المختلفة، فإذا عرفت خلـــق فرد من الأفراد يمكنني أن أتنبأ بما سيعمله في وقت معين.

(ج) إن الخلق يؤدى بالشخص الى أن يتجه بانتظام، وباستمرار نحو غاياته العظمـــى فهو يبذل جهده لكي يصل إليها، ويضع نصب عينيـــه المثابرة سبيل تحقيقـــــها ســـواء أكانت هذه الغايات في العمل أم في اللعب.

(د) الخلق يعطي قوة في الإرادة، وفي العزيمـــة، فهو يمكن الشخص من أن يحـــــدد اختياره للمسلك المستقيم في أي موقف من المواقف مهما يكن الاختيار قاسياً، والمســـلك صعباً، كما أن الخلق يزود الفرد بالقدرة على الثبات والتمسك بالعزيمة.

(هـــ) أن الخلق نظام معقد للغايـــة ينمو ببطء، ويتألف من تأكيد عوامل كثـــيرة فـــي الحياة، وتدخل فيه مركبات متعددة هي :

١- الغـــرائز، وهذه يجب أن تخضع لمبدأ يسيـــرها ويتحكم فيها.

٢- العـــادات، ويجب أن يراعى في تكوينها منفعتهـــا للصالح العام.

٣- العواطف وهذه يجب أن تكون في أساسها عواطف حب لكل ما هو حق، وكل مـــا هو خير، وكل ما هو جميل. كما يجب أن تكون في أساسها عواطف كراهية لكـــل ما هو قبيح، وكل ما هو شر، وكل ما هو باطل.

٤- انتظام العواطف نفسها في نظام وهيئة عليا بحيث لا تتصادم – وبحيـــث تندمـــج كلها في عاطفة اعتبار الذات.

هذا ويجب أن نزيد القارئ علماً بأن تعريفنا للأخلاق تعريفاً علميا أو سيكولوجيا يفقدهـــا حيويتها وتأثيرها وتلك الحيوية، وهذا التأثير هو ما يهمنا من الأخلاق، فوق كـــل شـــئ آخر وهنا نجد أننا مضطرون الى النزوع بالأخلاق منزعاً اجتماعياً، وفي هذا المـــنزع سنعثر على قوتها، وفاعليتها التي ضاعت عندما عهدنا بها الى العلوم البحتة، ولما كـــان الإنسان اجتماعيّـــاً بطبعـــه كانت أخلاقه لا تظهر إلا في الوسط الاجتماعي.

الفصل الثالث

أسس السعادة الزواجيـــة

- الأسرة المثالية في ضـــوء الـــهدي الإســـلامي والتراث العلمي الحديث.
- الأسس السيكولوجية للسعادة الزواجية.
- سيكولوجية الزواج المتكيــف.
- سيكولوجية الأسرة العصــرية.



الأسرة المثـــالية في ضوء الهدي الإسلامي والتراث العلمي

أهميـــة الأسرة :

الأسرة هي النواة التي يتكون منها المجتمع فإذا صلحت صلح المجتمـــع كلــه، وهي الحضانة التي يتربى ويترعرع في أحضانها الأبناء، الذين هم رجال الغد، وحملة الراية، وعدة المستقبلة وعتاده، وأمل الغد المشرق، والذين تــؤول إليــهم، لا محالــة، المسؤولية الاجتماعية والسياسية والأسرية في حراسة المكاســب التــي حققتــها إرادة الشعب ونضاله وتقدمه ورقيه وتراثه وتقدمه الحضاري.

فالأسرة هي " صانعــة " الأجيال وهي التي تتولى شخصية الطفل، منذ نعومــة أظفاره، بالرعاية والعناية والإشراف والتوجيه والتربية، وهي التي يتوفر فيها إشـــباع حاجات الطفل المادية والاجتماعية والنفسية والروحية والأخلاقية، فيشعر فـــي ظلــها بالانتماء *Feeling of blongingness* فهي المأوى والمسكن والملاذ، وهي مصـــدر الدفء والحب والحنان والعطف وفيها[1]، إما أن يشعر الطفـــل بـــالعطف والـــتراحم والمودة والسكينة، فيشب مؤمنا بربه وبوطنـــه وبعروبتــه، خاليــاً مـــن الأمـــراض والاضطراب وإما أن يتربى على القسوة والإهمال والحرمان والنبذ والطرد والعنـــف، فيشب غير متكيف مع نفســه أو مع المجتمع الذي يعيش فيـــه، فيصـــاب بـــالمرض النفسي او تجرفه الجريمة.

والأسرة هي التي تقدم لنا المثال الأعلى الذي يقتدى به، والنموذج الذي نحـــذو حذوه ونقتفي أثره، ونسير على هداه، وهي مصدر القدوة الحسنة، ولذلك تهتم بدراستها علوم كثيرة من أظهرها علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيـــا وعلـــوم الطـــب والتربيـــة والقانون والخدمة الاجتماعية، وتقام من أجلها المؤسســـات التـــي ترعاهـــا وتعمل على تنظيمها والتخطيط لها وحمايتها من المشكلات والازمات التي تبدد طاقاتها

[1] – عبد الرحمن العيسوى، سيكولوجية النشأة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

وتعترضها عن أداء رسالتها الإنسانية الرفيعة وفوق كل شئ أهتم بتأسيسها وبقائها وسلامتها ديننا الإسلامي العظيم بما كفله لها من سلامة التكوين وصحة الاختيار، ورسم لها مبادئ المودة والسكينة والتراحم والألفة والمحبة والتعاون والتساند والتعاطف والأمانة والصدق والولاء والوفاء والإخلاص..

والأسرة صاحبة الدور الأول في عملية تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية وإسلامية وسياسية وأخلاقية ومن خلال الأسرة يتم الإشباع الحلال لكثير من العواطف والدوافع والغرائز كالأمومة والأبوة والجنس والاجتماع.

تعريف الأسرة :

يمكن النظر للأسرة على أنها الوحدة الاجتماعية الأولى التي تستهدف المحافظة على بقاء النوع الإنساني واستمراره عن طريق الإنجاب والرعاية، وهي التي تقوم على الشكل الذي يقبله المجتمع، والقواعد التي يضعها لها. وهي نواة المجتمع وأساس كافة النظم الأخرى، وفيها يتعلم الطفل الوطنية التي تنشأ على شكل ولاء للأسرة أولاً، ثم سرعان ما ينتقل ليصبح ولاءً للوطن كله فإذا تربى الفرد على الجحود لأسرته، قلما يدين بالولاء لوطنه. ولذلك نشأت علوم حديثة تختص بدراسة الأسرة منها علم النفس الأسري[1] وعلم الاجتماع الأسري والتوجيه الأسري والإرشاد الأسري والتخطيط الأسري واقتصاديات الأسرة والتدبير المنزلي.

وتختلف الأسرية باختلاف المجتمع الذي توجد في كنفه، فالأسرة الإسلامية تختلف عن الأسرة في مجتمعات أخرى، ويختلف حجم الأسرة اتساعاً ليشمل كل أفراد العشيرة كما هو الحال في الأسرة الحديثة، وتعرف هذه الأسرة الصغيرة باسم الأسرة الذرية *Nuclear Family* وهناك الأسرة الامومية *Maternal Family* وفيها ينتسب الأولاد للأم، وهناك الأسرة الابوية *Paternal Family* حيث ينسب الأطفال الى الأب وحده، وفيها تتركز السلطة في يد الرجل. وعندما نزلت المرأة لميدان العمل حديثاً

---

[1] – عبد الرحمن العيسوي، علم النفس الأسري، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

ظهرت الأسرة الثنائية *Biarchal Family* وفيها يتقاسم الرجـل والمـرأة مسـؤولية الأسرة وتربيـة الابناء[1].

الخـدمات الأسرية :

وتستهدف خدمـة الأسرة *Family Casework* دراسـة أحـوال الأسـرة، وتعمل على تقوية أواصر الصلة بين أعضائها، وذلك عن طريق تنميـة قواهم الكامنـة وقدراتهم الشخصية، وذلك تمكينا لهم على مواجهة الصعاب التي تعترض سير حياتـهم، وللتغلب على المشكلات التي تقف في سبيل سعادة الأسرة، ومن هـذه المشـاكل مـن العصر الحديث كثرة عدد الأبناء، وضعف صحة الأم، وغلاء المعيشـة فـي بعـض المجتمعات، وبطالة بعض أفراد الأسرة، وجنوح بعض أفرادها وتأثرهم بتيارات العنـف والتطرف والإرهاب والوقوع في براثن الجريمة والجنوح والانحراف، والإدمان ومـا الى ذلك، علاوة على التفكك الأسري وتصدع الأسرة وانهيار كيانها وحرمـان أبنائـها من الرعاية والاشراف والعطف والحب والحنان والتوجيه الصائب والإرشاد الوالـدي السليم.

وإذا زادت مشاكل الأطفال القصر عرضت مشاكلهم على المجلـس الأسـري *Family Council* أو المجلس الحسبي ويرأسه أحد القضاة، وذلـك لحمايـة حقـوق الأطفال القصر. وتسعى المجتمعات لحمايـة أسرها من خطر التصـدع والانـهيار او التحلل أو الانحلال الأسري *Family Disorganization* في هـذه الحالـة تعجـز الأسرة عن أداء رسالتها ووظائفها،مما يتطلب معه توجيه الإرشاد الأسـري *Family Guidance* بقصد حماية الأسرة من التصدع والتفكك، ويقوم به الأخصـائي النفسـي في المجال الأسري، ولحل المنازعات التي تنشأ بين الزوجين، والتي تـهدد بحـدوث الطلاق والانفصال *Divorce*، او حل مشاكل الهجر والإهمال.

وتقدم مؤسسات رعاية الأسرة *Family Welfare Agencies* المسـاعدات الماليـة، وخاصة للأرامل والمطلقات أو الأسر المهجورة، وذلك فـي حالـة مـرض

---

[1] – أحمد زكي بدوي ، معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، ١٩٨٦م.

الزوج او هجرته أو غيابه. هذا وتخضع الأسر في المجتمعات الحديثة للتخطيط *Family Planning* لتنظيم الأسرة وتحديد عملية الإنجاب[١].

للإسلام فضل السبق في رعاية الأسرة ووضع قواعد الأسرة المثالية :

لقد كان لاسلامنا الحنيف فضل السبق في رعاية الأسرة والحفاظ عليها وصيانتها، وضمان سعادتها واستقرارها، ومساعدتها على القيام بوظائفها المهمة. ولقد اهتم الإسلام الحنيف بسلامة الأسرة منذ اللحظة الأولى لتكوينها، فتراه ينصح الرجل الراغب في الزواج على لسان سيدنا ونبينا رسول الله بقوله ﷺ : " تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فأظفر بذات الدين تربت يداك " (رواه البخاري) وذلك للإرشاد نحو اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين، الذي هو أسمى ما يوجد في الكون، وفي الشخصية، وهو أعظم ما يقوّمها ويربيها ويهذبها، ويصلح من شأنها. فالأساس الاول الذي وضعه الإسلام هو دين الزوجة والزوج أيضاً، فإن كان الدين قوياً لدى المرأة أو الرجل، فقد صلح الأساس الذي يقوم عليه الزواج الصالح، وبقي النظر في أموال المال والحسب والجمال[٢]. وإذا صلح الدين صلح الفرد بل والمجتمع بأسره، بل العالم كله، ومن هنا كانت الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية.

ويضع الإسلام قواعد أخلاقية ودينية لقبول طلب الزوج يد زوجته، فلقد روي أن رجلاً قال للحسن بن علي رضي الله عنهما " إن لي بنتاً، فمن ترى أن أزوجها؟ قال زوجها لمن يتقى الله، فإن أحبها أكرمها، وإن ابغضها لم يظلمها"[٣].

وفي الهدي النبوي الشريف قال رسول الله ﷺ : " من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ". ومؤدى ذلك أن أساس الاختيار السليم هو القيم الإنسانية والروحية والأخلاقية النبيلة والمبادئ الدينية الأصيلة لتكوين الأسرة المسلمة، بصرف النظر عن الغايات الدنيا كالمال والحسب والنسب والجمال وإن كانت تؤخذ في الحسبان. فلقد

---

[١] – احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦م.

[٢] – عكاشة عبد المنان الطبي، الزوج المثالي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٣م.

[٣] – اورده عكاشة عبد المنان، من مرجعه السابق.

جاء في الهدي النبوي " إيــاكم وخضراء الدمن : قيل يا رســـول الله ومــا خضــراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء ".

وحرصاً من الإسلام على سلامة الأسرة وإنجاب الأطفال قال رســول اللهﷺ " تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ".

لقد وضع الإسلام الحنيف نبراساً يضئ الطريق أمام تكوين الأســرة المســلمة الصالحة نبراساً يضئ الطريق، ويوضح الرؤيــة، وللسير على هداه منذ بداية الزواج.

تأثيــر العوامل الوراثيــة وزواج الأقارب :

وكان لاسلامنا فضل السبق على العلم الحديث في التحذير من زواج الأقــارب نظراً لتأثير العوامل الوراثية والولادية الســلبي علــى الذريــة *Congenital and Hereditary Factors* التي دل البحث على أن اتحاد الجينــات الوراثيــة *Genes* الضعيفة لدى الزوجين اللذين تربط بينهما علاقة دم وقرابة، هذا الاتحاد يــزداد أثــره السلبي في الذرية، ولذلك يتعرض الطفل الوليد للإصابة بالصمم أو العمــى *Blinders and Deafness* او التخلف العقلــي *Mental Retardation* او ضعــف الســمع او الأبصار والقزامة او التشوهات الجسمية والعاهات والإعاقــات الجســمية *Phusical handicaps* .

ويرشدنا الإسلام الى دقة الاختيار للنُطف ذلك لأن العرق دساس، والبعد عــن زواج الأقارب. فعلى المسلم ان يغترب حتى لا تضمر ذريته، وتصاب بالسقم . والعلــم الحديث يؤكد، على سبيل المثال، خطر زواج الأقارب، وسبقه في ذلك الإسلام الحنيف، فالعلم الحديث يرى ان مريض السكر مثلا ليس ممنوعا من الزواج، وهو قــادر علــى ممارسة الحياة الزواجية كاملة، ولكنه ممنوع من زواج الأقارب اكــثر مــن غــيره، وخاصة من الدرجة الثانية، حتى الدرجة الرابعة، ذلك لانه من المعــروف ان جينــات مرض السكر التي تحمل الكروموزومات تورث في العائلات، فــاذا تــزوج مريــض السكر بأحد أقربائه من الدرجة الثالثة او الرابعة، فيكون الاحتمال كبيرا فــي إنجــاب

أطفال مصابين بمرض السكر[1]، وتكون إصابة الأطفال بمرض السكر شديدة ويصابون بغيبوبة السكر بصفة مستمرة، لانهم لا يعرفون نظام التغذية المفروض لمريض السكر، كذلك يصابون بقصر القامة ذلك لان زيادة نسبة السكر في الدم تمنع افراز هرمون النمو. والمرأة المصابة بالسكر قد يصاب حملها بالتسمم والاستسقاء بالسائل الموجود داخل الرحم، وعلى الرغم من ان مرض السكر *Diabetes* ليس من الأمراض المعدية الا انه ينبغي ان نبتعد عن زواج الأقارب . وفي هذا الصدد يقول الهدي النبوي المبارك " اغتربوا حتى لا تضعفوا " أي يضعف نسلكم او يضمر.

وبعد الزواج وتكوين الأسرة الصالحة وإنجاب الأطفال، يوصى الإسلام بالتوسعة على العيال من فضل الله اشباعا لحاجاتهم، بصورة معقولة ومعتدلة، حتى لا يعانوا من الحرمان او البخل او العوز، كما يدعو الى العدل في الأولاد فلا نفرق في المعاملة بين طفل وآخر، حتى لا تتأثر نفسية المظلوم منهم، ويشب على الحقد. فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما ان اباه اتى به رسول الله ﷺ فقال اني نحلت ابني هذا غلاما كان لي. فقال رسول الله ﷺ أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ فارجعه. وفي رواية فقال رسول الله ﷺ أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا. قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم. فرجع ابي، فرد تلك الصدقة. وفي رواية فقال رسول الله ﷺ يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ فقال : نعم. قال: أكلهم وهبت له مثل هذا قال: لا قال: فلا تشهدني اذا فإني لا اشهد على جور". فالمسلم يسره ان يكون أبناؤه في البر سواء والثراء سواء، ويتمشى ذلك مع الطبيعة الإنسانية.

ويوصينا الإسلام بالنساء خيرا كما في قول النبي ﷺ :" استوصوا بالنساء خيرا، فان المرأة خلقت من ضلع، وان اعوج ما في الضلع اعلاه، فان ذهبت تقيمه كسرته، وان تركته لم يزل اعوج، فاستوصوا بالنساء" ويدعو الإسلام للنظرة الشمولية الإجمالية لخصال المرأة الإيجابية والسلبية في الحكم عليها والتعامل وإياها لقول النبي ﷺ " لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضي منها آخر" فما لرجل ان يبغض صفة في زوجته ، لابد وان فيها كثيرا من الصفات الطيبة، فيحدث الشعور بالتعادل

---

[1] – د. مغازي علي محجوب في عكاشة المنان، مرجع سابق.

والرضا. ويدعو الإسلام للاستمتاع بالمرأة، لقول الرسولﷺ :" ان الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة"[1].

ومن المبادئ الإسلامية الرفيعة في العلاقات الأسرية الحفاظ على صلة الارحام وبر الوالدين والاحسان إليهما وإلى الأقارب واليتامى لقوله تعالى :﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم﴾ ولقول الرسول ﷺ : " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له من أثره فليصل رحمه". بمعنى أن يؤخر له من أجله ويطيل عمره. وروى الشيخان عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رجلا قال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ؟ فقال النبي ﷺ : تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم " وقوله ﷺ كذلك " الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله[2] ". هذا اشعاع من نور الإسلام لمن أراد أن يستضئ وأن يحيا حياة أسرية سعيدة موفقه قوامها المودة والسكينة.

الأسس السيكولوجية للسعادة الزواجية :

للحياة الأسرية أهمية بالغة في الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والروحية، وحتى الأبعاد الجسمية من شخصية جميع أعضاء الأسرة، الى الحد الذي قد يصل بأحد أفرادها الى هاوية الانتحار او السقوط في مستنقع الإدمان أو في براثن الجريمة والجنوح والانحراف. ومن أمثلة ذلك : على وجه الخصوص، جرائم الرشوة، الاختلاس، والسرقة والمقامرة والاتجار في المخدرات. والنجاح في إقامة الأسرة السعيدة واستمرارها كالنجاح في شتى مجالات الحياة الأخرى، لا يتأتى عفويا او من تلقاء نفسه، وإنما لابد له من الجهد العمدي والتخطيط والاصرار والتضحية لتسير سفينة الزواج الى بر الأمان ترفرف عليها أجنحة السعادة والهناء

[1] – يحي بن شرف الدين النووي، مختصر رياض الصالحين، دار القلم، بيروت، لبنان.

[2] – المصدر نفسه.

وتقاوم ما يواجهها من الأنواء والأعاصير والعواصف، وتنعم بما يرزقها الله بـه مـن العطايا والخيرات والطيبات والنعم وبذلك يتمتع جميع اطراف العلاقة الزواجية بالصحة النفسيـة والعقلية والجسمية. الامر الذي يرتـد أثره على مزيد من النجاح فـي حيـاة الأسرة وبالتالي انتاجها الفردي والقومي. ولا يخفي ما للأسرة من آثـار فاعلـة فـي الصحة النفسيـة للابناء. ذلك لانها الواحـة او الرحم أو الحضانة التي يـتربى فيـها النشئ ويترعرع.

ومع تحسن المستوى المعيشي لمعظم الاسر الا أن هذا الارتفاع في مسـتوى المعيشـة لا يواكبه تحسن في مستوى سعادة الأسرة وتكيفها وتحررها من المنازعـات والمنغصات والتنافر والخصام والشجار والجدال والنقد اللاذع واللوم المستمر من قبـل طرف من الأطراف او من كليهما. وفي مجال البحث العلمي في السعادة الزواجية يتخذ بعض العلماء من مدة بقاء الزواج قائما معيارا للسعادة الزواجية، ولكن الأمر قد يكـون على خلاف ذلك، فقد يتعايش الزواج، مع وجود القلاقل والمنغصات، بحيـث لا يمنـع بقاء الزواج قائما من الناحية الرسمية، وجود الطلاق او الانفصام او الفصام العـاطفي والوجداني بين اطراف العلاقة الزواجية. فالعبرة اذن بـالعمق السـيكولوجي ووجـود السعادة الفعلية المفروض توفرها في محيط الأسرة. وهناك كثير من العوامل التي تسهم في تحقيق السعادة الزواجية او في فرض التعاسة والبؤس وفرض جو من الغم والـهم والحزن والنكد والكمد والضيق والضجر والتبرم والسخط والكراهية والنفور، لتنال مـن صفاء الجو الأسري ونقائه. من ذلك خضوع المرأة أو الرجل للتحريـض مـن قبـل الزملاء او الأصدقاء او الأقارب، وخاصة من الزميلات اللائي يحركهن الحقـد علـى سعـادة الأخريات، فتجدهن في مجال العمل او المنزل، يوغرن صدر الزوجـة علـى زوجها او الزوج على زوجته ويبثثن فيه سموم التبرم من حياته الأسرية.

ومن الأمور السالبة في الحياة الاجتماعية، ما يلاحظ من عدم قيام الـزواج او الزوجات اللائي يتمتعن بالسعادة الزواجية والتوافق والتكيف الأسري بالحديث عن ذلـك على ما فيه من نفع ونشر وتدعيم لمعاني المحبة والمودة والسكينة والتراحم والتعـاطف بين الأزواج والزوجات. الحديث عن ذلك موقف تربوي هادف وتقديم لنمـوذج طيـب

وناجح الامر الذي يؤدي الى سيادته وانتشاره ودعمه في عقول واذهان الغير. ثم هو تعبير عن الشكر والامتنان والعرفان، وللأسف اننا نلاحظ، بدلا من ذلك، تفشي حديث الشكوى والتوجع والخلاف والخصام والشجار والنقار سواء لاسباب حقيقية او أسباب وهمية. ولهذا المنهج أضراره، وفيه خداع للمرأة المستمعة، وفيه تشجيع وحفز لها، بطريقة شعورية او لاشعورية على التبرم والضجر من حياتها الخاصة سيما واذا علمنا ان السلوك السلبي تنتقل عدواه وتتفشى بدرجة قد تصل الى الصورة الوبائية التي تنتقل بها الأوبئة والأمراض المعدية والجراثيم.. وقديما قيل: سوء الخلق يعدي والمرء على دين خليله.

واذا أردنا التأمل في القيم والمعايير السيكولوجية العميقة التي تؤدي الى مزيد من السعادة الزواجية والى حسن التوافق والتكيف الأسري، لوجدنا ان هناك كثيرا من العوامل، من بينها انه يتعين على الرجل والمرأة ان يعكف كل منهما منفردا وان يصغو الى نفسه ويحلل سلوكه اليومي، ويتأمل فيه ليرى ماذا فعل من اجل الطرف الاخر، وماذا قدم له من العون او التعاون او التعضيد او المودة او المحبة او الوفاء او التضحية او الراحة. ويتعين على كل طرف ان يسعى، في كل يوم، سعيا جادا ليصل لمزيد من التعرف الأعمق لرفيق الحياة ولشخصيته ونمط تفكيره وميوله واتجاهاته وسماته وخصائصه، وماذا يحب وماذا يكره. ومع ان الحياة الأسرية مشاركة وجدانية وواقعية، الا انه لا بد وان يترك كل طرف للطرف الاخر جزءا من الحياة الخاصة به، كالاحتفاظ ببعض الأسرار والأوضاع العائلية، بمعنى عدم إصرار كل طرف على ان يعري الطرف الاخر ويكشف خباياه او يغزو شخصيته، مع ضرورة توفر الثقة المتبادلة بين الطرفين، ويتطلب ذلك التمسك بقيم الصدق والأمانة والإخلاص والوفاء والطهارة والعفة والشرف. ويتعين عدم جرح كرامة او كبرياء احد الطرفين، مع اتسام الجو الأسري بالصداقة والتفاهم والتعاون والأخذ والعطاء والمشورة.

وفوق كل ذلك المشاركة الوجدانية العاطفية في السراء وفي الضراء، وتحمل اعباء الحياة بحلوها ومرها لتسير سفينة الزواج الى بر الأمان. ويتطلب ذلك تفاني كل طرف في العمل على إسعاد الطرف الآخر. ومن الناحية النفسية ضرورة التلاحم

والتوصل والتوحد الفكري بين الزوج والزوجة، مع الإيمان بأنه إذا بدأ احد الأطـــراف في إسعاد رفيقه، فان الطرف الثاني سوف يبدأ بعد ذلك كرد فعل طبيعي للعمل الطيـب. والمفروض ان يؤمن الزوجان بان المال وحده لا يصنع السعادة، والمفروض ان يبعـــد كل طرف عن رفيقه، بكل الطرق، مشاعر الملل والرتابة والغم والهم والنكد والحـــزن والكمد والضيق والغضب والثورة والاكتئاب والفشل والإحباط. ويتطلـــب ذلـــك تغـــير الروتين اليومي واستنفار او استدعاء كل طرف كل ما يملك من طاقات الخير والعطـاء والحب في الطرف الاخر، بمعنى إثارة الجوانب الخيرة في شخصية الطرف الاخر.

ومن هنا يقال للزوجة (وللزوج) الا تكون زوجة، وحسب، وانما هي الزوجة والصديقة والزميلة والأخت والام عند اللزوم. ويتطلب الوفاق الأسري تربيـــة الابنـــاء على احترام شخصية الاب واحترام وجوده في المنزل بحيث يتعلمون البعد عن الشـغب والضوضاء والشجار حتى لا يصبح المنزل جحيما مقيما تعمه الفوضـــى والانزعـــاج وهو اصالة مخصص للراحة. ومن الخصال التي يتعين تحاشـــيها البعـــد عـــن اقامـــة المعسكرات او التكتلات او التحزب والتشرذم، حيث تعمد بعض الأمهات إلى خلق حالة من تكتل الأبناء في معسكرها ضد الأب وهي في سبيل ذلك العمل المشين تقـــدم لـــهم الرشاوى والعطايا وتركع امام طلباتهم. ومن الإنصاف ان نقول ان الأب قد يفعل ذلـــك في الام مع ضرورة تحاشي توجيه اللوم والعتاب والنقد والتجريح المستمر والشـــكوى والتوجع بسبب او بدون سبب، مع الايمان بانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها فلا يرهـــق طرف من اطراف العلاقة الأسرية زميله بما لا تقوى عليه قدراتـــه وامكاناتـــه، مـــع ضرورة العفو والتغاضي عن الهفوات الصغيرة. فالإنسان ليس ملاكا على طول الخـط، مع عدم مقابلة الثورة بالثورة لان ذلك يشعل نارا. بل التدريب على ضبط النفس وكبـح الجماح والتحكم في الانفعالات الغاضبة والغائها او تأجيلها، بحيـــث يتوافـــر المـــنزل الهادئ النظيف الساكن المملوء بالحب والدفء. ومن الناحية النفسية يحتاج الزوج الـــى زوجة تعوض له ما ينقصه وتشبع لديه حاجات يتمنى تحقيقها، وهنا تقوم الزوجة بدور" المعالجة النفسية لمشاكل الأسرة وهمومها".

في ضوء اهمية الحياة الأسرية، باعتبارها نواة المجتمع الصالح ووسيلة خلق المواطن الصالح البعيد عن التطرف والعنف والارهاب والادمان، يدعو كاتب هذه السطور الى انشاء مدرسة لتعليم اصول الحياة الأسرية واصول السعادة الزواجية ونقل الخبرات الايجابية والتواصل الفكري بين الاجيال مع ضرورة اهتمام اجهزة الاعلام بتدعيم السلوك المؤدي الى تحقيق السعادة الزواجية وضرورة الدعوة لتعيين اخصائي نفسي مؤهل في كل المجتمعات البشرية وخاصة منظمات رعاية الامومة والطفولة مع تدريس مادة علم النفس الأسري في جميع اقسام علم النفس والتربية تحقيقا لمزيد من السعادة في الحياة الأسرية.. فالأسرة هي صانعة الاجيال الصاعدة وهي ايضا الامن والامان ضد اصابة الزوج والزوجة بالأمراض النفسية والعقلية وفيها حماية للشباب من خطر الجنوح والانحراف والجريمة والتطرف والارهاب وهي المدرسة التي يتعلم الفرد فيها اصول الطاعة والالتزام ذلك التعلم الذي يمتد اثره بعد ذلك ليعم حياته في مرحلة الشباب والرجولة والمواطنة الصالحة وكذلك فان ما ينفق على الأسرة من جهد ومال ليس من قبيل الخدمات الإنسانية وحسب وانما هو ايضا من قبيل الاستثمار الوطني الجيد.

سيكولوجية الزواج المتكيف:

هناك كثير من العوامل النفسية والسمات الشخصية التي تلعب دورا حيويا في حياة الزواج ابتداء من اولى خطواته وهو الخطبة وتستمر هذه العوامل مؤثرة طوال رحلة الحياة.

فاختيار شريك الحياة يتوقف على كثير من العوامل النفسية الداخلية وتلعب فيه العوامل الآتية:

١-نزعة الانطواء او الانبساط لدى الفرد.

٢-الميل للاعتماد على الذات او الاعتماد على الغير.

٣-العوامل المالية او الاقتصادية واتجاه القبول او الرفض حيالها.

٤-المستوى الاجتماعي والثقافي للطرفين ومدى تقاربه او تباعده.

٥-المستوى التعليمي لشريك الحياة.

٦-نزعات العدوان او التسلط او السيطرة.
٧-حب الشهرة والطموح.
٨-عامل السن.
٩-الظروف الأسرية التي يعيشها الفرد قبل الزواج.
١٠-الاضطرابات والمتاعب والأمراض النفسية.
١١-مستوى الذكاء والطموح.

كيف ينمو الشعور بالحب بين الزوجين:

يقول بعض علماء النفس ان نمو الحب في الحياة يمر بأربعة مراحل:
١-حب الذات ويحدث في مرحلة الرضاعة.
٢-حب الوالدين ويحدث في مرحلة الطفولة.
٣-حب الأصدقاء في مرحلة الشباب المبكرة.
٤-حب الشريك في مرحلة الرشد.

اذا استمر حب الإنسان في مرحلته الاولى، فان الحب هنا يصبح احد مظاهر النرجسية.

واذا وقف عند المرحلة الثانية او عند المستوى الثاني، فاننا نكون امام عقدة اوديب او عقدة الكترا.

واذا جمد الحب عند المرحلة الثالثة اذ يتوجه الحب نحو افراد من نفس الجنس أصبحنا امام مظهر من مظاهر الجنسية المثلية

وسواء اكانت هذه الكلمة- أي الجنسية المثلية او نقيضها- أي الجنسية الغيرية، فانها لا تعني بالضرورة وجود علاقة جنسية شاذة. والشخص السوي يصل الى مرحلة خاصة هي الحب الخلاق، حيث يستغرق الطرفان في تربية الأبناء واقامة حياة منزلية سعيدة، ويمارسان نجاحا في حياتهما المهنية.

المؤثرات الاجتماعية الحديثة على الأسرة:

لا شك ان التغيرات التي تحدث في المجتمع العام تنعكس على حياة الأسرة. فالتغيرات الأسرية تسير جنبا الى جنب مع التغيرات التي تحدث في المجتمع، من ذلك

حركة التحضير او التحضر الكبيرة التي طرأت على المجتمع بمعنى زيادة عدد الاسر التي أصبحت تعيش في المدن الكبرى وفي المناطق المجاورة لهذه المدن. الى جانب ذلك، فان الأسرة الريفية قد انتهجت النهج الحضري في حياتها. وعلى ذلك تتعرض الأسرة لعدم الثبات كما يعبر الطلاق عن ذلك، حيث يلاحظ زيادة نسبة الطلاق في المجتمع الأمريكي مثلا. ويصاحب هذه الاضطرابات او عدم الثبات هذا زيادة الاتجاه نحو الصداقة والاهتمامات العامة او المشتركة والتأكيد على العلاقات الديمقراطية.

وكما عبرت عن هذا التغير واحدة من مجلات الخدمة النسائية بالقول: ان مناخ الأسرة يصبح اكثر صحة مع جو دافئ مشمس ذلك الذي يتأتى من الاهتمامات المشتركة، مع ما يمكن ان نسميه المعية او الصحبة او الرفقة

منذ عدة عقود مضت كان الاب في المجتمع الامريكي هو رأس الأسرة بلا منازع. وكانت طلباته تلقى الاعتبار الاول، والان حل محل هذه الأسرة اسرة اخرى اكثر ديمقراطية تمارس الشورى بين اعضائها وتسود الصداقة اكثر من السلطة بينهم، ولكنها في مرحلة انتقالية، ومراحل الانتقال من المراحل الصعبة في حياة الافراد والجماعات.

الوعي بالخدمات المتاحة لرعاية الأسرة:

يجب ان يسلم افراد الأسرة بما يوفره المجتمع من الرعاية والخدمات لمواجهة ما قد يعترض سير الأسرة. فهناك مكاتب لرعاية الأسرة، وهناك عيادات للزواج، وهناك الأطباء النفسيون والعقليون . فمقابلة إنسان مؤهل ومدرب، ربما تؤدي الى رؤية المشكلة رؤية موضوعية وخاصة المرشد النفسي في مجال الزواج الذي يرى كل طرف كشخص له خصائصه وصفاته وقدراته ومواهبه وميوله ورغباته واتجاهاته ودوافعه وأهدافه. بعد عدة جلسات معه سوف يتضح ان الشكوى الرئيسة للطرفين هي انهما يشعران بالوحدة.

وان الواحد منهما يشعر انه منعزل عن رفيقه، لقد فقد الاهتمامات والميول المشتركة السابقة، واصبحا يواجهان صعوبة في الاتصال مع بعضهما البعض. لا

يستطيع الواحد منهما ان يشرح مشاعره للاخر. ويضيف هذا الى مشاعرهما بالاحبـاط. واذا حاولا الشرح، فكثيرا ما ينتهي هذا الشرح بالشجار حول امور بالغة البساطة.

ويتعين على مرشد الزواج ان يساعد الفرد لاعادة اكتساب حسه بقيمتـــه ، وان يتأكد ان كل مشكلة يعاني منها هو الآن قابلت غيره من قبل عشـــرات المـــرات، وان خبراته مع المشكلات السابقة سوف تساعده في حل المشكلات المقبلة. واهم من ذلك ان يتأكد الطرفان انهما سبق وان حلا مشاكل اصعب مما يواجهانه الان فـــي المـــاضي، وانهما مستعدان لعمل ذلك ثانية، اذا اخذا مشاكلهما مرة واحدة وتعهداها بالحل.

دور الإرشاد النفسي الجسمي في تحقيق التكيف الأسري:

الإرشاد الجماعي:

هو احد المناهج التي تساعد في اعطاء الأطراف الاســـتبصار الكـــافي لحـــل مشاكلهما. أي الفهم الموضوعي الدقيق لها.

ويمكن استخدام الإرشاد الجماعي في علاج مشاكل الزواج في إعطاء الأزواج بصيرة او استبصارا وفهما لمشاكل الزواج وكيفية حلها.

ففي احد التجارب تقابل عدد من الأزواج والزوجات الذين عاشوا حياة زوجيـــة سعيدة من الظاهر فقط مع المرشد لمناقشة مشاكل زواجهم، وكانت لهم خلفية مختلفـــة. وتبين لهم انهم واجهوا جميعا نفس المشاكل وهي التي تدور حول المســـائل الجنسـية والاتجاه نحوها، والاختلافات حول نظم تربية الابناء، والاختلاف حول رعاية ابويـــهم الكبار في السن والمشاركة في ذلك والخلاف حول عـــدد الأطفـــال الذيـــن يخططـــون لإنجابهم. ولم يكن هؤلاء الأزواج والزوجات قد سبق ان فكروا في هذه المشاكل مـــع بعضهم البعض. ولقد ساعد جو الاسترخاء الذي ساد في المناقشـــات الجماعيـــة علـــى إتاحة الفرصة لكل فرد ان يناقش مشكلته بحرية، وان يحللها واظهار وجـــوه النقـــص الشخصية. كل ذها ساعدهم في رؤية زواجهم بصورة اكثر موضوعية ودقة.

من بين النتائج الهامة في إحدى دراسات فشـــل الـــزواج ونجاحـــه تبيـــن أن العلاقات الجنسية للاباء ليست مؤشرا صادقا للصحة الانفعالية ومستوى التكامل للاسرة

كوحدة. لقد وجد الباحثون أسرارا سعيدة على الرغم من عدم التكيف الجنسي، وعلى العكس من ذلك وجدوا ان الأشخاص أصحاب الصحة الجسمية القوية لا يتمتعون بزواج سعيد وتؤيد مثل هذه النتائج حقيقة عامة معروفة منذ القدم بان الزواج لا يقوم على اساس الرواية البيولوجية او الجنسية. وانما على أساس الروابط الروحية والاجتماعية.

ضرورة التوسع في إنشاء عيادات نفسية:

وللأسف الشديد لا يوجد حتى في مجتمع كالمجتمع الأمريكي الا عدد قليل من عيادات الزواج . ولكن هناك نحو ثلاثمائة وكالة مرتبطة بتنظيم خدمات للاسرة تابعة لرابطة الخدمات الأسرية الأمريكية.

ولذلك هناك دعوة لتدعيم الإرشاد الأسري وزيادته لتعليم الناس اصول الحياة الأسرية وللوقاية من تحطيم الزواج وتصدعه.

لقد أسست اول جمعية أسرية في امريكا منذ اكثر من ٧٠ عاما، وذلك لعلاج مصاعب الأسرة دون الاهتمام بالجانب الوقائي. وفي أمريكا يوجد المعهد الامريكي للعلاقات الأسرية وبنشر الوعي، ويصدر مجلة شهرية هو مجلة الحياة الأسرية.

والآن هل يمكن وضع مبادئ تساعد على تحقيق مزيد من السعادة؟

وصايا الزواج:

وهناك مع بضع بعض الوصايا ويطلق عليها الوصايا العشر للزواج:

من ذلك ما يلي:

١- ضرورة الإيمان بان البيوت السعيدة لا تحدث عفوا او بالصدفة البحتة، انها تتكون عن طريق التفاهم والتعاون وعن طريق تحمس الناس الذين يعيشون في هذه البيوت.

٢- ان الجنس ان هو الا هبة من الله تعالى شأنه في ذلك شأن نعمة البصر والسمع والكلام ، ولذلك يتعين ان يستخدم بذكاء لاثراء الحياة ويستخدم بطريقة فنية

وليست آلية او ميكانيكية او عشوائية او حيوانية او بهيمية او شهوانية.

٣- في الزواج تتجمع وتتراكم جميع الأشياء والأحداث، الانسجام الجنسي، الاهتمامات المشتركة، المساعدة العملية او الفعلية والعبادة والصدق والمحادثات المنسجمة او المتجانسة وتترك بصماتها في المستقبل.

٤- ممارسة الحب بصدق وبقوة، ولكن لا تتطلبه في كل وقت، لانه نتاج الروح المتحررة، او لا تطلب التعبير عنه طوال الوقت، لانه لا يوجد شخص ما يحب شخصا آخر ١٠٠% كل الوقت.

٥- لا تتخيل ان الزوجين متجانسان متطابقان كحبة الفول عند انقسامها، فيجب ان تكون هناك اهتمامات مشتركة بينكما وهناك اهتمامات فردية لأي منكما وحده.

٦- فليحترم كل منكما فردية زميله تمام الاحترام.

٧- عش اليوم تماما، وان كان ذلك لا يمنع من التفكير في الغد، ولكن دون ان يكون هذا التفكير سببا في إزعاجك.

٨- حاول ان تقبل شريك حياتك بكل صفاته الإيجابية والسلبية لان السلبي منها قد يختفي او تعوضه الإيجابيات.

٩- اظهر إحساسك بفضائل شريكك وامتدح خصاله الحميدة لاننا ننفر من النقد او الشجار الدائم.

١٠- يجب ان تمتص بعض مظاهر العدوان التي قد تظهر من جانب رفيقك او حدته او انفعالاته وحاول ان تستحب بلطف وعطف لمثل هذه المواقف العارضة.

١١- عبر عن مشاعرك بصدق وبحرية وبأصالة.

ونظرا لأهمية الزواج كخطوة حاسمة في حياة الإنسان فلقد ابتكر بعض علماء النفس أداة للتعرف على مدى استعداد الفرد او تهيؤه لتكوين الزواج السعيد. من ذلك الاختبار الآتي:

اختبار الاستعداد او التهيؤ للزواج: مقياس الاتزان او التوازن الجيد :

يجيب الفرد على هذه الأسئلة بوضوح، وسوف تعطيه الإجابة فكرة عن مدى توازنه الشخصي ومن ثم استعداده لكي يكون صالحا للزواج السعيد.

السؤال	نعم	لا
١-هل تكره الناس المتسلطين جدا أو محبي المرأسة؟	( )	( )
٢-هل تحب ان تكتب خطابات شخصية؟	( )	( )
٣-هل تحب الناس الذين هم اكثر مهارة منك؟	( )	( )
٤-هل يصعب عليك ان تحب الناس الميالين الى قول"نعم" دائما؟	( )	( )
٥-هل تحب ان تسلي الناس في المنزل؟	( )	( )
٦-هل تميل الى تخطيط عملك بالتفصيل؟	( )	( )
٧-هل لديك ثقة عظيمة في نفسك؟	( )	( )
٨-هل تؤم دور العبادة كثيرا؟	( )	( )
٩-غالبا هل تستطيع ان تضحك شخصا مكتئبا؟	( )	( )
١٠-هل يحدث انك تعيد كتابة الخطابات قبل القائها في صندوق البريد؟	( )	( )
١١- هل تحارب لتحقيق أغراضك؟	( )	( )
١٢- هل يؤثر فيك المديح او اللوم كثيرا جدا؟	( )	( )
١٣- هل حدث ان شخصا ما أهانك وجرح شعورك جدا؟	( )	( )
١٤- هل يعتقد أصدقاؤك انك شخص مغرور او معجب بنفسك؟	( )	( )
١٥- هل يزعجك ان تخسر في مجادلة ما او جدال ما؟	( )	( )
١٦- غالبا هل يتحدث أصدقاؤك عنك من ورائك؟	( )	( )
١٧- هل يصعب عليك الاحتفاظ بأعصابك باردة؟	( )	( )

١٨- هل تكره الناس المحافظين والذين يأخذون حذرهم او يأخذون الحيطة ؟	( )	( )
١٩- هل تعتقد ان المعايير الأخلاقية الحالية صارمة أزيد من اللازم؟	( )	( )
٢٠- هل تشعر دائما بالتعاسة او التكبر والتذمر او الضيق او الشكوى؟	( )	( )

لقد وضع هذا الاختبار كليفور آدمز ١٩٤٧ اورده هيـنر ص ٢٧٥ واسماه **اختبار ما قبل الزواج.**

إجابة الأسئلة العشرة الأول يجب ان يكون" بنعم" والعشرة الاخيرة " بـلا". اذا حصل المفحوص على ١٥ درجة فاكثر فمؤدى ذلك انه متزن انفعاليا. ومن هذه الناحية يتوقع له ان يكون سعيدا في الزواج. اما الدرجة ١٠ فأقل فتدل على عدم الاستعداد او التهيؤ الآن لاستئناف مسؤوليات الزواج.

الى جانب نضوج الشخصية، فان الزواج يتوقف على مقدار حاجة الفرد اليه وشعوره بالرضا عن شريك الحياة والاتجاه الإيجابي نحو الحياة العائلية والشعور بالواجب والاحترام المتبادل والثقة المتبادلة والأمانة والصدق والوفاء والولاء والإخلاص والعفة والشرف والإيثار والتضحية والحيوية والنشاط والتعاون والأخذ والعطاء والمودة والرحمة والمشاركة الوجدانية والتسامح والعفو والصفح والصبر وقوة الاحتمال والجد والاجتهاد.

سيكولوجية الأسرة العصرية

- الآثار المترتبة على الظروف الوالدية.
- كيف يمكن وقاية الطفل من إساءة استعماله او التعامل معه؟.
- إساءة معاملة شريك الحياة.
- كيفية الوقاية من إساءة معاملة شريك الحياة.

مقدمة:

للأسرة أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع، ذلك لانها التربة الاولى التي ينشا فيها الفرد ويترعرع، وهي التي تستقبل الطفل وهو مازال عجينة لينة قابلـة للتكويـن والتشكيل والصقل والتنمية. وفيها تتم اولى خطوات اهم عملية تربوية في حياة الإنسـان وهي عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية والنفسية والاخلاقية والروحية والعلمية. تلـك العملية التي تحيل الطفل من مجرد كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي انساني. فالتنشـئة الاجتماعية هي التي تكسب الإنسان انسانيته.

وتزداد اهمية الأسرة حين يمتص الطفل من رحيقها الطيب سـمات المواطنـة الصالحة والفطرة السوية. وتلعب الخبرات التي يلقاها الطفل في سني حياته الاولى فـي احضان الأسرة دورا رئيسا وباقيا في حياته المقبلة لانه ما زال قليـل الخـبرة سـهل التشكيل طيع العود. وتمد الأسرة المجتمع بالأفراد الأسوياء الصـالحين. ولذلـك مـن الاهمية بمكان رعاية الأسرة والتعرف على العوامل النفسية المؤثـرة فـي اعضائـها والعمل على تحسين هذه العوامل.

وتكمن اهمية الاباء والامهات في تكوين الأسرة وبقاءها وسعادتها وحمايتـها وامداد المجتمع بالعناصر الصالحة ولا تكمن اهميتهم فقط في توفير الجينـات *Genes* اللازمة للوراثة الجيدة .

بل يوفرون البيئة او التربة او المناخ الصالح لتربية ابنائهم. وتبدأ هذه البيئـة، في واقع الحال، في رحم المرأة *Uterus* خلال شهور الحمل التسـع أي قبـل ميـلاد الطفل. وهناك كثير من العوامل التي تؤثر في حياة الجنين فيما بعد من ذلك إدمان الام للخمور او المخدرات او التدخين او التعرض للحوادث والانفعـالات الحـادة وتنـاول الأدوية والعقاقير دون الاستشارة الطبية والإصابة ببعض الأمـراض مثـل الحصبـة الألمانية. ولذلك يلزم تحسين ظروف المرأة في مرحلة ما قبـل الميـلاد *Prenatal Case* ولذلك نقلل من احتمال ولادة الطفل المبتسر *Premature* وغـير ذلـك مـن المشكلات التي يمكن التنبؤ بها من ذلك انخفاض معدلات الذكاء.

ويدخل في نطاق الاجراءات الوقائية كذلك الحرص على سلامة عملية الولادة وحماية الطفل الوليد من صعوبات الولادة المتعثرة كالاختناق او نقصان إمدادات الأوكسجين .

للأسرة أهمية كبيرة في مجال الوقاية لان خبرات الطفولة المبكرة وما يتعلمه الطفل في سني حياته الأولى يحصل عليه في نطاق الأسرة وفي دائرتها، كذلك فان مظاهر النمو الاولية تحدث في نطاق الأسرة. فالأسرة هي التربة التي ينشأ فيها الطفل ويترعرع ويشب اما سويا واما مريضا. كذلك فان خبرات الطفولة تترك بصماتها وتظل باقية طوال حياة الفرد وتصاحبه في مرحلة الرشد والكبر، ذلك لان حياة الفرد عبارة عن وحدة متصلة الحلقات.

ومن بين الحقائق العلمية الواضحة في مجال رعاية الأسرة، ان علاج الطفل وحده لا يكفي، ذلك لان الآباء دائما جزء من المشكلة ولذلك هناك ما يعرف باسم العلاج الأسري *Family*.

ومن الآثار المترتبة على الظروف الوالدية:

لقد وجد ان أطفال الآباء المصابين بالذهان العقلي *Psychotic Parents* اكثر بطأ في نمو القدرة الكلامية وأبطأ ايضا في التحكم في المثانة *Bladder control* ويعانون اكثر من مشكلات تناول الطعام والنوم واكثر عرضة لكي يكونوا جانحين.

كذلك وجد ان هناك نسبة اكبر من الأطفال مفرطي الحركة ينحدرون من آباء يدمنون تعاطي الخمور والمخدرات.

كذلك فان ابناء الامهات مدمنات الخمر تزداد نسبتهم في قلة الوزن عند الميلاد وضعف نسبة الذكاء. كذلك فهناك علاقة بين النزعة الاجرامية في الآباء والميل الى جنوح الاحداث في الابناء.

كذلك فان الأطفال الذين أسيء استعمالهم فيزيقيا والذين عانوا من نقص التغذية *Malnourished* والذين اهملهم الاباء كانوا اكثر عرضة للمعاناة من سوء التوافق من غيرهم من الأطفال.

وليس هذا وحسب، بل، ان الاباء الاسوياء، في بعض الحالات قـد يمارسـون تأثيرا سالبا على أطفالهم وعلى نموهم. من ذلك الحالات التي تعمل فيـها الام خـارج المنزل كل وقتها او التي تعمل في الانشطة السياسية والاجتماعية العامة وتترك شـؤون أطفالها للخدم وغيرهم او التسلط الوالدي او الاهمال او الافراط في الحب والعطف.

كيف يمكن وقاية الطفل من إساءة استعماله او التعامل معه؟

Child Abuse

يبدو فشل الاباء في تربية ابنائهم بصورة واضحة عندما يلجأ الاباء الى ايـذاء الطفل جسديا او فيزيقيا.

هناك حالات كثيرة تسجل من هذا النوع في المجتمع الأمريكي، ولكن يصعب الحصول على احصاء دقيق في هذا الصدد، ذلك لان اساءة التعامل مع الطفل يختلـف من حيث النوع والدرجة او الشدة اختلافا كبيرا. ودائما يخفي الاباء هذه الاسـاءة مـن منطلق الخجل والحياء والحرج الذي يصاحبه اساءة معاملة الآباء للابناء. ومـع ذلـك هناك حالات كثيرة وخاصة في الأطفال الذين هم دون سن الثالثة من العمر. واذا اخذنـا في الاعتبار اساءة التعامل لا الفيزيقي وحده وانما ايضا اساءة التعـامل الانفعـالي او العاطفي، فان هذا العدد يتضاعف بل ان هناك اعتداءات جنسية بيـن هـذه الحـالات *Sexual Assault* .

ولقد تبين ان الاباء الذين يسيئون التعامل *Mistreat* مع ابنائهم اكثر عدوانـا واقل ذكاء، واكثر اندفاعا واقل نضجا واكثر انانية واكثر توترا او اكثر ميلا لنقد ذاتـه عن غيرهم من الاباء الذين لا يسيئون معاملة ابنائهم. والاكثر احتمالا انهم هم انفسـهم قد سبق ان أسيء معاملتهم في سني طفولتهم ولذلك يكررون المعاناة القاسية التي ذاقـوا مرارتها.

فإساءة معاملة الطفل يمثل دائرة مفرغة. ومن الغريب ان هناك حـالات مـن هؤلاء الأطفال يظلون مرتبطين بآبائهم رغم خبرة سوء المعاملة، ويرفضون الانتقـال من بيوتهم.

وينقل لنا التراث صورا بشعة لهذه الاساءة تصل الى حد كي الطفل بالنـــار او بالسيجارة في جسمه او الضرب الذي قد يصل الى الاصابة بالغرغرينـــة والصدمــات الدماغية المستمرة. لدرجة عجز فيها طفل مصاب عن تحريك اصبعه والعجـــز عــن عمل الانعكاسات العصبية الطبيعية.

ووصلت العقوبات في بعض الحالات في المجتمع الامريكي الـــى القصـــاص بسجن الاب ٢٠ سنة. وتسجل المحاكم كثيرا من هذه القصص الدامية والدرامية وتسجل بعض الحالات العبث الجنسي بالطفل او اصابة الطفل بالعدوى.

وان كانت الإساءة النفسية اقل ظهورا، ولكنها اكثر بقاءا وصمودا في شخصية الفرد حتى سن الكبر. *(Sarson, p.499)*

ولذلك ينبغي ان يخضع هؤلاء الآباء لبرامج لعلاجهم وتدريبهم علـــى حســن معاملة أطفالهم ويتطلب ذلك القراءة والاطلاع علـــى دور الآبـــاء ومشـــاهدة نمـــاذج استعراضية من معالجة مشاكل تربية الأطفال وتعلم الام والاب الاسترخاء.

ويقوم الاخصائيون بزيارات نزلية اسبوعية لمنازل هؤلاء للتحقق مــن مــدى تطبيق محتوى هذه البرامج. لقد كشفت مقارنة هؤلاء الاباء لغيرهم عن وجود تحســن نتيجة لحضور هذه البرامج في فن الابوة ومهاراته.

وهناك منظمات سرية تهتم بعلاج الاباء الذين يسيئون التعـــامل مـــع ابنائـــهم تعرف باسم *Parents Anonymous* .

إساءة معاملة شريك الحياة *The Spouse Abuse*

ما هو الاتجاه العقلي الذي يحمله الناس نحو الزواج؟

بالنسبة لكثير من الناس الزواج يعني الحب والتماسك والاعـــزاز والاحتفـــاظ بالذكرى. وفي التراث الإسلامي الخالد الزواج معناه النفسي مودة وســكينة واســتقرار واشباع حلال ورحمة وتعاطف وتواد وشفقة وتعاون واخذ وعطاء وطاعـــة واحـــترام ومسئولية وصدق. انطلاقا من الهدي القرآني الكريم: ﴿ **وجعل لكم من انفسكم ازواجـــا لتسكنوا إليها** ﴾

ولكن للاسف الشديد لا يعتنون بهذا الاتجاه الإنساني والتسامحي في الوقت الحاضر اناس كثيرون من هؤلاء الذين يسيئون معاملة المرأة *Abused Woman* تلك الحالات التي كشفتها ولفتت الأنظار اليها الحركات النسائية فهناك حالات تهان نفسيا وأخرى تعذب جسديا. وهناك المرأة التي تحبس في غرفة النوم وفي المطبخ. بل هناك حالات تتعرض فيها المرأة للضرب والقتل او الطعن حتى الموت في داخل بيت الزوجية.

ما الذي يتركه تعذيب المرأة لفترة طويلة؟

مثل هذه المعاملة السيئة تزرع فيها الشعور بالخوف. فالشعور بالخوف وجد انه الشعور السائد الاول والمباشر بعد تعرضها للضرب او في اثناء الاعتداء عليها. ولكنها قد تعاني منه كمشاعر سالبة اخرى عندما لا تكون عرضة للاذى الفيزيقي او للخطر الجسدي. فقد تشعر بمشاعر الشك حول نفسها وقد تتردد في مشروعية شعورها بالخوف على حياتها وانها فعلا يساء استعمالها. وقد يعتريها الشعور بالذنب حتى دون ان تكون قد فعلت شيئا خاطئا. فقد تشعر بانها مسئولة عن عنف زوجها هي التي اثارته بطريقة او باخرى أي انها هي التي أوصلته الى حالة الاعتداء عليها بتحديه او سبه او اهانته او عصيانه او ما الى ذلك من الاسباب مما يجعلها تلوم نفسها بدلا من لوم من اساء التعامل معها. وقد تشعر بالفشل والاحباط كامرأة وكزوج وقد تشعر انه تم استدراجها لهذا الزواج وانها اصبحت لا حول لها ولا قوة.

اما الرجل الذي يسئ معاملة زوجته، فلقد وجد انه يمتاز بسمات خاصة منها انه مملوء بالغضب والسخط والتبرم والضجر والشك والريبة والتوتر والقلق. وعلى الرغم من سلوكه العدواني فانه يشعر بعدم الامان ويشعر كما لو كان هو الخاسر. وقد يستخدم العنف كمنفذ لمشاعره السيئة حول ذاته وحظه الضئيل في هذه الحياة. وينظر للمنزل على انه ذلك المكان الذي يستطيع ان يمارس فيه هذه المشاعر دون ان يلقى ردا عقابيا. فاذا نهره رئيسه في العمل عاد ليثأر من زوجته التي لا ترد عليه انه اقل توكيد لذاته في المجالات الاجتماعية عن زوجته. واغلب الظن انه قد أسيء استعماله وهو طفل واغلب الظن كذلك انه شاهد اساءة المعاملة بين والديه.

كيفية الوقاية من إساءة معاملة شريك الحياة :

هناك جهود مكثفة لمساعدة الشركاء الذين يساء معاملتهم ليس فقــط الرعايــة العاجلة وتوفير الحماية والأمن والمأوى ولكن ايضا تتضمــن هــذه الجــهود برامجــا وخططا طويلة المدى ولا شك انهم يحتاجون الى تحسين صورتهم عن ذاتهم _Self Images فيلزم تقوية المعرفة العقلية المرتبطة بذواتهم. ولذلك يقوم بهذه المهمة المرشــد النفسي حيث يشجعهم على ان يرددوا العبارات الذاتية الآتية:

١. انه لا يمكن ان يوجه إلي اللوم على ما اصابني من ضرب واساءة.
٢. انني لست سببا في عنف الطرف الاخر.
٣. انني لا اتحمل ذلك.
٤. انني جدير بان أعامل بكل احترام.
٥. ان لدي القوة لكي امارسها على حياتي الخاصة.
٦. استطيع ان استخدم قوتي لرعاية نفسي والمحافظة عليها.
٧. انني لقادر على عمل التعديلات المطلوبة في شخصي اذا رغبــت فــي ذلك.
٨. انني لست وحدي انني استطيع ان اطلب العون من الغير.
٩. انني استحق ان اجعل حياتي آمنة وسعيدة.

ولنا نحن المسلمين في رسولنا الكريم اسوة حسنة وقدوة طيبة نقتــدي به صلوات الله وسلامه عليه حين اوصانا بالنساء فلقد جــاء الــهدي النبــوي الشريف في التوصية بالنساء والاحســان اليــهن والعطــف عليــهن وتذكــر محاسنهن.

الفصل الرابع

أسس التربيـــة الســويــة

- مبدأ الثواب والعقــاب وآثاره التربوية.
- دور المؤسسات التربوية في مكافحة الجريمـــة والجنوح.
- التنميــة النفسيــة للفــرد.
- التربيــة النفسيــة في الإسلام.
- سنوات التعليم الأساس ومستوى نضج الاطفال.
- كيف يصبح سلوك الطفل سلوكــاً سوياً ؟
- هل يبحث أطفالنا عن القــدوة الحسنــة؟



مبدأ الثواب والعقاب وآثاره التربوية

يشبّ المسلم، في ضوء الثقافة الإسلامية، على تحمل المسئولية وتوقع الثـواب والعقاب والردع والمحاسبة والمحاكمة، ولذلك يجعله هذا المبدأ يتحمل مسئولية أعمالـه ونتائجها، ويؤكد له ما يقرره القانون الوضعي مـن ان مسـئولية الجريمـة مسـئولية شخصية تقع على فاعلها وحده ودون سواه. ولذلك يشـعر المسـلم، علـى المسـتوى الشخصي، بتحمل مسئولية اعماله، ولذلك يتجنـب الاعمـال الخاطئـة او المعـاصي والذنوب والآثام مما يعد ركيزة قوية في التربية الاخلاقية.

ويقول الله تعالى: ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامـة كتابا يلقـاه منشورا. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ [سـورة الاسـراء ١٣-١٤].

ويشرك الإسلام الإنسان في الحكم على نفسه بالادانة ويقنعـه بالخطـأ الـذي ارتكبه. وهذا مبدأ تربوي هام في الحياة الدنيا عندما يقتنع المذنب بذنبـه، فانـه يتقبـل العقوبة، وتؤثر فيه كوسيلة من وسائل التقويم والاصلاح والتهذيب، واعـادة التـأهيل الاخلاقي للعودة لحظيرة السواء والامتثال للقيم الصالحة واقرار التوبة النصوح وعـدم معاودة ارتكاب المعاصي.

يقول الله تعالى:﴿ صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون﴾ سـورة النمل (٨٨).

ويؤكد هذا الهدي القرآني الكريم ان جميع ما يأتيه الإنسان او يفعله فالله تعـالى عليم خبير به. فالإنسان يقع تحت الرقابة الالهية المقدسة، وليست المسألة كمـا تذهـب الفلسفات المادية عماءً او فوضى او عشوائية، فانما يعلم الله تعالى ما يقوم به العبـاد. وهذا الشعور يدفع الإنسان للحرص على مرضاة الله.

ويقول تعالى: ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ سـورة الذاريـات(٥٨) والهدي القرآني يجعل المسلم يشعر بالأمن والامان والاطمئنان، فان الله تعالى هو الـذي يرزق كل س وما في الكون، وان الله تعالى قوي متين، يسـتند اليـه الإنسـان وهـو

ضعيف بطبيعته، الى قوة عظيمة حامية وحارسة تعطف عليه وتحميه وتلبي نداءه فهو اقرب اليه من حبل الوريد.

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ سورة الذاريات(٢٠-٢١) ، ويدعو الإسلام ابناءه للتفكير والتأمل والتبصر والادراك والفهم والاستيعاب. التفكير في مخلوقات الله تعالى. فلقد قيل بحق فكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذاته، حتى يصل الإنسان من خلال التأمل في معجزات الخلق الى الايمان بالخالق العلي العظيم.

ومخلوقات الله آيات وعلامات ودلائل قوية على عظمة الخالق، بل ان الإنسان نفسه يجب ان يكون موضوعا للتفكير والتأمل في هذا الصنع البديع، ولا بد ان ينتهي الى ان هناك خالقا عظيما لهذا الإنسان بالغ التعقيد، ففيه تتجلى عظمة الخالق.

فهم الإسلام للطبيعة الإنسانية وأثره في الصحة النفسية:

يفهم الإسلام الطبيعة البشرية فهماً يفوق كل علوم الدنيا الحديثة لان خالق الشيء أقدر على فهمه من غيره. ومن ذلك ان نفس الإنسان توسوس له قال تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد. وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ [سورة ق١٦-٢٢].

والوسوسة، في اطار علم النفس الحديث، احدى وظائف النفس حين تملأ الوساوس والأوهام والخيالات والافكار الزائفة نفس الإنسان، فيعتريه الشك والريبة في كل ما يقوم به من اعمال، وتحرضه هذه الوساوس على القيام بأعمال ضارة او مؤذية، فالنفس تكون أمارة بالسوء، وقد تكون طيعة مستقيمة مطمئنة صالحة. وهنا اشارة اخرى الى فكرة الحساب والردع والعقاب والمحاكمة والمحاسبة، ليشعر الإنسان انه

مسئول عما يأتيه من أفعال، وأن يوم الحساب آت لا ريب فيه، وفي ذلك أطيب الأثـــر التربوي في تقويم النفوس وتهذيب السلوك.

يقول تعالى: ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام﴾ البقرة(٢٠٤)

ويشير القرآن الكريم هنا الى حالة نفسية وهـــي النفـــاق والريـــاء والمداهنـــة والغش، واظهار الفرد خلافا لما يبطن، وهي حالة يعرفها علم النفس الحديـــث بأنـــها" حالة العكسية" حيث يظهر الإنسان خلافا لما يبطن، فالشخص البخيل يتظاهر بـــالكرم، والموظف المرتشي يتظاهر بالأمانة، والأم المهملة تتظاهر بانها أم مثالية، وفـــي ذلـــك تنبيه من القرآن الكريم لمن قد يغش الإنسان ويتظاهر بصداقته، وهو من ألـــد أعدائـــه وخصومه، فالعبرة بما في القلوب، ولا تؤخذ الامور بظواهرها الخارجية، وفـــي ذلـــك احتراس من خطر المنافقين والمرائين، والذين يكثرون في هذه الايام وخاصة من يحيط برجال الإدارة العليا من بطانة فاسدة.

قال تعالى: ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ الاحـــزاب (٤)، ويرشـــد الإسلام سلوك الإنسان وفكره واتجاهاته وميوله نحو هدف او غايـــة واحـــدة حتـــى لا يتعرض للتشتت والفوضى والضياع والخلط، وفي ذلك قمة التنظيم والترتيب. وحتـــى لا يتناقض في افكاره المتضاربة او المتناقضة لوضوح الرؤية وتحديد الهدف، والفلســـفة التي يؤمن بها الإنسان، وتلك من علامات الصحة العقلية الجيدة التي تستبعد التنـــاقض في الشخصية او التضارب في السلوك، وحتى لا يحدث انقسام في الشخصية او فصـــام او يتشتت ذهن الفرد ونشاطه نحو اكثر من غاية.

قال تعالى: ﴿ ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانـــهم ولـــو نشاء لأريناكم فلتعرفنهم بسيماهم﴾ سورة محمد .(٢٩) (٣٠)

الذين في قلوبهم مرض إشارة الى اصابة الإنسان في ايمانه وتقواه وشـــعوره نحو خالقه. فالقلوب وما يعبر عنه اليوم، في إطار علم النفس الحديـــث، بـــالعقول قـــد تصاب بالمرض، من ذلك الغش والخداع والرياء والمداهنة والشك والريبـــة والخبـــل والخلط والتشويش.

قال تعالـــى: ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ سورة القيــامــة (١-٢) يشير القرآن الكريم الى واحدة من المفاهيم والتصورات التي يهتم بـــها علــم النفس التحليلي، وهي ﴿ النفس اللوامة﴾ وتقابل الضمير الاخلاقـــي، الــذي يحاســب صاحبه على كل كبيرة وصغيرة ويردعه في شكل لوم الذات ويقابل هنا فكــرة الــذات العليا عند سيجمند فرويد.

قال تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنـة هـي المأوى﴾ سورة النازعات(٤٠،٤١)

من وظائف النفس البشرية، في التصور الإسلامي، الهوى والأنانيــة، واللــوم والطمع والجشع ولها وظائف ايجابية كالحب والرحمة والشفقة، واخرى سلبية كاتبـــاع الهوى. ومن هنا كانت ضرورة الرسالة والدعوة والتربية والتعليم لتغلب الجانب الخــير السامي في الذات الإنسانية على جوانب الهوى والشطحات، والخوف مـــن الله تعــالى أقوى الروادع والزجر والالتزام بالطاعة.

قال تعالى: ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه﴾ ســـورة الانعــام (١٠٤) والإسلام دائما يهتم بالجانب التأملي العقلاني، حيث يحض أبناءه على التبصــر والتأمل والتفكير والتدبر في امور الكون وفي مخلوقـــات الله، وصــولا الــى الغايــة العظمى، وهي الاعتراف بوجود الخالق العظيم، وهنا توكيد لدعوة التبصـــر والنظــر والتأمل وصولا للايمان الراسخ.

قال تعالى: ﴿ ومن يُوقَ شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ سورة الحشر (٩) وقــد تدفع الإنسان نزعات نحو الشح والبخل والتقتير الى ان يؤذي نفسه، فالإسلام يدعو الــى الكرم والسخاء والوسعة على العيال والى الجود، ويدعو الى تهذيب النفس اذا جنحـــت الى الشح والبخل، ولكن يلاحظ ان الإسلام دعوة وسطية في تنشئته الاجتماعية والنفسية للفرد، فلا شح وبخل وتقتير، ولا إسراف وبذخ وتبذير، وانما توسط واعتدال.

هل الإنسان خير بطبعه أم شرير بطبعه؟

تذهب الفلسفات المتشائمة الغربية الى تصور الإنسان على انه شـــر محــض بطبيعته، ولكن التصور الإسلامي يذهب الى ان الخير والشر في الإنسان، قال تعـــالى:

﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ سورة الشمس (٧-١٠) وعلى الإنسان الاختيار وتحديد سلوكه ومن هنا تنشأ فكرة المسئولية والثواب والعقاب. ومن هنا ايضا تظهر وظائف الانبياء والرسل ورجال الوعظ والارشاد والتربية ودعاة الاصلاح كي يغذوا الجوانب الخيرة في الذات الإنسانية. وعلم النفس واحد من هذه العلوم التي تسعى لعلاج ما قد يصيب النفس من اعوجاج. قال تعالى : ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء﴾ سورة يوسف (٥٣)

ونفس الإنسان قد توسوس له بعمل الافعال المؤثمة او المجرمة او المحرمة او المكروهة، وتدفعه لارتكاب الآثام والمعاصي والذنوب والخطايا، ولذلك على الإنسان ان يحترس من ذاته والا يتبع هوى نفسه وشطحاتها وهواها، وانما عليه دائما ان يتحكم في عواطفه وان يسيطر عليها وان يوجهها نحو الخير.

قال تعالى: ﴿ ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه﴾ سورة محمد (٣٨)

ويعتبر الإسلام البخل من الصفات الذميمة في الإنسان، ولذلك على الإنسان أن يحارب تلك السمات السالبة في ذاته، من ذلك البخل والغل والأنانية والفردية والغيرة والانتقام، وأن يزكي وينمي في نفسه السمات الحميدة والخصال الجيدة والمحبوبة، كالرضا والزهد والقناعة والتوكل على الله والرحمة والشفقة والمودة والاخاء والتعاون والمحبة والمسالمة والمشاركة الوجدانية والاتحاد والتعاون.

تنمية الإيجابية في الشخصية الإسلامية:

قال تعالى : ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ سورة لقمان (١٧ – ١٩) .

يربي الإسلام ابناءه على الايجابية، ونبذ السلبية، فالمسلم مأمور أن يأمر بالمعروف وأن ينه عن المنكر، وفي ذلك بيان للدور الاجتماعي والإنساني للمسلم، فهو مسؤول عن توجيه غيره من الناس نحو الخير والمعروف والمروءة والمودة والرحمة، ونحو طاعة الله تعالى ورسوله وولاة الأمور، وتلك الايجابية يخلقها الإسلام في

الشخصية وتؤدي الى الإصلاح الاجتماعي، كذلك يدعوه الإسلام للتحلي بالصبر، كما يدعو للتوسط بين التواضع والخضوع للناس بلا داع والكبرياء والفخر والغرور والمباهاة، والاعتدال في المشي وفي الصوت وتلك من أرقى الآداب.

وذلك حتى يتحاشى المسلم الشعور بالخيلاء والغرور والعظمة الزائفة التي في الواقع هي أحد الامراض العقلية المعروف اليوم باسم " البارانويا " أي جنون العظمة والغرور والمباهاة.

ويوضح الإسلام للانسان انه كائن صغير بالنسبة للجبال الشواهق، قال تعالى : ﴿ ولا تمش في الارض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ﴾ (سورة الاسراء ٣٧ – ٣٨).

والغرور من السمات السيئة في الشخصية والبعيدة عن خلق الإسلام. وهكذا يحرص الإسلام على أن يظهر ابناؤه بالمظهر الاجتماعي والاخلاقي اللائق او السوي ويؤكد الإسلام على الاعتدال والبعد عن التطرف والمغالاة بين الخضوع والمباهاة وفي ذلك قمة السواء النفسي في ضوء علم النفس الحديث. ويقول تعالى:﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ﴾ (سورة لقمان ١٨) .

مبدأ التوسط والاعتدال في الإسلام وأثره النفسي والتربوي :

الإسلام بعيد عن التطرف والتزمت والتعصب التي غرقت فيها المذاهب الغربية، فها هو القرآن الكريم يؤكد أن أمة الإسلام أمة وسط تمتاز بالاعتدال والتوسط في كل شئ فلا إفراط وزيادة عن الحد ولا تفريط وإهمال أو إغفال الشيء مطلقا.

ومبدأ التوسط هذا من المبادئ ذات الانعكاسات النفسية والتربوية الجيدة، لذلك يقول تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ سورة البقرة (١٤٣).

فالطفل إذا تربى على القسوة والعنف والشدة الزائدة والزجر والصد والحرمان، شب طفلاً مريضا، وإن تربى على أساس من التدليل المفرط والدلع وترك

الحبل على الغارب والحرية المطلقة والاشباع الكامل لكل طلباته شب مريضاً أيضاً عاجزاً عن تحمل صعوبات الحياة وشدائدها وما تفرضه علينا من حرمان في بعض المواقف.

ويقول تعالى :﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً ﴾ (سورة الإسراء: ٢٩).

وفي ذلك ابلغ الأثر النفسي والتربوي والاجتماعي، فلا اسراف زائد حتى لا يصاب الإنسان بالإفلاس وضياع ثروته، والتعرض لخطر غوائل الدهر، ولا يبخل فيصل الى حد الحرمان من متاع الدنيا وطيباتها الحلال. والتوسط والاعتدال في معاملة الاطفال وفي معاملة الناس عامة سبيل الى التمتع بالصحة النفسية والعقلية الجيدة والى حسن العلاقات الاجتماعية، وفيه بعد عن الغلو والشطط والشذوذ، فالإسلام دستورنا الجامع المانع منذ الأزل والى الابد والى قيام الساعة. دستور صالح لكل زمان ومكان وسبيل للصلاح والتقوى والورع، وسلامة المجتمع من التصدع والانهيار والانقسام والتمزق.

دور المؤسسات التربوية في مكافحة الجريمة والجنوح

تمهيد

في هذا البحث المتواضع استعراض نقدي لظاهرة الجريمة وأنواعها وأسبابها والنظريات التي وضعت لتفسيرها وكيف أنها لا ترجع الى عامل واحد بعينه وراثياً أكان ام بيئياً وإنما ترجع الى تضافر مجموعة من العوامل الامر الذي يجعل لمؤسساتنا الاجتماعية دوراً في الوقاية منها ومكافحتها على اعتبار ان الجريمة ليست سلوكاً حتمياً او محتوماً ويهتم البحث بإبراز الدور الذي يتعين على مؤسساتنا التربوية في عالمنا العربي القيام به وقاية وعلاجاً للجريمة والجنوح.

مفهوم الجريمة :

الجريمة من الناحية القانونية مصطلح قانوني لأنها كل عمل يعاقب عليه القانون او يجرمه أي يعتبره جرما وموجبا للعقوبة المرتكبه والجريمة أو الجرم *Crime* من الناحية الاجتماعية كل فعل يعود بالضرر على الأفراد او المجتمع، ويعاقب عليه القانون. والجريمة ظاهرة اجتماعية بسبب كثرة انتشارها وبسبب وجودها في وسط جماعة وتنشأ الجريمة عن اسباب متعددة جسمية وعقلية وعصبية ونفسية واجتماعية واقتصادية، فمن العوامل النفسية الاتجاهات والميول والعقد والأمراض النفسية والضعف العقلي. وقد ترجع الجريمة لعوامل وراثية أو داخلية في داخل الفرد، وقد ترتد الى التأثر بالبيئة الفاسدة او غير الصالحة، أي ترتد الى التعلم والاكتساب والاحتكاك والتفاعل مع عناصر البيئة الاجتماعية والمادية التي يعيش الفرد في كنفها. وقد تنشأ الجريمة من نقص جسمي او ضعف عقلي او اضطراب انفعالي.

هذا وتختلف الأفعال التي تنال التجريم من مجتمع الى آخر وفي ذات المجتمع من حقبة الى اخرى. فالجريمة ليست مطلقة وقد تغلظ العقوبة على فعل ما في فترة ما

وقد تخفف في حقبة زمنية اخرى كما هو الحال حين غلظت عقوبة الاتجار في المخدرات في التشريع المصري ووصلت الى حد الاعدام.

أنواع الجرائم :

ويمكن تصنيف الجرائم وفقاً لقانون العقوبات الى فئات ثلاث هي :

١- المخالفات *Contravention's* وهي أخف ألوان الجرائم كالمخالفات التي توقع على من يخرج عن قواعد المرور في قيادة السيارات او كمنع الأب طفله الملزم من التعليم الابتدائي.

٢- الجنح *Misdemeanors* وهي جرائم اشد من المخالفات كالضرب الذي لا يفضي الى عاهة مستديمة.

٣- الجنايات *Felonies* وهي أشدها جميعاً ومنها القتل.

وتتفاوت العقوبات تبعاً لجسامة الجرم فتبدأ بالغرامات المالية *Fines* وتنتهي بعقوبة الإعدام *Capital Punishment* .

في الشريعة الإسلامية يوجد التعويض والجلد والرجم وقطع العنق.

ويميل التعريف الاجتماعي للجريمة الى اعتبارها سلوك ينتهك مرتكبه القواعد الأخلاقية، التي وضعت لها الجماعة جزاءات او عقوبات ذات طابع رسمي. وتحدد الدولة، في اية حقبة من حقب الزمن مجموعة الافعال الي تعتبرها جرائم موجبة لتوقيع العقوبة على من يرتكبها فالجريمة فعل يحرمه القانون ويمنع ممارسته، ويعاقب عليه.

السلوك المضاد للمجتمع غير الجريمة :

ولا يشمل القانون الجنائي – في معظم الجنايات – جميع الأفعال او الأنماط السلوكية المضادة للمجتمع وللقيم وللمثل العليا والمعايير الخلقية، ومن ثم لا تدخل ضمن قائمة الجرائم او الأفعال المؤثمة قانوناً. على الرغم مما لها من آثار ضارة بحياة المجتمع وأفراده فالقانون الوضعي لا يعاقب على الرياء أو النفاق او المداهنة أو الكذب او عدم الوفاء أو الولاء أو الانتماء أو الإخلاص او الصدق.. الخ.

جرائم أرباب الياقات البيضاء :

ولقد اشار سذرلاند Suthorland. E في كتابه جرائم ارباب الياقات البيضاء الى بعض الأعمال التي يمارسها كبار رجال الصناعة والتجارة واعتبرها صوراً من صور الانحراف الاجتماعي ولذلك يلجأ بعض علماء الاجرام *Criminology* الى توسيع مفهوم الجريمة لتشمل السلوك المضاد للأخلاق وللمجتمع، وان كانت لا تدخل ضمن الجرائم المعاقب عليها وفقاً لقانون العقوبات.

الجريمة بمعناها الواسع :

واذا كان لعلماء الاجرام هذا الاتجاه الشمولي في تحديد مفهوم الجريمة، فان رجال التربية لابد وأن يكون لهم مفهوم أكثر شمولا لمعنى الجريمة والجنوح والانحراف ليشمل كل ما يخالف القيم الروحية والخلقية، وأنماط السلوك المرعية والعادات الإيجابية والتقاليد والمثل والاعراف والمعايير المتمثلة في التمسك بآداب الفضيلة والعفة والصدق والولاء والوفاء والعرفان والانتماء والتضحية والايثار والفداء والوطنية الصالحة والأمانة والجد والاجتهاد واحترام الغير وحقوقه وحب السلم والسلام والتعاون والاخاء والبر والإحسان والتواضع.. الخ ذلك لأن التربية هي صانعة الإنسان ولابد أن يكون نتاجها صالحا ومثاليا وايجابيا .. الخ.

الجريمة والشذوذ النفسي :

ولكن الانحراف بالمعنى النفسي *Deviation* لا يتضمن بالضرورة النزعة الإجرامية، ذلك لأن الإجرام والجريمة مصطلحان قانونيان من الناحية السيكولوجية. فالخوف من الظلام أو من المياه الجارية، أو من رؤية الدم، أو الحشرات.. انحراف عن السواء فيما يتعلق بالأشياء التي تثير بطبيعتها الخوف في الأسوياء من الناس، ولكن هذه الانحرافات لا تشكل جريمة وإن كان هذا لا يمنع من وجود أناس لديهم نزعات قوية *Strong Tendencies* نحو ارتكاب الجريمة او السلوك المضاد

للمجتمع *Antisocial Behavior* ولكننا نشك مع كثير من العلماء في ارجاع الجريمة الى العوامل الوراثية او النزعات الموروثة وحدها او في أن هناك نمطاً من الناس يمكن وصفه بالنمط الإجرامي *Criminal type* او النمط المنحط *Degenerate type* ذلك لأن هناك تفاعلاً قوياً جداً يحدث بين ما يرثه الفرد من استعدادات عامة وبين عوامل البيئة الاجتماعية والمادية ومتغيراتها، وقلما يحصل سلوك معين نتيجة لعامل واحد بعينه.

فالجريمة تتضمن تعدياً على الحقوق العامة او خرقا للواجبات نحو الدولة أو نحو المجتمع. وهذا ما لا يوجد في المرض النفسي ومعروف ان اقصى العقوبات هي عقوبة الاعدام التي يختلف الان حولها العلماء من مؤيد ومعارض .

ويمكن تمييز العديد من الجرائم منها الجرائم ضد النفس او ضد الممتلكات او ضد الدولة وسيادتها. وهناك الجريمة المستمرة التي يستمر او يدوم وقوعها كجريمة حمل السلاح دون ترخيص. وهناك ما يعرف باسم الجرائم التقريبية او أشباه الجرائم *Guasi Crimes* وتشمل الأفعال التي تقع بين الجنح والجنايات، فتكون اخطر من الجنح وأقل من الجنايات، من ذلك إهمال الواجب العام أو التقصير فيه أو مخالفة الواجب العام، ومن ذلك ايضاً الأفعال التي يسأل عنها أناس غير أؤلئك الذين ارتكبوها كما يحدث اذا تناول طفل صغير بندقية والده وأطلق منها عياراً نارياً فأصاب زميلاً له وهنا تقع المسؤولية على الوالد بسبب تركه السلاح سهل التناول بالنسبة لابنه وهو محشو بالرصاص. ولذلك يقال ان مسئولية التابع تقع على المتبوع. وهناك ما يعرف باسم جرائم مخالفة الطبيعة كالجماع على خلاف الطبيعة السوية كاللواط والسحاق والاتصال الجنسي بين إنسان وحيوان وما الى ذلك من الجرائم الأخلاقية الشاذة. وهناك العديد من الجرائم كالسرقة والغش والتدليس والنصب والاحتيال والتزوير والتزييف والسطو على المنازل وحرق المنازل المأهولة بالسكان والاعتداء على العرض والجرائم المنافية للاحتشام والقتل والزنا وتسميم المواشي والإنسان. وهناك جريمة الخيانة العظمى.

ويمكن التمييز بين الجريمة والفعل المدني الخطأ وان كانت الجريمة تتضمن ايضا فعلا خاطئا وخطيرا على حياة الناس او ممتلكاتهم. الجريمة خطأ ضد المجتمع يستوجب ايقاع العقوبة. الخطأ المدني ضد شخص او اشخاص يتطلب علاجه دفع المخطئ تعويضا عما آتاه من اضرار مادية او معنوية للشخص الذي وقع عليه فعل الضرر. ولكن هناك بعض الافعال التي تعتبر اجرامية وفي نفس الوقت تعتبر خطأ مدنيا. من ذلك اصابة شخص ما او اتلاف سيارته *Civil Wrong* .

لاثبات الذنب او الجرم *Guilt* يجب ان تستوثق سلطات التحقيق لا من ان المتهم قد اتى الفعل المنسوب اليه فعلا وحسب، ولكن ايضا قد آتاه بعقلية اجرامية او مؤثمة *a guilty mind* بمعنى وجود القصد او النية لعمل هذا الفعل *Intention* مما يعبر عنه بلغة اركان الجريمة المادية والمعنوية او سبق الاصرار والترصد.

وتتدخل العوامل النفسية لا في ارتكاب الجريمة وحسب ولكن ايضا في مدى تقدير المسئولية الجنائية على مرتكبي الجريمة *Criminal Responsibility* ففي حالة ثبوت جنون المتهم *Insanity*، فانه يعفى من العقوبة.

وجهة النظر الحديثة للمجرم:

تتجه المدارس الحديثة في علم الاجرام وكذا في علم النفس الجنائي الى اعتبار المجرم مريضا ومعاملته ومعالجته على هذا النحو، مع التركيز على وظيفة المؤسسات العقابية كالسجون والاصلاحيات *Prisons and Reformatories* في الاصلاح والتهذيب والتأهيل واعادة التأهيل والتدريب لامكان اعادة المجرم الى حظيرة السواء والانخراط الايجابي في المجتمع مرة ثانية لتأدية دوره فيه ولاتقاء شره.

وهناك من ينظر للسلوك المضاد للمجتمع *Antisocial Behavior* على انه اضطراب عقلي يستوجب المعالجة الطبيعية والنفسية. ولكن الحقيقة ان هناك كثيرا من المجرمين الذين لا يعانون من اية اضطرابات او اعراض المرض العقلي كالخطأ في ادراك الزمان او المكان او غير ذلك من مظاهر السلوك المرضي *Pathological*

behavior فليس جميع المجرمين مرضى عقليين، وان كان هذا لا يمنع من ضرورة توفر عامل نفسي في كل جريمة يكمن بين دوافعها المختلفة.

الشخصية المضادة للمجتمع:

ولقد كان يطلق في الماضي على الشخصية المضادة للمجتمع او الشخصية السيكوباتية العته الخلقي *Moral Insanity* على اعتبار ان العطب لا يصيب- في هذا الاضطراب- الوظائف او القوى العقلية والادراكية، وانما ينصب على الجانب الخلقي او على ضمير الفرد. ولذلك يمتاز الشخص السيكوباتي بانعدام الضمير، وعدم الشعور بالذنب او اللوم او الخجل، وبالبلادة العاطفية او الجمود العاطفي، وبالرغبة في الاستغلال والابتزاز والاستحواذ والانتقام. ويميل الى الكذب، والاذى، والعدوان، والمراوغة... الخ.

ويتجه بعض الباحثين في الوقت الحاضر الى استخدام اصطلاح الشخصية السسيوباتية *Sociopathy* بدلا من مصطلح الشخصية السيكوباتية *Psychopathy* اشارة الى ان الاضطراب في جوهره اضطراب اجتماعي اكثر من كونه نفسيا.

سمات الشخصية المضادة للمجتمع:

في معرض السعي وراء علاج هذه الشخصية او الوقاية من الاصابة بها، لا بد وان نتحسس سماتها ونتعرف على خصائصها، بغية التعرف عليها في وقت مبكر يسمح بعلاجها، او الوقاية من الاصابة بهذا الاضطرابات. صاحب هذه الشخصية لا يفهم القوانين الأخلاقية ولا يعيها، *Ethical Codes* وكأنها وضعت لغيره من الناس، فلا تنطبق عليه، ومع ذلك نراه يتظاهر بتمتعه بالأخلاق الرفيعة. ولكنه في الحقيقة مجرد ممثل يمثل الادوار دون عاطفة صادقة. كذلك يفتقر الى الشعور بالقلق او الشعور بالذنب *Anxiety and guilt* فهو لا يشعر بالاحترام لمشاعر الآخرين او راحتهم او سعادتهم او حقوقهم. وفي الغالب ما يخرق القانون دون النظر الى ما يترتب على ذلك من نتائج *Consequences* ويهتم باللذة الآنية العاجلة، وليس له اهداف

طويلة الامد، فهو يعيش للحظته وتوه ولا يستطيع ان يتحمل المسئولية ولا يركز طويلا على الاعمال، ولذلك نراه يغير عمله بين الحين والآخر.

ومع ذلك يبدو ظاهريا، بانه انسان جذاب ومحب للفكاهة. يفهم مواطن القوة والضعف في الآخرين، كما يفهم حاجاتهم ويستغل كل ذلك لمصلحته الذاتية، فهو أناني، او متمركز حول ذاته. فاذا كان تاجرا لجأ الى الغش وغيره من الوسائل غير المشروعة لتحقيق الكسب السريع. واذا كان موظفا لجأ الى الرشوة والاختلاس والاهمال.

ويبدأ السيوباتي بالصراع مع السلطة منذ طفولته الاولى، ذلك الصدام الذي يبدأ بالتمرد على السلطة الوالدية والمدرسية او التعليمية. ولذلك فالمؤسسات التعليمية تعاني كثيرا من هذه النوعية من الطلاب في خرق النظام والاعتداء على الغير، والهروب، والكذب، والغش، والتمرد والعصيان، واهمال الواجبات المدرسية. وقد يصل الامر الى تكوين العصابات. واذا لم يجد السسيوباتي العلاج الناجح شب على الاجرام في مرحلة الشباب والرشد. ولذلك تكثر حالات التأخر الدراسي بين هؤلاء الاطفال والمراهقين. ليس لهذا النوع صداقات حميمة فهو يقيم الصداقة بسرعة ويقطعها بسرعة ايضا. ولا يتعامل مع احد بتعاطف او تواجد او تواصل حقيقي، ولكنه سطحي الانفعال والعواطف مادي النزعة.

معايير ومحكات الشخصية المضادة للمجتمع:

ولقد وضع كليكلي *Cleckly'H.* معيارا لتحديد الشخصية المضادة جاء فيه:

١. يتمتع السسيوباتي بالجاذبية السطحية، ويزيد مستوى ذكائه عن المتوسط.
٢. لا توجد لديه اعراض الذهانات العقلية أي الأمراض العقلية كالفصام مثلا، وكذلك لا يعاني من القلق المرضي، بل انه يبدو مستريحا في المواقف التي تثير قلق الأسوياء من الناس.
٣. لا يوجد لديه شعور بالمسؤولية تجاه الاشياء البسيطة او الخطيرة على حد سواء.

٤. لا يعاني من الشعور بالعار او الخجل.
٥. لا يقول الصدق ولا يهتم عند اكتشاف كذبه، بل انه يفضل الكذب حتى عندما يكون قول الصدق في صالحه.
٦. ممارسة السلوك المضاد للمجتمع دون الشعور بالأسى أو الأسف أو الندم.
٧. فقر في أحكامه العقلية، وعجز تام عن الاستفادة من خبراته السابقة بما في ذلك العقاب.
٨. فقر في الاستبصار او الفهم الاصيل.
٩. حب الأشياء التافهة، وعدم الولاء او الإخلاص، وفقر في اعطاء او استقبال الحب.
١٠. لا يستجيب كثيرا للاعتبار والعطف تجاه الآخرين.
١١. لا يوجد في تاريخه محاولات جادة للانتحار.
١٢. فشل في الحياة المنظمة والمخططة.
١٣. تظهر هذه السمات فيما قبل سن العشرين وقد تزول بعد الثلاثين من العمر.

ويستطيع المعلم ان يجري دراسة بسيطة يستخدم فيها مقياسا يتضمن هذه المواد للتعرف على الاطفال المصابين في فصله.

اذا كانت هذه هي بعض سمات الشخص المضاد للمجتمع فمن الأهمية بمكان ان نتعرف على العوامل السببية المؤدية الى تكوين مثل هذه الشخصية. وذلك بغية تحاشي هذه العوامل كإجراء وقائي من الإصابة بهذا الاضطراب. وسوف نتناول، فيما بعد، الدور الذي يمكن ان تقوم به مؤسساتنا التربوية في الوقاية والعلاج من هذا النمط الشاذ من السلوك.

أسباب السلوك المضاد للمجتمع:

هناك بعض النظريات التي ترجع السلوك المضاد للمجتمع او الاجرام الى عوامل متعددة يمكن حصرها في العوامل النفسية والعقلية والعصبية والحيوية الكيميائية والغدية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية. وتصنف هذه العوامل بارجاع

بعضها الى الوراثة *Heredity* والبعض الاخر الى البيئة التي يعيش الفرد في وسطها *Environment* .

العوامل السببية الوراثية:

معظم الدراسات التجريبية في هذا الميدان اجريت على المجرمين ولم تجر على السسيوباتيين أي المضادين للمجتمع الذين يوجد معظمهم خارج السجون.

ومن الجدير بالذكر ان نؤكد ان الوراثة يقصد بها تلك السمات والخصائص او العوامل التي تنتقل من الآباء والاجداد عبر ناقلات الوراثة او الجينات *Genes* الى الذرية او الى الابناء. تلك العوامل التي تترك بصماتها واضحة في سمات او قدرات مثل الذكاء وطول القامة ولون العينين وشكل وتركيب او بناء الجسم حيث يغلب عليها الاثر الوراثي.

اما عن المنهج العلمي الذي درج العلماء في اتباعه لتحديد العوامل المسئولة عن الاجرام فيكمن في تحديد او تثبيت او ضبط عامل الوراثة، كما هو الحال في التوائم العينية *Identical Twins* أي اصحاب الوراثة الواحدة أي نقطة البداية الواحدة. وهي تلك التوائم التي تتكون من انشطار بويضة واحدة مخصبة في رحم المرأة، وتمتاز باتحادها في الجنس وفي كافة السمات والخصائص الوراثية. يتخذ العلماء هؤلاء الاطفال للتحقق من فرض تأثير العوامل البيئية، حيث يعزلون أو يفصلون احد التوائم عن شقيقه في سن مبكرة، ويتم ايداع احدهما مثلا في بيئة غنية ثقافيا ومشبعة، والآخر في بيئة فقيرة تعليميا وثقافيا وغير مشبعة، ثم يقاس سلوك الآخر، فإن وجد فيه اختلاف، كان ذلك دليلا على تأثير عامل البيئة واختلافها من طفل الى الطفل الآخر على اعتبار ان نقطة البداية كانت واحدة.

أما إذا أريد التعرف على تأثير الوراثة، فاننا نتحكم في أو نثبت أو نضبط عامل البيئة، ويتوفر هذا الشرط لدى الاطفال الذين يعيشون في الملاجئ والاصلاحيات والمدارس الداخلية، حيث تتشابه البيئة والمعاملة التي يلقاها الطفل الى حد كبير. فان دل القياس على وجود فروق جوهرية بين الاطفال الذين تربوا – على هذا

النحو- تربية واحدة، كان مرجع ذلك هو الاختلافات الوراثية أو الخلفيـــات الوراثيـــة التي ينحدر منها الأطفال. وإذا صدق الفرض الوراثي لتشابهت الســـمات، وزاد هـــذا التشابـــه، وكذلك السلوك وفقا لدرجة القرابة، حيث يلاحظ اكبر قدر من التشـــابه بيـــن التوائم العينيـــة، ثم التوائم الاخوية العاديـــة، ثم الاخوة والاخوات ثم بقيـــة الاقارب.

من ذلك ايضا دراســـة اطفال التبني *Adoptees* الذين تربوا في احضان آبـــاء وأمهـــات غير الآباء والامهات البيولوجيين، وتمت مقـــارنة سلوك هؤلاء الاجرامـــي بسلوك الوالدين البيولوجيين فأيهما يكون السجل الاجرامي اقرب الى الأب البيولوجـــي أم الى الأم في التبني *Biological And Foster Parents* الأب البيولوجـــي يمثـــل التأثير الوراثي والوالد في التبني يمثل التأثيرات او المؤثرات البيئيـــة المكتسبـــــة او المتعلمـــة عن طريق التفاعل والاختلاط والانخراط والمحاكــــــاة والتقليـــد، وتوفـــر النموذج الطيب أو النموذج الاجرامي. ولقد دلت دراسات التبنـــي هذه على انتشـــــار الاجراميـــة اكثر بين الاقارب البيولوجيين عنها بين الاقارب بـــــالتبني *Biological Genetic Factor Relalines* ولذلك لا يمكن استبعاد العامل الوراثي من العوامـــل السببيـــة في نشأة الجريمـــة والانحراف ومما يضيف تأييـــدا للاتجـــاه الوراثي فـــي تفسيـــر الجريمـــة ما وجدوه اخيرا من وجود كروموزوم ذكري إضافي او أزيد عـــن العادي المألوف في أرباب جرائم العنف *Ymale Sex Chromosomes in men who men who commit violent Crimes*.

ويوجد هذا الوضع في الأشخاص طوال القامـــة (XYY) وبعد التعـــــرف على من يحملون هذه الخاصيـــة البيولوجيـــة، تم فحص الســـجلات الإجراميـــة لـــهم مقارنـــة بنظائرها لدى الأســـوياء، فوجدت عندهم اكثر ارتفاعا. ولكن يلقـــي بظـــلال من الشك على هذا الافتراض انخفاض ذكاء هؤلاء الناس عن غيرهم مـــن الأســـوياء، الأمر الذي قد يدفع الى الافتراض بأن الذكاء عامل سببي وراء الجريمـــة اكـــثر مـــن وجود هذا الكروموزوم الإضافي في حد ذاته.

ولكن مهما بلغ من تأكيد العوامل الوراثية، فإننا لا نستطيع ان نهمل او نغفـــل عوامل البيئـــة، ذلك لأن القول بالوراثة انما يغل أيدينا عن مساعدة الناس وعلاجـــهم

ووقايتهم، ويضطرنا للوقوف مكتوفي الأيدي أمام اضطرابات الفرد، ولكننا لا بـــد وأن نؤكد، لأسباب علاجية وتربوية ووقائية على العوامل البيئيـــة، لأنها هي العوامل التـــي نستطيع ان نتدخل فيها فنغيرها أو نبدلها أو نحسنها ونجعلها اكثر إيجابية واكثر اشباعا واكثر صحـــة وسواء. أما الوراثة فان التدخل فيها ما زال صعبا.

وتلعب بعض العوامل الاجتماعية والنفسيـــة دورا رئيســـا في حدوث الســـلوك المضـــاد للمجتمع ومن ذلك الظروف الأسرية.

الظـــروف الأســـرية :

تؤدي حالات الطلاق والانفصال ووفاة أحد الوالديـــن أو كليـــهما أو الـــهجر، وتصدع الحياة الأسرية، الى انتشـــار الجريمة والجنوح. فلقد درس جرير Greer, 15 أثر الفقـــدان الوالدي على الاصابة بالعصاب النفســـي أي المـــرض النفســـي وعلـــى النزعات السسيوباتيـــة أي المضادة للمجتمع، ووجد ان هناك ٦٠% من السســـيوباتيين قد فقدوا أحد الوالدين في الطفولـــة الباكرة. بينما لم يجد هذه الفئة الا بيـــن ٢٧% مـــن المصابين أي المرضى النفسيين.

ولا شك أن فقدان الطفل لأحد والديه يؤدي الى حدوث اضطـــراب عـــاطفي، وصدمة عاطفية قوية، تؤثر تأثيرا سيئا على نموه وشخصيته، ما لم يجد العطف البديل، وليس من الضروري ان يفقد الطفل الوالدين أو أحدهما، وانما يكفي حرمانه من الحـــب والعطف والحنان، ومعاناته من النبذ والطرد، وعدم القبول، حتى في حيـــاة الوالديـــن. وجدير بالملاحظة ان هناك كثيرا من حالات التصدع الأســـري الحقيقـــي دون وجـــود انفصال او طلاق على المستوى الرسمي. حيث يسود الشجار والنقار والعناد والخصـــام والعدوان وما الى ذلك. ولا شك ان الطفل الحساس لمثل هذا الجو منذ سنواته الاولـــى، وكذلك حالات الصراع على السلطة في الاسرة وغير ذلك مما يسبب حرمان الطفل من العطف الوالدي *Parental Affection* .

كذلك من الأخطاء التربوية الشائعـــة عدم الثبات على نظـــام تـــأديبي واحـــد *Inconsistent Discipline* حيث يتعرض الطفل للتذبذب بيـــن القســـوة المفرطـــة

والتدليل المفرط. كذلك فقدان القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يحتذى به الطفل ويقلده *Proper model* ولقد وجد أن آباء السسيوباتيين كانوا هم أصلا ايضا سسيوباتيين أي ارباب السلوك المضاد للمجتمع وللقانون.

الحاجة الى إجراء دراسات عربية تتبعية على الجريمة :

والحقيقة اننا في مجتمعنا العربي في حاجة ماسة الى إجراء الدراسات الميدانية التتبعية *Follow-up Studies* لتتبع الأطفال الذين تظهر عليهم علامات الانحراف منذ الصغر، ومعرفة ماذا سوف يحدث لهم في مرحلتي الشباب والرشد. من ذلك دراسة الاطفال الذين يحالون الى عيادات الطب النفسي، وتتبعهم فيما بعد، وحفظ البيانات الضرورية عن كل طفل بما في ذلك نشاطه المدرسي، وتاريخه المرضي، وتاريخ اسرته المرضي. فلقد لوحظ على السسيوباتيين انهم كانوا في طفولتهم متشردين *Truants* وغير ذلك من مظاهر الانحراف كالتأخر الدارسي. ومع ذلك هناك أناس شبوا في أسر سيئة، ولم يظهر عليهم أية علامة من علامات الانحراف. الأمر الذي يقطع بعدم الاعتماد على عامل واحد بعينه.

العوامل الثقافية والاجتماعية :

علاوة على العوامل الوراثية او الاستعدادية او الجبلية *Constitutional Factors* وظروف الأسرة، هناك عوامل ثقافية واجتماعية *Socio-Cultural Factors* حيث لوحظ ان الأفراد الذين يعيشون في الاحياء الشعبية المتدنية المستوى *Slums* الاجتماعي والتعليمي والثقافي والاقتصادي يتعرضون لمعايير اجتماعية مختلفة، فلقد يوجد الفرد في بيئة تقبل السرقة من الموانئ او من السفن مثلا، على اعتبار ذلك من المال العام الذي يعتقد الحرامي انه شريك فيه، كما فسر للباحث ذلك احد الصبية الذين ضبطوا في جرائم سرقة متكررة من أحد الموانئ. وكذلك يتعرض مثل هؤلاء الاطفال لاقران السوء أو الرفقة السيئة بما لهم من معايير مختلفة

Peer models مثل هذه الظروف الثقافية السيئة قد تؤثر في أولئك الذين يوجد لديـــهم الاستعداد اصالة للانحراف.

تغيــر نظــرة المجتمــع للمجرم والجريمة :

هذه نظرة عابرة لأسباب الجريمـــة والجنوح فلقد تراوح تفسير الجريمة بيـــن الأساطير والخرافات حين اعتقد الإنسان الاول ان المجرم قد مسته أو تلبســـت جســده الأرواح الشريرة *Possessed by evil spirits* .

ولذلك فرض المجتمع البدائي العقاب على المجرم لاخراج الأرواح الشـــريرة من جسده. ولقد تغيرت نظرة المجتمع للجريمة والمجرمين كان الاتجـــاه الســائد فـــي المجتمع قديما هو الانتقام من المجرم *Revengeful Attitude* والقصـــاص (العيـــن بالعين والســـن بالســـن) *A tooth for a tooth and an eye for an eye* .

ثم اعتنق المجتمع عقيــدة مؤداها ان المجرم مولود وراثيا Born كما ذهـــب الى ذلك أنصار المدرسة الوضعية الإيطالية التي يمثلها الطبيب الإيطـــالي لامـــبروزو الذي ذهب الى القول بأن الإجرام صفة وراثية او انه موروث وأن للمجرمين صفـــات جسدية تميزهم عن غير المجرمين، وأن لهم صفات يغلب عليها البـــداوة والانحطـــاط. ولذلك لم يكن في المستطاع، وفقا لهذه النظرية الوضعية، عمل أي شئ في سبيل تـأهيل المجرمين *Rehabilitation* او اعادة تأهيلهم وعودتهم الى حالة السواء ونتج عن ذلك عزل المجرمين بعيدا عن المجتمع والاحتفاظ بهم في السجون اتقاء لشـــرهم وحتـــى لا يحدثوا مزيدا من الدمار والضرر للمجتمع.

وفي السجـــون كان السجنـــاء يعاملون معاملة أسوأ من معاملة الحيوانات، ولم يوجه المجتمع اليهم أي اهتمام. وكانت العقوبة هـــي المـــانع او العـــائق *Deterrent* للجريمة. وكانت الفكرة ان العقاب لن يمنع المجرم من معاودة الإجـــرام مـــرة ثانيـــة وحسب، وانما يمنع غيره من التفكير في ارتكاب السلوك الإجرامي في المستقبل. وهنـــا تكمن الحكمة من توقيع عقوبات كالجلد والاعدام في العلن في الاماكن العامـــة وأمـــام حشد من الناس.

وما زالت الشريعة الإسلامية تمتاز بهذه الخاصية الرادعة والعلنية لوقف تفشي الجريمة في ربوع المجتمع الإسلامي.

وبحصول الحرب العالمية الثانية وظهور منظمات كهيئة الامم المتحدة، اعتنق المجتمع العالمي اتجاها علميا حيال ما يرتكب فيه من جرائم. ولا شك اننا في عالمنا العربي نعتنق هذه النظرة العلمية للجريمة وسبل مكافحتها، وتستخدم اجهزة الامن والبحث الجنائي ومؤسسات العقاب والاصلاح كثيرا من نظريات العلم وتوجهاته، وان كنا ما زلنا في البداية. كذلك اسهم علم النفس الحديث في الكشف عن كثير من جوانب السلوك الإنساني، ومعرفة خصائصه وأنواعه ودوافعه الفطرية والمكتسبة، والشعورية واللاشعورية، والشاذة والسوية. ووضع ايدينا على تأثير كثير من العوامل كالجهاز الغدي والعصبي في الإنسان وما يترتب عن اختلالهما من آثار.

الدعوة لتطوير المنظمات العقابية والاصلاحية في المجتمع العربي :

والمأمول ان تحتوي السجون العربية على أخصائي نفسي وأخصائي في الطب العقلي الى جانب الطبيب البشري والواعظ أو رجل الدين والاخصائي الاجتماعي واخصائي في التدريب المهني ومدرسة لمحو الامية، والحاق المزارع والمصانع الصغيرة بالسجون. ولقد ظهر من يدعو الى استخدام السجون المفتوحة. ويمكن استخدام العلاج الجماعي والتأمل الترنسندنتالي *Transcendental Meditation* وما يعرف باسم العلاج السلوكي، ذلك العلاج الذي يعتمد على مبادئ عمليات التعلم الشرطي، والذي يؤسس على الاعتقاد بأن الجريمة وكافة مظاهر المرض، ان هي الا استجابات متعلمة او مكتسبة، ومن ثم يمكن إزالتها عن طريقة عملية اخرى هي محو التعلم، وذلك باستخدام مبادئ تعليمية كالتعزيز السلبي او الايجابي، حيث نكف عن تعزيز السلوك الخاطئ، وندعم او نعزز او نكافئ الطفل على السلوك الإيجابي. وبذلك يتكون عن طريق الاقتران او الارتباط الشرطي، رباط بين المثير الجديد والاستجابة الجديدة المرغوبة.

هذه صورة عابرة عن الجريمة والجنوح، ومن خلالـــها، نـرى ان السـلوك الاجرامي متعدد الاسباب، وان من بين هذه الاسـباب اسـباب بيئيـــة وان السـلوك الاجرامي ليس سلوكـا حتميـا، ومن هنا يمكن ان تدخل مؤسسـاتنا التربويـة لتدلـي بدلوهـا في مكافحـة الجريمـة والانحراف.

دور المؤسسات التربويـة في مكافحة الجريمة والانحراف :

نستطيع ان نوجز الدور الذي يمكن ان تقوم بـه مؤسســاتنا التربويـة فـي مكافحة الجريمـة والانحراف، وخاصة جرائم العنف والتعصـب والتطـرف وبنـوع خاص جرائم الصغار *Delinquents* والشبـاب بحكم احتكاكها وتعاملـها مـع هـذه الفئات العمرية وان كنا لا ننكر إمكان انتقـال تأثير المدرسـة الايجابي الى المجتمـع كله وللأسرة لأنها بمثـابة المشعل الثقافي الذي يضئ المنطقـة المحلية برمتها

١ – لما كانت المدرسة مؤسسـة علمية او تعليمية، فإننا نتوقع ان تنتـهج المنـهج العلمي عند تصديها لعلاج حالات الانحراف او الإجرام التي تظهر بين طلابـها، فتتعرف على طبيعة المشكلة او السلوك المشكل وتحدده تحديدا دقيقا، ثم تجـرى بحثا حول ظروف الحدث الأسرية والاجتماعية والاقتصادية وتقيس ما لديه مـن ذكاء وقدرات وتتعرف عما اذا كان يعاني مـن الأمـراض النفسـية او العقليـة باستخدام الاختبارات والمقاييس المقننـة على امثالـه من البيئـة العربيـة. وبعد التعرف على الأسباب تشرع في العـلاج، عـن طريـق مـا لديـها مـن الأخصائيين الاجتماعيين او النفسيين ورجال الإدارة المدرسية والمعلمين.

٢ – وتنبثق العقيـدة في قدرة المدرسة العربية الحديثة على الاسهام فـي مكافحـة الجريمة والوقاية منها من الاعتقاد بأن المدرسة مؤسسـة اجتماعية فـي المحـل الاول أسسها المجتمع لتحقيق اهدافه، والتي هي ولا شـك أهـداف مشـروعة، وايجابيـة، وتحقيق رسالته في حقبـة معينة من الزمن، وعلى ذلك فانها مطالبـة بالتعرف على أهداف المجتمع وغاياته وعلى المشكلات والتحديات التي تواجهـه، وسوف تجد ولا شك من بينها مشكلات تنال من عضد الشباب والأجيال الصـاعدة

في مجتمعنا العربي. من ذلك العنف والجريمة والانحراف والتطرف والتعصب والمخدرات والإدمان والتأخر الدراسي وعدم الانتماء وما الى ذلك. على المدرسة او الجامعة ان تسهم في حل مشاكل المجتمع ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تعترض سبيله.

٣ – ولا شك ان المؤسسة التربوية الحديثة تدرك تمام الادراك ان رسالتها هي الاعداد للحياة السوية والانخراط الايجابي والفعال في معترك الحياة الاجتماعية وليست مهمتها قاصرة على تزويد طلابها بالحقائق والنظريات العلمية مجردة أو بعيدة عن تطبيقاتها الواقعية، وعن الاستخدام الامثل للمعارف العلمية في حل مشاكل المجتمع والنهوض به قدما الى الامام في معترك الحياة العصرية.

٤ – للمدرسة دور فاعل في حياة الناس، لأنها صانعة الاجيال او لأنها المؤسسة التي يعهد اليها المجتمع " بصناعة " المواطن الصالح وصقله وتشكيله وابراز خصال الفطرة السوية فيه، وتحويله الى قوة خلاقة ومبدعة ومنتجة وفاعلة، وايجابية وقادرة على دفع عجلة التقدم الى الامام باستمرار وعلى الدفاع عن الوطن كلما نادى ابناءه.

٥ – تسعى المؤسسة التربوية العربية في الوقت الحاضر لتقليل نسبة الفشل الدراسي وترك المدرسة، لأن البديل لها، في معظم الاحيان، هو شلل العصابات أو أقران السوء. ويمكن لها معالجة حالات الفشل الدراسي بمزيد من الصبر والتأني واعطاء دروس التقوية لضعاف التلاميذ.

٦ – المؤسسة التعليمية، على اختلاف مستوياتها، بحكم كونها مركزا للاشعاع الثقافي والاستنارة الفكرية، يمكن أن تعقد بين جنباتها الندوات والمؤتمرات والمناظرات والمحاضرات التي تناقش فيها مشاكل الجريمة والانحراف بقصد التوعية الوطنية وتحاشي التورط في براثن الجريمة.

٧ – اذا كان الفرد قد يرتكب الجريمة في حالة احساسه بالظلم وعجزه عن دفعه عن نفسه، فان المؤسسة التربوية مطالبة بإحساس أبنائها بالمعاملة العادلة والمساواة والانصاف والحق واعطاء كل ذي حق حقه.. الخ.

٨ – اذا كنا نشكو من ضعف الشعور بالانتماء الإسلامي والوطني في بعض الحالات، فان المؤسسة التربوية مطالبة بأن تغذي الشعور بالانتماء وتزكي روح الوطنية والتضحية والفداء في نفوس ابنائها، وغرس مشاعر الاعتزاز بالتاريخ الوطني والبطولات الإسلامية وسرد السير واستخلاص العبر من سفر تاريخنا الخالد وما فيه من انتصارات باهرة والإشارة الى واقعنا الحالي بصورة ايجابية نركز فيها على الايجابيات وما تحرزه المجتمعات العربية، على امتدادها من الانتصار او الاستقلال وبسط السيادة على اراضيها، وقيام النهضة العلمية والعمرانية والاصلاحية، ودخول عالم الصناعات الثقيلة، وتنقل التكنولوجيا واستيعابها وتقدم العقل العربي وانتصاره في مختلف المجالات.

٩ – نشر الوعي الامني والقانوني بتدريس المبادئ العامة للقانون بغية فهم روح القانون واحترامه.

١٠ – توفير الانشطة الايجابية البديلة والنافعة والتي تمتص فائض طاقة الطلاب عن طريق النشاط العلمي والثقافي والكشفي والجوالة، وعقد المسابقات الثقافية والجمالية بين الطلاب وتوفير فرص الانشطة التطوعية امام الطلاب للقيام بالمشروعات المحلية كتطهير البيئة مثلا او محو الامية وجمع التبرعات وغير ذلك من الانشطة التي تمثل التسامي والاعلاء *Sublimation* بغرائز الإنسان ودوافعه البدائية وتحويل طاقته الى القنوات الشرعية التي تبني جسمه وتصقل عقله وتهذب وجدانه وتنمي روحه الوطنية وتزيد من الالتحام بينه وبين المجتمع.

١١ – استضافة كبار المتخصصين في المنطقة من رجال الامن للتحدث الى الطلاب عن دورهم في مكافحة الجريمة وعوائدها الوخيمة بالنسبة لمن يرتكبها، وكذلك دعوة رجال القضاء لالقاء المحاضرات على الطلاب من مآل الجريمة وظروفها في المجتمع.

١٢ – التوسع في مشروعات نافذة مثل " اصدقاء الشرطة " واشراك اعداد كبيرة من الطلاب في اعمال رجال الشرطة لاكتساب روحهم في المحافظة على الامن.

١٣ – حرص المؤسسة التعليمية على تنمية ضمائر الاطفال لعدم تكوين النزعات السيكوباتية.

١٤ – التوسع في زيارة السجون ووحدات رعاية الاحداث لاطلاع الطلاب على ما ينتهي اليه حيال المجرم في السجن لأخذ العظة والعبرة والاستفادة من ذلك في حياته المستقبلية.

١٥ – عمل اسبوع سنويا لمكافحة الجريمة والانحراف أو اسبوع الشرطة تساهم فيه المؤسسات الطلابية برجالها وطلابها.

١٦ – حث الطلاب على تقديم التبرعات للسجناء واسرهم.

١٧ – التركيز على التربية الدينية واستمرارها حتى نهاية المراحل التعليمية لما لها من أثر طيب على سلوك الفرد والجماعة وعلى منع الجريمة والانحراف وعلى التمتع بالقيم الأخلاقية الاصيلة.

١٨ – عرض الافلام التي تنكل بالجريمة والمجرمين وتنفر منها.

١٩ – الاهتمام بالشرطة المدرسية لما تؤدي اليه من صبغة الطالب بروح العسكرية والجدية والالتزام والطاعة واحترام القانون واللوائح وغير ذلك من قيم الرجولة والشهامة.

٢٠ – ان مجرد قيام المؤسسات التعليمية بنشر العلم يعد عملا مناهضا لانتشار الجريمة ويؤيد ذلك ان الاحصاءات تشير الى تفشي الاجرام بين الاميين اكثر منه بين المتعلمين.

التنميـــة النفـسيـــة للفـــرد

التراث الإسلامي حافل بكل معاني التربية النفسية الرشيدة وجميـــع التكـــاليف تؤدي الى تقوية القوى النفسية في المسلم.

إلى جانب المعنى الاجتماعي والسياسي والإيماني للحج، فإن له أثـــراً نفسيـــاً عظيمـــاً في التقوى والصلاح والورع والخشوع والتوبة والطـــهر والطـــهارة، لقـــول رسولنا ﷺ : " من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمـــه " البخـــاري ج١ ص ٢٦٥. هذا فضلاً عما يشعر به المسلم من المساواة والتساوي بينه وبين غيره مـــن المسلمين، سواء كانوا من الأغنياء أو الفقراء. وبذلك تذوب الفوارق بينهم، ويشـــعرون كأنهم جسد واحد ورجل وكيان واحد.

ومن الأساليب التي تحرر الفرد من مشاعر الإثم والذنب ولوم الـــذات التوبـــة والاستغفار والدعاء الى الله تعالى لقوله تعالى :﴿ ادعونـــي استجب لكـــم إن الذيـــن يستكبرون عن عبادتي سيدخـــلون جـــهنم داخريـــن ولكـــل نبـــي دعـــوة مســـتجابة ﴾ (غافر/٦٠). ويقول الرسول الكريم : " لكل نبي دعوة يدعو بـــها وأريـــد أن اختبـــئ دعوتي شفاعـــة لأمتي في الآخرة " البخاري ج ٤ ص ٩٨.

والعمل التنموي الصادق سعي موصول من أجل تحقيق الخير العـــام، والبعـــد عن الأذى أو الشر والانتقام، وتبديد الطاقـــة في الإساءة الى الناس، ولذلك فما أحرانـــا أن نستمسك بقول نبينا الكريم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمـــهاجر من هجر ما نهى الله عنه " البخاري ج١ ص ١١. وبذلك تكرس الجهود نحـــو عمـــل الخير والاصلاح والتطوير والتقدم.

ويحمي الإسلام أصحابه من الردة والتذبذب في الرأي، فعن رسولناﷺ : "مـــن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " مسلم ج ١٢ ص ١٦. حماية لعقيدة المســـلم من البدع الفاسدة واستمراراً لاستقامة العقيدة ووحدة الفكر.

وفي تنمية العلاقات الاجتماعية الإنسانية، يقول نبينا الكريم في إجابته على سؤال رجل: أي الإسلام خير؟ قالﷺ : " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " البخاري ج١ ص ١١. وليس هناك أبلغ من قول رسولنا الكريم في الحث على الاخاء والمودة والمحبة والإيثار والتضحية من أجل إسعاد الغير من هذا الحديث الشريف: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " البخاري ج١ ص ١٢. فالإسلام يربط إيمان الإنسان بحبه لأخيه، وتمنى الخير والنفع والصلاح والعزة والإخاء.. له كما يتمنى لنفسه تماماً. وتلك قمة الشعور بالإيثار. ذلك الإيثار الذي يعد قيمة خلقية من أعظم القيم التي يؤسس عليها العمل التنموي.

وفوق ما للايمان من أثر طيب في سلوك الفرد والجماعة، فإن له حلاوة لا يقدرها ولا يعظمها أية حلاوة أخرى. ومن هنا كان الإيمان من أقوى العناصر التي تجعل المؤمن يتمتع بالصحة العقلية والنفسية وراحة البال واستقرار الضمير والشعور بالرضا والقناعة والزهد. وإذا ما تحرر الإنسان وخاصة في هذا العصر، من كابوس الامراض والأزمات النفسية والاضطرابات الذهانية، فإنه يصبح قادراً على الانطلاق، بكل طاقاته، نحو الخير والعمل والعطاء والإنتاج والبناء والتشييد.

والمعروف أن الهم والغم والحزن والنكد وغيرها من الانفعالات السلبية تعوق حركة الإنسان، وتغل يده عن العمل والإنتاج، وتبدد طاقته، ولذلك علينا أن نتأسى في الخلاص منها بدعاء رسولنا الكريم : " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال " البخاري ج٣ ص ٢٩٧.

وفي فضل رمضان يقول نبيناﷺ : " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين " مسلم ج٧ ص ١٨٧.

ومن قبيل المحافظة على صحة المسلم وعدم إرهاقه، وكذلك عدم إفساد صيامه تحريم الجماع نهاراً في شهر رمضان[1].

والصيام مدرسة إنسانية تربي أبناء المسلمين، فالصيام جنة أي سترة ومانع

---

[1] - مسلم ج ٧ ص ٢٢٤.

عن الرفث والآثام ومانع أيضاً من النار[1]. وفي فضل الصيام يقول الحديث النبوي الشريف: " من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً " مسلم ج٨ ص ٣٣.

ومن الامور التي ترفع من معنويات المريض وتزيل عنه الشرور الرقي، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل قال باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين " مسلم ج١٤ ص ١٦٩. وعن الرسول ﷺ قوله: " العين حق " مسلم ج ١٤ ص ١٧٠. فالرقي بآيات القرآن وبالأذكار سنة. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يرقي الناس ويمسح بيده الكريمة عليهم كما جاء في الحديث النبوي الشريف عن عائشة رضي الله عنها: " إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال : اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً، فلما مرض رسول الله ﷺ وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال : اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الاعلى قالت : فذهبت انظر فإذا هو قد مضى[2] " مسلم ج ١٤ ص ١٨٠.

ومن الأمور التي تحفظ على الإنسان إيمانه، وتمتعه بالصحة النفسية والعقلية الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وذكر الله العظيم اهتداء بحديث نبينا ﷺ : " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه " مسلم ج ١٧ ص ٢١. ويحفل هذا الحديث النبوي الشريف بالمبادئ الإسلامية والإنسانية الأصيلة في التكافل

---

[1] - مسلم ج ٨ ص ٢٠.

[2] - عن عائشة رضي الله عنها.

الاجتماعي، والإخاء، والتعاون، والتماس العلم وطلبه، والاجتماع على تدارس القـــرآن الكريم وقراءته وتدبر معانيه الســامية وغير ذلك مما يرسخ قيم الإيمــان فــي نفــس المسلم، وينمي خصاله الحميدة.

والمسلم الفقير يشعر بالرضا لأن جزاءه الجنة كما في قول رسولنا ﷺ :" قمـت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المســاكين وإذا أصحـــاب الجـد محبوســون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامـــة مـن دخلــها النساء" مسلم ج١٧ ص ٥٣ . فالفقير لا يسخط ولا يتبرم ولا يتمرد بل يرضى.

وشتان بين هذا النظام الإسلامي الذي يقوم على أساس إشعار الفقير بالرضـــا والقناعة والسعادة وانتظار الجزاء الأكبر في الآخرة وبين نظام كالنظام الشيوعي الـذي يحرض طبقـــة العمال على أصحاب الأعمال ويثير فيهم الشعور بالكراهية ويدفعـــهم للثورة للاستيلاء على الحكم عنوة واغتصاباً.

التنمية العلمية :

فالإسلام يشجع أبناءه على التفكير في مخلوقات الله، وفي معجزاته العظيمـــة، لكي يزداد إيمان المسلم رسوخـــاً، ولكي يستند اعتقاده في الله تعالى ورسوله الكريـــم على أسس من العقل، إلى جانب الإيمان القلبي.

فالإسلام لا يخاف من العقل وأعماله، كما كانت تخاف الأديان السابقـة منـــه، بل إن القرآن يلوم الناس على عدم استخدام العقل ﴿ إن شر الـــدواب عنـــد الله الصـــم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (الانفال /٢٢). فللعقل دوره في الإسلام في الإيمـــان، وفـــي منهج الحياة ونظامها. ومهمة الرسول ﷺ، أن يبلغ، وأن يوضح، وأن ينبه العقل الـــى تدبر دلائل الهدى[1].

فرسالة الإسلام توقظ العقل، وتوجهه، وتخاطبه، وتوضح له طريـــق النظـــر الصائب، ولكن ذلك لا يعني أن العقل هو الحكم على صحة العقيدة أو بطلانها، ذلـــك

---

[1] – د. عبد الرحمن عميرة، منهج القرآن في تربية الرجال، عكاظ، ١٤٠١ هـ ص ٢٢، جدة – السعودية.

لأنه قد أدرك أن قدرات العقل محدودة، ولكنه ملزم بقبول العقيدة ما دامت قد نقلت إليه عن طريقها الصحيح. إن حرية العقل في الإسلام مكفولة، فله أن يعارض في المفهومات البشرية، وأن يقرع الحجة بالحجة، وأن يتأمل في الأدلة والبراهين والشواهد، وأن يجتهد ويؤول الأحداث البشرية والطبيعية.

يهتم القرآن الكريم، الذي هو دستور المسلمين الخالد، بتربية العقل الإنساني، وتنمية قدراته. ومصدر اهتمام الإسلام بعقل الإنسان أنه مناط التكاليف، وعليه فهم الشريعة وتطبيقها، وإذا اختل العقل وفقد قواه فقد سقطت التكاليف عن صاحبه. بل إن الإسلام قد حرص على أن يطهر العقل من رواسب الماضي من المعتقدات والتصورات التي لم تقم على يقين، وإنما قامت على مجرد الظن والتقليد.

فالإسلام يحرر المسلم من الظن، ومن الانصياع لمجرد التقاليد القديمة، ومن أهواء النفس، كما في قوله تعالى : ﴿ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ (البقرة /١٧٠) وقوله تعالى :﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾ (النجم /٢٣). ولذلك يصوب القرآن الكريم مفهومات الناس حول الألوهية، والكون، والخلق، والحياة، فيؤكد وحدة الألوهية إنما الله إله واحد (النساء/٧٦). وكما في قوله تعالى :﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (الانبياء/ ٢٢)٠

وإذا كانت أساليب التربية الحديثة تعمد إلى استخدام الحوار أو الطريقة الحوارية في شرح الدروس وإقناع الطلاب، فلقد كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في استخدام هذا المنهج في تربية العقل وتنميته، يقول تعالى :﴿ قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين . قال : هل يسمعونكم إذ تدعون، أو ينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ قال :﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون .. ؟ أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾ (الشعراء ٧١ – ٧٧).

وإلى جانب دعوة الإسلام للفرد للتدبر في صنع الله ومخلوقاته في العالم الخارجي، فإنه يدعوه للتأمل في نفسه، ليتعرف عليها، ويدرك. أسرارها، وخصائصها، ليزداد إيماناً بخالقه العظيم ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

(الذاريات /٢١) وقوله تعالى :﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت /٥٣).

والمعرفة بالنفس تتضمن معرفة دوافع الإنسان وحاجاته ووظائف أعضائه والتعرف على جسمه، وخلاياه، كما يتعرف على وظائف الإنسان في التذكر والتعلم والتفكير والإدراك والتخيل والتصور والابتكار والتخطيط وما الى ذلك :﴿ فلينظر الإنسان مما خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب. أنه لعلى رجعه لقادر﴾ (الطارق / ٥ – ٨).

وحين يتأمل الإنسان في نفسه يقف مشدوهاً أمام هذا الخلق العظيم فيزداد إيماناً. ولا شك أن دعوة الإنسان لإعمال فكره إنما هي في النهاية تدريب لعقله، وتنمية لقواه، وصقل لقدراته. ولذلك إذا أتبعنا تعاليم إسلامنا الحنيف لأمكننا تكوين العقل النامي المتطور، والمستنير والقادر على الفهم والاستيعاب والتأمل والتدبر والتخطيط والمتابعة، وتلك من العمليات التي نحتاج إليها من معاركنا التنموية.

ويجعل الإسلام العلم سبيلاً لخشوع القلوب وخشيتها من الله تعالى :﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر / ٢٨).

ويدعو الإسلام للتدبر في الكون، وتؤدي التساؤلات التي ترد في القرآن الكريم إلى إثارة دهشة العقل ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً ﴾ (النبأ / ٦-٧) لكي تثيره نحو التفكير والتأمل.

ومن دواعي الفخر والاعتزاز، أن القرآن الكريم يعرض بعض القضايا على شكل مشكلات تثير ذكاء الإنسان وتفكيره، وبذلك يكون الإسلام قد سبق واحدة من أشهر الطرق الحديثة في التربية، والتي تعتمد على تدريس المواد العلمية على شكل " مشكلات " يفكر فيها الطلاب بأنفسهم. فنسأل الطلاب كيف نشأت الأنهار ؟ وكيف تكونت المحيطات؟ وكيف يحدث المطر ؟ وما هي فائدة الماء ؟ وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم :﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت؟ ﴾ (الغاشية / ١٧ – ٢٠).

ويدعو القرآن الكريم المسلمين للتأمل في نواميس الطبيعة، ومظاهر الحياة، ويدعوهم للإصلاح والتغيير الى الأفضل، ويجعل أساس هذا التغيير تغيير النفوس وما تنطوي عليه من مشاعر ورغبات وميول ودوافع وهواجس وأطماع﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد / ١١).

ومن المبادئ الإسلامية الدعوة للعلم وتكريم العلماء. فالإسلام دين يقوم على أساس العلم والإيمان معاً. ومن أعظم أدلة شرف العلم قوله تعالى :﴿ قل رب زدني علماً ﴾ (طه /١١٤). فلم يؤمر الرسولﷺ بأن يطلب زيادة في المال أو الجاه أو السلطان، وإنما طلب الاستزادة من العلم مما يدل على أنه ليس هناك أكثر قدراً ولا شرفاً من طلب العلم. والمسلم مدعو لطلب العلم ونشره، ولكن ليس أي نوع من العلم، ولكن العلم النافع، وعليه أن يستخدمه في الخير والنفع العام كما في قول الرسولﷺ " اللهم انفعني بما علمتني. وعلمني ما ينفعني وزدني علماً، والحمد لله على كل حال" ابن ماجه[1].

وفي تكريم العلماء يقول القرآن الكريم :﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر /٩) كما يقول تعالى :﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ (المجادلة /١١). ويقول كذلك:﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر/٢٨).

وفي الهدي النبوي الشريف :" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " متفق عليه. وقول الرسولﷺ : " لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلّط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها[2] " متفق عليه.

ونشر العلم وهداية الناس من أخص رسالة المسلم الحق، لقول رسولنا الكريم لسيدنا علي رضي الله عنه : " فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم "[3] متفق عليه. وطلب العلم سبيل الى الجنة كما في قول رسولنا الكريم : " ومن

[1] - الامام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ج٤ ص ١٧٧.

[2] - المرجع السابق، ص ١٧٨.

[3] - المرجع السابق، ص ١٨١.

سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة "[1] مسلم. وقولهﷺ :" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له "[2] مسلم.

وعن رسولنا الكريم قوله : " الدنيا ملعونة ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه، وعالماً ومتعلماً " الترمذي[3]. وقولهﷺ : " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع " الترمذي[4]. والمؤمن تواق الى الخير على طول المدى، كما في قول نبيناﷺ : " من يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة " الترمذي[5] وقولهﷺ: " إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير " الترمذي[6].

فالإسلام يكرم العلم والعلماء، ويدعو لنشره بين الناس، والعلماء هم ورثة الانبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا مالاً ولا جاهاً وإنما ورثوا العلم، ولذلك فإن كتمان العلم وعدم نشره أمر منهي عنه كما في الحديث النبوي الشريف : " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار " الترمذي[7].

وإذا كانت دعاوي التنمية في شتى بلدان العالم تقوم على أساس العلم والمنهج العلمي، فقد دعا إسلامنا الحنيف لاكتساب العلم والانتفاع به ونشره قبل أن تعرف كل مدارس التنمية ومذاهبها الحديثة.

العلم، ولا شك، ركيزة قوية من ركائز التنمية، فلا تنمية في ظل الأساليب البدائية أو العفوية أو الارتجالية. وإسلامنا الحنيف، ولله الحمد والشكر، يدعونا لاكتساب العلم والمعرفة والخبرة، ويدعونا للتفقه في الدين، ويكرم العلم

---

١ - المرجع السابق، ص ١٨٢.

٢ - المرجع السابق، ص ١٨٤.

٣ - المرجع اسابق، ص ١٨٤.

٤ - المرجع السابق، ص ١٨٥.

٥ - المرجع السابق، ص ١٨٥.

٦ - المرجع السابق، ص ١٨٦.

٧ - المرجع السابق، ص ١٩٠.

والعلماء، ويدعو لاستعمال العقل والتفكير والمنطق والاستدلال والتأمل والتدبر والتبصر والإدراك والفهم والوعي والتعقل والتصور وما إلى ذلك من العمليات العقلية التي يعتمد عليها العلم الحديث والتخطيط الدقيق.

ففي فضل العلم يقول القرآن الكريم :﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ (المجادلة /١١). وقوله تعالى على لسان نبيه الكريم : ﴿ قل ربي زدني علما ﴾ (طه / ١١٤). وينبغي أن يكون العلم قبل القول وقبل العمل لقوله تعالى :﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ (محمد /١٩). فبدأ بالعلم وذلك حتى لا يقع المرء في الخطأ. " والعلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم من آخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة " والعلم طريق لخشية الله تعالى والإيمان بمعجزات الخلق﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر /٢٨) ولقوله تعالى :﴿وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (العنكبوت /٤٣) ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ (الملك/١٠) وقوله :﴿ وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر /٩). وقول رسولنا الكريم : " من يرد الله به خيراً يفقهه وإنما العلم بالتعلم .. " وقوله أيضاً : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله " البخاري ج١ ص ٢٤.

والعلم سبيل للشعور بالسعادة والاغتباط والعزة والثقة بالنفس ويقول رسولنا الكريم ﷺ : " لا حسد إلا .. الحديث "[1] .

فالإسلام لا يدعو المسلمين لاكتساب العلم وحسب، وإنما يأمرهم بنشره بين الناس، ولتعليم أبناء الأمة الإسلامية. فللعلم والتعليم شأن كبير في الإسلام لقوله ﷺ: " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله وتفقه ما بعثني الله به فعلم

[1] - سبق ورود هذا الحديث الشريف في هذا البحث.

وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " البخاري ج١، ص ٢٦.

بل إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويزداد الجهل. فالعلم سبيل تنوير أذهان الناس، وسبيل رقي المجتمع وتقدمه، والجهل من علامات التأخر والتخلف والجمود والضعف.

ويختلف العلم الذي يدعو إليه الإسلام عن العلم في مفهوم المجتمعات الغربية، فالعلم الإسلامي هو العلم النافع للناس جميعاً والمسخر لخدمة الإنسانية وتقدمها، ورقي الحضارة، وليس ذلك العلم الذي يستخدم في الخراب، وتدمير مظاهر الحياة وفي التسلط على مصائر الأمم وفي قتل الأبرياء وسفك الدماء.

والمسلم مدعو لطلب العلم ونقله والتثبت من صحته عند النقل مما يطلق عليه اليوم اصطلاح " الأمانة العلمية " وذلك لقول نبينا : " لا تكتبوا عني ومن كتب عني القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار " مسلم ج١٨ ص ١٢٩.

ويدعو الإسلام الى توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم وتبجيلهم وتعظيمهم كما في قوله تعالى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ (الزمر/٩). وكما في قول رسولنا الكريم : " يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم السنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في ا لهجرة سواء فأقدمهم سناً ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يعقد في بيته على تكرمته إلا بإذنه[1] " رواه مسلم.

ويربي الإسلام أبناءه على حب النظام والدقة فعن رسول الله ﷺ : " انه كان يأمر الناس في الصلاة أن يستووا ولا يختلفوا فتختلف قلوبهم[2] ".

---

[1] – الامام النووي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج٢ ص ٢٠٦.

[2] – المرجع السابق، ص ٢٠٨.

التربيــة النفسية في الإسلام

تمتاز التربية الإسلامية بعمق اهتمامها بالجـانب الروحـي والأخلاقـي فـي الإنسان، حيث يحرص إسلامنا الحنيف على تعميق معاني الإيمان القلبـي، المقـترن بالعمل الصالح والصادق، وعلى تنقية نفسية الإنسان وسريرته من الضغائن والاحقـاد والشرور والآثام،وغرس قيم الاخلاص والصدق، والتحلي بالنوايا والمقاصد والغايـات الحسنة الداخلية والخارجية، مما يكفل تكوين الشخصية الإنسانية السوية مـن الداخـل ومن الاعماق ومن الخارج، وفي ذلك قمة التكامل في بناء الشخصية الإنسانية، ولذلـك نجد الإسلام يهتم بالنوايا ويعتمد ان الاعمال بالنيات، حتى تصفو نية الإنسان ويصـدق مع الله ومع نفسه ومع نبيه الكريم. ومن مظاهر الشمول في تربية الإسـلام وبنائـه الحث على تعلم القراءة والاطلاع والبحث والتنقيب والتفقه في الدين، واكتساب العلـم، ولكن ليس أي علم، وانما العلم النافع للناس اجمعين أي العلم المقترن بالقيم الأخلاقيـة التي تصونه وترشده الى الاستعمال في وجوه السلم لا الحرب او الاذى، ولذلـك فـان العلم في الإسلام يختلف عن العلم الغربي، حيث يرتبط بـالقيم الروحيـة والأخلاقيـة والإنسانية. يربي الإسلام أبناءه على اساس من المسئولية عن كل مـا يفعلـه الفـرد ظاهريا وباطنيا، ويحاسبه على القصد او النية او الهدف مما يأتي بـه مـن افعـال، فالاعمال بالنيات، حتى يحاسب المسلم ضميره وذاته، ويعلم ان الله تعالى مطلع علـى اسراره وخفاياه ونواياه وما يضمره في داخليته، ضماناً لحسن السريرة وصفاء ونقـاء النفس الإنسانية. وفي القانون الجنائي يسمى هذا بالقصد الجنائي او الركن المعنوي من الفعل المؤثم، حيث يقول رسول الله ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ مـا نوى، فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجـر إليـه" (صحيح البخاري، ج١، ص٦).

وفي علم النفس الحديث، تسمى هذه الحالة التي تأخذ في الحسبان عند الحكـم على الفعل الأخلاقي، تسمى بالأخلاق النسبية أي التي يؤخذ فيها في الحسبان نية الفـود وقصده وهدفه الداخلي إن خيرا فخير، وان شرا فشر.

التربية الشمولية في الإسلام:

الإسلام يعنى بتربية الإنسان تربية شمولية متكاملة، تعنـــى بجسـمه وعقلـه وروحه ونفسه وقيمه ومثله ومبادئه وفكره وعقائده وحواسه وجوارحه، لانـــه يـرى الخير في الإنسان المتكامل، ومن ذلك الحض على القراءات واكتساب العلم والخـــبرة والمعرفة، والتنور بنور العلم والإيمان، وحب القـــراءة والاطـلاع علـى المعـارف والحقائق والخبرات، على ان تكون قراءة مرشدة وواعية، فحينما اتى جـبريل عليـه السلام في غار حراء وقال للرسول اقرأ فقال له الرسول ما أنا بقارئ ثم اخذ الرسـول فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرأ قال النبي ما انا بقارئ فيقول الرسـول فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني وقال لي اقرأ فقلت مـــا انـا بقـارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني وقال لي قرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان مـــن علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان مـــا لـم يعلـم"(البخـاري، ج١، ص٦).

عمق الإيمان وشموله في الإسلام:

يحرص الإسلام الحنيف على غرس الإيمان الكامل والشامل والمطلق في حس المسلم ووعيه وعقله ووجدانه وضميره وقلبه، بحيث يملأ كل جوانب حياته، ويشـــمل على عناصر شخصيته، ويحفظ عليه دينه وخلقه ورضاء ربه، وحسن علاقاتـــه مـــع الناس، فالإيمان السبيل الأكيد للتمتع بالصحة النفســية والعقليــة، والتكيـف النفســي. والإيمان يشمل الحياء لقول الرسول ﷺ " الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شـــعبة من الإيمان" (البخاري، ج١، ص١١)

فالإيمان يتضمن السمات والصفات والخصال الحميدة فـــي الإنســان وحسـن الخلق والحياء، وكلها سمات أخلاقية إيجابية عظيمة، تؤدي بدورها، لتمتـــع صاحبـــها بالتكيف النفسي والصحة النفسية السوية الجيدة. والإيمان يدفع لعمل الخير والصــــلاح والتقوى والورع والخشوع وعدم ايذاء بني جلدته، فيقول الرسول ﷺ " المسلم من سلم

المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نـــهى الله عنــه " (البخــاري، ج١، ص١١). فالتربية الإسلامية تمتاز بالشمول وتحرير المسلم من السلبيات، وفـــي نفــس الوقت حثه وتشجيعه ودفعه الى العمل الخير فالعبرة بالأعمال، ولذلـــك كـــان الديـــن المعاملة، وحسن العلاقات الاجتماعية، والمتأمل في حياتنا المعاصرة يلمس كــم نحــن في أمس الحاجة الى مثل هذه القيم" سئل النبي ﷺ أي الإسلام خير قال: تطعم الطعــام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" (البخاري، ج١، ص١١) وفـــي دعــوة للروح الاجتماعية والتماسك الاجتماعي، والعطف والشفقة والرحمة، ودعـــوة لتوســع دائرة الفرد الاجتماعية واقرار السلام على من نعرف ومن لا نعرف ضمانـــا للوحــدة الاجتماعية، وبث روح الاخاء، حيث يقول رسول الله ﷺ :" لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه" . البخاري، ج١، ص١٢) وفي هذا الحديث الشريف ابلغ الأثــر للدعوة للاخاء والتعاون والمحبة والمودة والرحمـــة والتســاند والتماســك والتكــافل الاجتماعي، وانتشار الحب بين المسلمين، والمشاركة الوجدانية بيـــن أفــراد الأســرة الإسلامية، والشعور بالاخاء وبالاخوة بين المسلمين، وفي ذلك نبذ للأنانيـــة والأثــرة والفردية، حيث قال رسول الله ﷺ :" فوالله الذي نفسي بيده لا يؤمـــن أحدكــم حتـــى اكون احب اليه من والده وولده والناس أجمعين" (البخاري، ج١، ص١٢) حيث يربـــي الإسلام ابناءه على حب رسول الله ﷺ والتأسي بـــه، والاخـــذ عنـــه والاقتـــداء بـــه، والاهتداء بهديه الكريم، والعمل حسب سنته، وذلك كله على اساس مـــن الحـــب فـــي رسول الله وحب الله تعالى ذلك الحب الصوفي النقي.

يشعر المسلم بحلاوة الإيمان وبمعناه ومغزاه واثره النفسي الإيجابي والفعـــال وطعمه وحلاوته في حياته الداخلية والخارجية، ويعصمه من الزلل والخطايا والذنـوب والآثام، ويوجهه نحو الصلاح والتقوى والرضا حيث قال رسول الله ﷺ :" ثلاث مـــن كن فيه وجد حلاوة الإيمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما ســـواهما، وان يحــب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقـــذف فـــي النــــار". (البخاري، ج١، ص ١٢) وحب الله ورسوله من دعائم الفكر الإيماني الراسخ الـــذي لا رجعة فيه، تدعيما للثبات العقائدي والانفعالي والعاطفي، وكلها من سمات الشخصية

السوية المتحررة من التردد والتذبذب والردة والعبث، وانما الاستقرار والثبات على مبادئ الإيمان، تلك التي تعين للانسان طريقه، وتوضح امامه الرؤية، حيث سئل النبي ﷺ عن آية الإيمان" قال آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق كره الانصار" (البخاري ،ج١، ص١٣) تقديرا لنصرة الإسلام والمسلمين ومناصرتهم والوقوف معهم. وكم نحن اليوم في حاجة الى التماسك الإسلامي في كل ربوع الامة الإسلامية، بعد ان اعتورها التفكك والصراع والتصدع، وبعد ان تعرضت لكثير من التحديات" وقول الرسول ﷺ حينما مر على رجل يعظ اخاه في الحياء فقال الرسول دعه فإن الحياء من الإيمان" (البخاري، ج١، ص١٣).

ويغرس الإسلام في أبنائه حب العلم وتقديره، واكتساب العلم ونشره بين ابناء الامة الإسلامية، حيث يقدر الإسلام العلم والعلماء والمعرفة، ويدعو للتفقه، ويدعو الإسلام الى احترام العلماء وتقديرهم وتكبيرهم وإجلالهم. " قال رسول الله ﷺ : العلماء ورثة الانبياء" (البخاري، ج١، ص٢٣) فالعلماء هم ورثة الأنبياء وهم اصحاب رسالة وغاية، ولكن العلم في الإسلام هو العلم النافع للناس جميعا العلم الذي يستخدم في الخير والنفع والبناء والصلاح والاصلاح والتشييد والعمران. العلم المرّشد تجاه الخير لا الشر ، قال رسول الله ﷺ :" من يرد الله به خيرا يفقهه وانما العلم بالتعلم" (البخاري، ج١، ص٢٤) والعلم مفروض انه ينفع صاحبه، ويفيده، ويعدل من سلوكه، وافعاله وتصرفاته، ويقوّم سلوكه، ثم العلم الذي ينتفع به الناس جميعا وليس ذلك العلم الذي يستخدمه الغرب الآن في التدمير الشامل وهدم حضارة الإنسان ومنجزاته والقضاء على حياته. " قال رسول الله ﷺ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وانما انا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الامة قائمة على امر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله" (البخاري، ج١، ص٢٤) وها هي القنابل الذرية والجرثومية والعنقودية وغير ذلك مما افرزه العلم في الغرب واستخدمه الإنسان في الشر والهلاك وقتل أصل الإنسان والقضاء على مظاهر حضارته، لان ذلك العلم فقد التوجيه الاخلاقي والديني والإنساني فأصبح شرا " قال رسول الله ﷺ لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي

بها ويعلمها" (البخاري، ج١، ص٢٤) ونشر العلم نـــوع مـــن الصدقـــة والاحســـان والواجب الديني مثله في ذلك مثل المال او الثروة التي يوجهها صاحبها نحـــو الخـــير والنفع وليس المطلوب من المسلم ان يتعلم هو وحسب وانما عليه ان يعلم غــــيره وان يحول العلم الى سلوك . " قال رسول الله ﷺ دعاءً لاحد الصحابة اللهم علمه الكتـــاب" (البخاري، ج١، ص٢٥) والمسلم مدعو لتعلم كتاب الله وتلاوته وفهمه وتدبر معانيـــه الساميه، وان يتخذ منه منهاجا ودستورا وهاديا ومرشدا لســـلوكه واعمالـــه وأفعالـــه وإيمانه، وان يستقي من كتاب الله الحكمة وكل المشاعر والأحاسيس والعواطف النبيلـة في الخير والحق والجمال والعدل والإنصاف والمساواة والإخاء والتعـــاون والرحمـــة والشفقة والتقوى والورع والخضوع والخشوع، ومخافة الله والشعور بالرضا والزهـــد والقناعة وحب التعاون وحب العمل واتقانه.

ويربي الإسلام ابناءه على كثير من القيم الأخلاقيـــة والإنســـانية والروحيـــة الرفيعة التي تنفعه وتحميه وترشده، ومن ذلك الاخلاص وتحريم الرياء. وما احوجنـــا اليوم لمحاربة الرياء والنفاق والمداهنة وغير ذلك مما نراه من حملة المناخر وبطانـــة السوء وحاشية الفساد والتي تحيط ببعض رجال الادارة. والرياء يعمى صاحبـــه عـــن رؤية الحقيقة فيصل الطريق كما في قوله تعالى: ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ (البينة-٥)

والمسلم مدعو للتحلي بالإخلاص في عبادته لله تعالى، وان يتمتع بالاســـتقامة والرشد والفلاح والصلاح، وان يؤدي التكاليف وقال رسول الله ﷺ " انمـــا الاعمـــال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرتـــه الـــى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى مـــا هـــاجر اليه"[1]. وذلك حتى يحاسب الإنسان نفسه على ما يضمره او ما ينوي او ما يقصـــد او يهدف اليه حتى تكون نفسيته صافية نقية. ومثل هذا النقاء يدفع للتمتع بالصحة النفســـية والعقلية في الإنسان" قال رسول الله ﷺ ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم،

---

[1]- يحيى بن شرف الدين النووي، كتاب رياض الصالحين- دار القلم، بيروت – لبنان، ص١١.

ولكن ينظر الى قلوبكم"[1] والإسلام يعنى بالباطن كما يعنى بالظاهر وبالطهارة الداخلية النفسية، والطهارة الخارجية الظاهرية، مما يولد معاني التكامل في الشخصية التي تتربى على أسس الإسلام ومبادئه " قال رسول الله ﷺ ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك في كتابه فمنْ هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هَمّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هو همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة "[2].

يتربى المسلم على خشية الله تعالى وتقواه وجاءت الآيات القرآنية الكريمة تجمع بين الترهيب والتخويف من عذاب النار وتتوعد الفاسدين والفسق والآثمين حتى يردعهم العقاب عن عمل المعاصي، وفي نفس الوقت جاءت آيات الترغيب تحث المسلم على رضا الله حبا في التمتع بالجنة ونيل الثواب والجزاء الحسن الطيب وفي ذلك توازن يتفق مع الطبيعة البشرية، ففي الخوف من الله قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (١ الحج)

الحياة الدنيا زائلة وما هي الا مناسبة لدخول الجنة، وان الساعة آتية لا ريب فيها، والحساب والعقاب في انتظار الإنسان، وليست المسألة فوضى او ضياع عشوائي، وانما هناك يوم القيامة ويوم الحساب وفي ذلك تربية للانسان على تحمل مسئولية أعماله وعواقب افعاله وثواب حسناته وعقاب سيئاته وفي ذلك اقرار لمبدأ المسئولية فهو مبدأ تربوي هادف" خطب رسول الله ﷺ في الناس ذات يوم وقال: لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله وجوههم ولهم خنين"[3].
الإسلام يربى المسلم على الخوف من ارتكاب الآثام والمعاصي، وعلى خشية الله

---

[1]- المرجع السابق ، ص: ١٢.

[2]- المرجع السابق ، ص: ١٢.

[3]- المرجع السابق ، ص:١٤. ("والخنين" : البكاء مع غنّة، وانتشاق الصوت من الأنف).

تعالى، وعلى الإيمان بالآخرة حتى يرشد من سلوكه، ويتعقل في شئونه، ويحرص على ما يرضي الله ويتحاشى ما يغضبه سبحانه وتعالى، وفي نفس الوقت يربي الإسلام ابناءه على التوكل على الله حتى يشعر الإنسان بالأمن والامان والاستقرار، وحتى لا يشعر بالضياع والفوضى، وانه قد قذف به في خضم من المحيطات، ولكنه يعتمد على الله ويتوكل عليه فيشعر بالأمن والامان النفسي قال تعالى: ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ (٥٨ الفرقان).

المسلم يخاف الله الخالق العظيم ويخاف الحساب والعقاب والردع ولذلك يتمسك بالفضائل ويأتي بالحسنات والصدقات والطيبات، قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (٢ الأنفال) ومن خصائص المسلم ان يتأسى برسولنا العظيم في الدعاء والذكر والإيمان والتقوى والورع والخشوع والاستسلام لله تعالى والطاعة له والإيمان الراسخ به تعالى، ذلك الإيمان الذي يصدقه العمل ويوقر في القلب، الإيمان المصحوب بالعمل.

والإسلام دين حضاري راق، يدعو الى اكتساب العلم ونشره وتعليمه والعمل به، ويدعو لاحترام العلماء وتوقيرهم واحترامهم وتقديرهم، فالإسلام دين عقلاني علمي، يدعو للتفكير والتأمل والتدبر والتبصر وحب المعرفة، ولذلك فإن لطالب العلم فضل عظيم، ففي بيان فضل العلم يقول القرآن الكريم: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ الزمر/٩ وينزل القرآن الكريم العلماء منزلة رفيعة تقديرا للعلماء في الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ (١١ المجادلة)

والعلماء يخشون الله تعالى اكثر من غيرهم من الناس بسبب علمهم وتفقههم في الدين قال تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله غفور رحيم﴾ (٢٨ فاطر).

والتفقه في الدين سبيل خير الإنسان ونفعه في الدنيا والآخرة، فالعلم منهج الإسلام الى جانب الإيمان، حيث يجمع المسلم بين العلم والإيمان والعمل، قال رسول

الله" من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[1]. وفي الدعوة لما يعرف الآن بالأمانة العلمية والصدق والموضوعية والحياد العلمي وتحاشي الكذب والتضليل في العلم، ولذلك جاء الإسلام بأدق المناهج في رواية الحديث وصحة إسناد الأحاديث النبوية الشريفة حفاظا على الحقيقة العلمية او التاريخية" وقال رسول الله ﷺ : بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[2] وفي الدعوة للعلم قال رسول الله ﷺ " من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له طريقا الى الجنة".

سنوات التعليم الأساسي ومستوى نضج الأطفال :

غني عن البيان تأكيد أن لمرحلة الطفولة أهمية كبيرة في حياة الإنسان، وفي مراحل نموه المختلفة.. ففيها توضع البذور او الجذور الأولى لشخصية طفل فيما بعد، وفيها توضع أسس ما سوف يتمتع به الطفل من السواء والتكيف والسعادة، او ما قد يعاني منه من الاضطرابات والأمراض والعلل. في هذه المرحلة تتشكل شخصية الطفل وتصقل مواهبه وقدراته واستعداداته وميوله وسمات شخصيته الأخرى، وتترسخ قيمه ومثله ومعاييره وأنماط السلوك لديه.

ومن هنا كانت أهمية العناية بما يقدم له من تعليم وتدريب وتأهيل واعداد نظامي وإرشاد وتوجيه ونصح وإشراف وإشباع، ذلك لأنه في مرحلة التكوين والتشكيل والنمو، ولأن خبرات الطفولة تنتقل الى المراحل الأخرى، وتؤثر فيها، ولأن طفل اليوم هو رجل الغد، ولذلك يتعين الاهتمام بهذه المرحلة.

وفي هذه الأيام يثور الخلاف حول اعادة العام السادس الى الحلقة الاولى من التعليم الأساسي أو تظل على ما هي عليه مكونة من سنوات خمس فقط.

---

[1]- المرجع السابق ، ص:٢٤.

[2]- المرجع السابق ، ص:٢٤.

والحقيقة اننا نعيش في عصر ثورات معرفية او انفجار معرفـــي، اذ تخــرج مختبرات العلم ومعامله ومعاقله ومراكز البحث كميات هائلة من المعارف والمعلومــات الجديدة، ويزداد النسق المعرفي تطوراً ونمواً وتعقيداً، الامر الذي يصبح معـــه هنــاك ضرورة لزيادة سنوات الدراســة ليتمكن الطفل من استيعاب علوم العصـــر ومعارفــه واتجاهاته وتياراته. لقد كانت حياة الإنسان في الماضي بسيطة بدائية ســـهلة ميســرة، وبالتقدم العلمي والحضاري والتقني تزداد تعقيداً، ويلقي هذا التعقيد باعباء ثقيلــة علــى كاهل إنسان العصر، فما بالنا بالطفل، وهو محدود الخبرة والقدرة؟ حضارة العصـــر، الحضارة العلمية تثقل ذهن الإنسان الكبير، فمن باب أولى ان تتاح الفرصة أمام الطفــل على امتداد زمني معقول لاستيعاب حضارة العصر وهضمها وتمثيلهــا. بل ان النظــم السياســية والاجتماعية تزداد تعقيداً وصعوبة، ولذلك يلزم " للتعايش السلمي " معــها أن يهضمها الإنسان وان يحسن فهمها، وخاصة جانبها القيمي والمثل والمعايير والقواعــد والأعراف. وفوق كل ذلك اننا في حاجة الى ان يشب أطفالنـــا مواطنيــن صــالحين، يؤمنون بالله ورسوله وبالوطن والعروبة والإسلام والأسرة.. نريــــد طفــلاً منتميــــا متكيفــاً منتجاً سويــاً خالياً من الشوائب والســلبيات والتطــرف والعنــف والرفــض والاغتراب والسخط..

ومن هنا لا بد أن يتسع الزمن المخصص امام اطفالنا وأمام مؤسساتنا التربويــة ومعلمينا كي نغرس في الأطفال القيم السوية والايجابية، وروح المواطنـــة الصالحــة، وتقدير المصلحة العمومية، وتحمل المسؤولية. ولابد، في ضوء هذا الطموح الــتربوي، ان يصل الطفل الى مستوى مـــن النضـــج الجســمي والعضلــي والعقلــي والنفســي والاجتماعي والفكري والروحي والخلقي بما يمكنه من هضم ما نريد ان يهضمه مـــن العلوم الاساسية والمعارف والحقائق والخبرات. وان نغرس فيه قيم الوطنية والصــــدق والامانة والتضحية والفداء، وذلك دون قهرٍ او قسر او إكـــراه ودون تكديــس المــواد العلمية بما يفوق قدرتــه على الاستيعاب والهضم وان نوفر له الفترة التي تمكنه مـــن انجاز ما نريد أن ينجزه وما يتفق مع ظروف العصر وظروف مجتمعنا الطــامح الــى

الازدهار والتقدم والرقي والرفعة والقوة والمنعة والتحرر من التبعية، والقدرة على التصدي لتحديات العصر.

ان تقليل سنوات التعليم ينتج عنها اما اضطرارنا الى خفض او تقليل المواد العلمية والاتجاهات العقلية التي نسعى لتأكيدها في عقل الطفل وحسه ووجدانه وضميره ومشاعره، وفي ذلك خلل في محتوى التعليم أو فحواه، واما أن نكدس هذه المعلومات وتلك الحقائق ونكثفها ونطلب من الطفل مضاعفة الجهد والطاقة لاستيعابها في مدى زمني قصير.

وفي هذه الحالة، اذا كلفنا الطفل بما لا طاقة له به، فانه من ناحية يكره المدرسة والدراسة، ويعزف عنها ويكون اتجاهاً سالباً نحوها، وقد يهرب او يتسرب او يفشل. ومن ناحية اخرى – واعني من الناحية الداخلية الذاتية – فانه يشعر بالنقص والدونية ويفقد شعوره بالثقة في نفسه، ويشعر دائماً بأنه يلهث أنفاسه كي يلاحق متطلبات المنهج المتزايدة، فنكون أمام تعليم مبتور من ناحية وضار من ناحية الصحة النفسية والعقلية لأطفالنا.. مثل هذا التعليم يخرج لنا أناساً يفتقدون الى الإجادة والرؤية والإتقان والى الشعور بالثقة في الذات.

ويمتلئ التراث السيكولوجي والتربوي بالتجارب والدراسات التي تؤكد ضرورة مواكبة ما نطلبه من الطفل مع مستواه في النضج، بحيث لا نتعجل النمو ولا نهمله، ونتركه دون أن يتلقى الطفل التعليم المناسب، كمّاً وكيفاً، في الوقت المناسب، وفي اطار مستوى ما وصل اليه الطفل من النضوج الفكري والعقلي والاجتماعي والنفسي والجسمي.. فاذا ما تعجلنا النمو وفرضنا على الطفل فرضاً وقهراً أداء واجبات فوق قدراته، فان النمو ينحرف عنده عن مساره الطبيعي ويعاق. وابسط مثال لذلك تدريب الطفل الصغير على المشي والسير منتصب القامة قبل أن تكتمل عضلات الساقين وعظامهما. فإذا حدث ذلك اصيب الطفل بتقوس وتشوه في عظام الساقين، وشعر الطفل بالنقص والدونية. وبالمثل لا نترك الفرصة تفوت ونهمل

أو نتراخى في اعطاء الواجبات التعليمية لأطفالنا في الوقت المناسب وقبل فوات الأوان.. فلكل مقام مقال ولا يكلف الله نفساً الا وسعها.

في ضوء ذلك تصبح عودة السنة السادسة مطلبا علميا وتربوياً ووطنياً.. وان كانت مدة الدراسة تمثل عنصراً واحداً من عناصر التعليم الجديد، ولذلك نفترض في ضوء هذه الزيادة في الحلقة الاولى من التعليم الاساسي ان تزداد جميع عناصر العملية التعليمية جودة واتقاناً وحسناً من حيث اعداد المعلم ورفع مستواه المادي والعلمي والمهني والخلقي وتعميق الادارة التربوية الديمقراطية، وتوفير الكتاب الجيد والمعامل والمختبرات والافنية والابنية والوسائل المعينة على التدريس واستخدام كافة مقومات تكنولوجيا التعليم الحديث وتوفير القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدي به أطفالنا.

كيف يصبح سلوك الطفل سلوكاً سوياً ؟

قد يصاب سلوك الطفل بكثير من مظاهر الاضطراب والتأزم، من ذلك الثورة والتهيج والغضب وحدة الانفعال والتمرد والعصيان ورفض كل ما يطلب منه. كما قد يصاب سلوك الطفل ببعض المظاهر الشاذة كالسرقة والعدوان والتخريب والتدمير والكذب والهروب والعناد. وقد تعتري الطفل بعض المشاعر السالبة كالغيرة والكراهية والأنانية الشديدة والتنافس البغيض الى جانب ذلك فهناك مشاكل التبول والتبرز اللاارادي والفشل الدراسي والهروب من المدرسة والسهر والارق والقلق والخوف من المدرسة وما يعرف باسم فوبيا المدرسة او كراهية المواد الدراسية كلها او بعضها او كراهية المدرسة كلها والتأخر الدراسي وفي الحالات الشديدة من الاضطراب قد يصل الامر الى اصابة الطفل بفصام الطفولة أي ذهان الطفولة او اصابته بالحركة الزائدة عن الحد والنشاط الدائم وعدم الراحة او عدم الشعور بالاستقرار والقلق الزائد وقد يعزف عن تناول الطعام ومن ثم الإصابة بالنحالة والانيمياء.

وحتى لا يصاب الطفل باي من هذه الاضطرابات ويظل سلوكه سويا ويظل هو متمتعا بالصحة النفسية الجيدة. هناك بعض الامور التي يتعين مراعاتها في التعامل معه سواء من قبل الام والأب والاخوة واللاخوات في دائرة الاسرة او اكان ذلك في المدرسة على يد معلميه.

والحقيقة ان هناك انماطا ايجابية في التعامل مع الطفل والمراهق واخرى سلبية وكذلك هناك مناهج ايجابية في عملية التنشئة الاجتماعية واخرى سالبة. وبطبيعة الحال تؤدي الاساليب السلبية الى نتائج ضارة بشخصية الطفل ومسار نموه الطبيعي وتحرمه من التكيف والتوافق والسعادة.

السواء في سلوك الطفل والراشد الكبير لا يتحقق بطريقة عفوية تلقائية وانما لا بد له من الجهد المقصود، والارادة والعزيمة، وذلك كالشأن في كافة مجالات النجاح لا تتأتى الا بالعمل العمدي الجاد والدؤوب. ولعل اصعب الاهداف هو "صناعة الرجال". ولذلك في تربية الأطفال والتعامل معهم وكذلك المراهقين لا ينبغي أن تلجأ الأسرة او المدرسة الى استخدام الشدة الزائدة والصرامة والعنف او الحزم الزائد عن الحد. وبالمثل فانه لا ينبغي ان يترك الحبل على الغالب للطفل ليفعل ما يشاء متى يشاء وكيفما يشاء. لان الحرية المطلقة هي الفوضى بعينها، وان يتحول الى طاغية صغير في المنزل يتطلب ان يذعن لطلباته كل من في الأسرة، ولا ينبغي الافراط في التدليل و" الدلع" لان ذلك لا يقل ضررا على صحة الطفل النفسية والعقلية من استخدام الشدة الزائدة. وانما الموقف السيكولوجي المثالي هو التوسط والاعتدال بين هذين النمطين: الشدة واللين. ومن الاساليب الضارة كذلك التذبذب في التعامل مع الطفل، بحيث يثاب على السلوك مرة ويعاقب عليه مرة اخرى، فيحدث لديه خلط في قيم الصواب والخطأ والحلال والحرام والحق والباطل. ومن ذلك ايضا اختلاف اتجاه الاب عن اتجاه الام في اسلوب تربية الطفل، حيث يعمد احدهما الى الشدة بينما يذهب الاخر الى اللين والتدليل الزائد فتضيع القيم من ذهن الطفل، ويشعر بالكراهية تجاه الوالد المتشدد منهما. ومن ذلك ايضا اقامة" المعسكرات والتكتلات والاحلاف" بين افراد الاسرة

الواحدة فتضم الام(او الاب) الى معسكرها الابناء لاستخدامهم للضغط على الوالد الاخر. وفي سبيل ذلك تقدم لهم " الرشاوى" والعطايا والعطف المصطنع واساليب الاغراء والجذب والاستقطاب فيفقد الأولاد القيم والولاء والمثل والاتجاهات السوية وينحرف سلوكهم عن جادة الصواب وعن مبادئ الاخاء والتماسك والتساند والتضامن والتفاني الاسري والاندماج والانتماء والانصهار في بوتقة الأسرة الواحدة التي اذا اشتكى منها عضو تداعى له باقي الأعضاء بالسهر والحمى. وعندما يشتد عودهم يعجز الوالد الذي استقطبهم عن كبح جماحهم.

ومن الاتجاهات الخاطئة كذلك في تربية الأطفال والتعامل وإياهم فرض "الحماية الزائدة" عن الحد على الطفل والخوف عليه ازيد من اللازم وتوقع نزول الشر والاذى به حتى من مجرد القيام بالأعمال العادية. ولذلك يشب طفلا خائفا هيابا لا يجرؤ على اقتحام مواقف الحياة بمفرده وبجرأة او التصدي لصعوباتها وتحدياتها. وعندما يخرج الى الحياة في المجتمع الخارجي يصدم، لانه يتوقع ان يجد من المجتمع ما وجده في محيط الاسرة من العطف والعطاء والاذعان والتدليل والحماية.. وبصورة عامة لا يقوى على الصمود في مواقف الحياة وشدائدها. ومن الاخطاء الشائعة عدم اشعار الطفل بانه مرغوب فيه واشعاره بانه منبوذ او مطرود او انه جاء أزيد مما كانت تخطط له الاسرة او ان الاسرة كانت تريد ولدا ذكرا فجاء انثى. مثل هذه الاتجاهات تترك مشاعر مؤلمة في نفسية الطفل. وهناك من الاباء من يفضل احد ابنائه على بقية اخوته واخواته ويميل اليه ميلا خاصا مما يحز في نفوس الباقين فيشعرون بالغيرة نحوه او الكراهية والسخط والحقد. ومن هنا تبدو ضرورة توخي العدالة والمساواة في التعامل مع الأطفال.

ومن الاساليب التربوية السيئة معايرة الطفل بنواحي النقص عنده ومعايرته علنا مما يجرح كبرياءه ويشعره بالمرارة والدونية والنقص وفقدان الثقة في ذاته، ذلك لان كل طفل يعد عالما في ذاته، ولذلك لا نعايره بغيره ولا نقارنه بغيره، وانما نقارنه بنفسه وبأدائه هو في ضوء قدراته واستعداداته وإمكاناته، وعما اذا كان يتقدم بالنسبة

لادائه السابق من عدمه. وعما اذا كان يبذل كل ما في طاقته ام لا. ويكفي ان تستوثق الاسرة انه لا يهمل او يغفل واجباته وانه يتقدم بقدر ما تمكنه من ذلك قدراته الطبيعية ذلك لان لكل طفل معدلاته في سرعة النمو والتقدم والتحصيل. وهناك فروق فردية واسعة بين الأطفال. فلا نكلفه بما يفوق قدراته واستعداداته وخبراته. وفي نفس الوقت لا نشجعه على ان يركن الى الإهمال والكسل والتراخي في أداء واجبه والشعور بالمسئولية. على ان نعطيه من المسئوليات بقدر ما تسمح به قدراته فقط. مما يجعله يشب شخصية مستقلة لا تعتمد على غيرها.

ومن الأساليب السيئة الاهتمام الزائد بجانب واحد من جوانب شخصية الطفل كالجانب الدراسي، ومطالبته بالتفوق فيه وإهمال الجوانب الأخرى، وذلك لان الصورة المثالية للشخصية هي الشخصية المتكاملة في كل جوانبها، وعلى ذلك يجب ان تحرص الاسرة والمدرسة على تربية الطفل تربية شمولية متكاملة تهتم اهتماما متوازنا بجسمه او بدنه وبعقله وبالنواحي النفسية والأخلاقية والروحية والإيمانية والعلمية.والمهنية والوطنية والاجتماعية والفكرية والعقائدية. ومن هنا تبدو اهمية ممارسة النشاط الرياضي والترويحي والكشفي ونشاط الجوالة والنشاط الثقافي والاشتراك في مشروعات الخدمة العامة وخدمة البيئة وبذلك نغرس بذور المواطنة الصالحة في نفوس النشء منذ الصغر.

هل يبحث أطفالنا عن القدوة الحسنة؟

لمرحلة الطفولة اهمية بالغة في حياة الراشد الكبير، ذلك لان ما يلقاه الطفل من خبرات وتجارب تنطبع في حسه وشعوره ووجدانه، وتظل باقية راسخة في كيان شخصيته في مرحلة الشباب والرشد الكبر. ولذلك قال جون لوك الفيلسوف الإنجليزي التجريبي" يولد الطفل وعقله صفحة بيضاء تنقش عليها التجربة ما تشاء". وقال جون واطسون مؤسس المدرسة السلوكية في علم النفس: أعطوني عشرة أطفال وانا اصنع

منهم العالم والفيلسوف والفنان والصانع وحتى " الحرامي". ولقد استطاع في ثنايا تجاربه ان يجعل الطفل" البرت" يخاف من لعبته البيضاء التي كان يحبها. ومرد ذلك ان شخصية الطفل تكون لينة غضة طرية هينة قابلة للصقل والتشكيل والإعداد والتكوين والتأهيل ولاه يكون قليل الخبرة فيقل المؤثرات التي تقع حواسه وعقله ووجدانه.

ولذلك إذا أردنا أن نحصل على شباب سوي قوي مؤمن منتم لوطنه وعروبته واستلامه واسرته، فلا بد أن يحيا أطفالنا حياة سعيدة سوية متكيفة. ذلك لان حياة الإنسان وحدة واحدة متكاملة متفاعلة، وإن قسمت الى مراحل او سلاسل فان المرحلة الراهنة تؤثر وتتأثر بالمراحل السابقة عليها واللاحقة لها. فالطفولة السوية تقود الى المراهقة سوية ايضاً والمراهقة، بدورها، اذا كانت سعيدة متكيفة كانت مرحلة الشباب كذلك ما لم تحدث تغيرات طارئة على حياة الإنسان. الإنسان اسير لماضيه وان كان ذلك لا يمنع انه يتأثر بالحاضر ويفكر في المستقبل، فالإنسان ابن الحاضر والماضي والمستقبل. ومن اجل ذلك تولى مدرسة التحليل النفسي اهمية كبيرة لمرحلة الطفولة الباكرة، وترى ان جذور الشخصية تغرس فيها. ونحن نضع بذور السواء او الشذوذ في هذه المرحلة الباكرة.

ولذلك يتعين ان نتأمل في ظروف أطفالنا في الوقت الراهن، لنرى ماذا يسقط عليهم من المؤثرات وماذا يتوافر لهم من الرعاية والعناية والتربية والتنشئة والتوجيه والنصح والإرشاد والإشراف والإشباع. ولنتأمل، فوق ذلك، ما يتوفر لهم من المثال الجيد والقدوة الحسنة التي يقتدي بها الطفل في حياته وما هي القيم والمثل والمعايير والقواعد والقوانين السائدة.

الطفل، في بداية حياته، يبحث عن مثال او نموذج يتخذه قدوة ومثالا في دائرة الاسرة الضيقة، فيعجب بأبيه أو بأمه، وهناك من يقول أن الطفل يتخذ من الاب المغاير له في الجنس مثالاً، فالطفل الذكر يتخذ امه مثالاً له والفتاة الانثى تعجب اكثر بأبيها.. ولكن هذا الرأي لا تؤيده التجارب على طول الخط. وعندما يزداد نضوج

الطفل، ويتسع نطاق فكره ومعارفه يتخذ قدوة له من المجتمع الصغير المحيط به، فينصب على معلمة او معلم. وبمرور الوقت والتقدم في العمر وما يصاحبه من النضوج. يختار الطفل مثاله من الشخصيات العامة او التاريخية الوطنية او العالمية فيعجب مثلاً طفل اليوم بالرئيس مبارك ويرى فيه مثالاً وقدوة تحتذى اذ تتجسد للطفل شخصية " بابا مبارك " مثالاً للنشاط الدؤوب الحركة والحيوية والهمة والانتقال السريع من مكان لاخر ومن موقع لاخر، فيجوب البلاد بطولها وعرضها مشجعا على الانتاج.

متفقداً أحوال العباد وموجها وناصحاً ومعلما ومواسياً احيانا فيمسح دموع الثكلى والمنكوبين ويهنئ الناجحين والابطال ويذكي روح الوطنية وجذوة الحماس في كل الانشطة الوطنية الجماعية والفردية، الرياضية والعلمية والثقافية والفنية والعسكرية والاقتصادية. بل ويجوب العالم في سفريات وتنقلات جلباً للخير والمصلحة العامة لمصرنا الحبيبة ورفعاً لرايتها واعلاء لشأنها ولسماع صوتها بين الامم لتحتل مكانتها المرموقة في هذا العالم.

ولكن مثال " بابا مبارك " لا يجده الطفل كثيراً فيمن يحيطون به، فالمعلمون يتصارعون وينكبون على الدروس الخصوصية وهي عمل محرم وغير مشروع وفيه ما فيه من الابتزاز والقهر احياناً. والموظفون – وخاصة موظفو المحليات والاحياء الذين يحتك بهم الجمهور – لا يتمسكون الا بالفساد ونشره لدرجة سقوط العمارات التي يرخصون ببنائها فوق رؤوس سكانها فتكون الضحايا واليتامى والارامل ويصدرون تراخيص البناء حتى في الاراضي المملوكة للدولة ويتركون الشارع المصري المسكين لتعمه الفوضى والتسيب والمطبات والحفر والهدم والرصف المتواصلان والبالوعات التي تبتلع الأطفال احياء.

وكيف يتخذ طفل العاشرة قدوة من ابيه الموظف اذا كان من ضعاف النفوس وممن يعقدون صفقات الارتشاء في التليفون او في المنزل على مرأى ومسمع من الطفل.. ان فاقد الشيء لا يعطيه..

ولذلك في غياب القدوة الحسنة والمثال الطيب بدأ اطفالنا يتعلقون بشخصيات وهمية خيالية تنشرها اجهزة الاعلام وخاصة التلفزيون فها هم يعجبون اشد الاعجاب " بكابتن ماجد " او غيره من الشخصيات التي لا تعبر عن قيم الحق والخير والجمال والفضيلة والرجولة والعفة والكرم والشجاعة والاقدام والفداء والتضحية والصدق والأمانة وتحمل المسؤولية وتقديس المصلحة العمومية.

بالنسبة لكثير من الأطفال يعد التلفزيون من آفات الدهر، وخاصة اذا عجز الاباء عن اقناع الطفل بغلقه والانصراف الى الدراسة او ممارسة الانشطة الاخرى كالرياضة والقراءة والهوايات النافعة والصلاة وتلاوة القرآن الكريم. لقد أدمن كثير من أطفالنا، بل من شبابنا التلفزيون حيث يحرصون، بصورة مرضيّة على مشاهدة كل شيء.

حقيقة لا ينكر ان هناك كثيراً جداً من البرامج النافعة والمفيدة.. الدينية والثقافية والتعليمية والوطنية والاخبارية، وحتى الاعمال الدرامية، ولكن مشاهدة كل شئ ما يلائم الطفل وما لا يلائمه يكون على حساب بناء شخصيته وبناء جسمه قوياً رياضياً ايجابياً. نحن امام التلفزيون نكون في موقف سالب، في موقف الاستقبال دون الارسال فتموت الايجابية والعطاء والتفاعل والحيوية بل انه يؤدي الى ضعف الابصار والى اخطار الاشباع والى الكسل والتراخي. وفي الكبار يؤدي الى السمنة ويقضى على نشاط القراءة والاطلاع او التنزه خارج نطاق وجدران المنزل.

اذا كان أطفالنا يفتقرون الى ايجاد القدوة في ضوء اشتغال الاب في اكثر من عمل في هذه الايام لتغطية نفقات المعيشة الباهظة وللحماية من غول الغلاء، واذا كانت الأم تعمل خارج المنزل طول اليوم لتعود منهكة متعبة وأحياناً ساخطة .. فأين يجد الطفل قدوته وكيف؟

مثل هذا الموقف لا يستهان به لان اطفال اليوم هم رجال الغد، واذا استمر الحال على ما هو عليه، لوجدنا أنفسنا امام جيل سلبي تتقاذفه الأمواج والانواء

وتعصف به التيـــارات الفاســـدة الواردة لوجدنا جيـــلاً متفرنجـــاً متغربـــا يشـــعر بالاغتراب عن ذاته وعن وطنه ومجتمعـــه.

اما الحل والعلاج فهذا ما أتركه لخيال القارئ الكريم وخبرته وتجاربه وحكمته ليضع كل منا ما يكفل نشأة جيـــل صالح.

أساليب الوقاية والعلاج إسلامياً وعلميـــاً :

- القيم الإسلامية وأثرها في تحقيـــق السعـــــادة النفسيـــة.
- دور الهدي الإسلامي في الشفاء من الأمـــراض النفسيـــة.
- مضادات القلق السلـــوكية.
- العلاج النفسي الإسلامي.
- مناهج العلاج النفسي الحديث.
- الأسس الإسلامية والطبية لعلاج البـــول الليلـــي والوقاية منـــه.
- سيكـــولوجية الاغتصـــاب.



القيم الإسلامية وأثرهـــا في تحقيق السعـــادة النفسيـــــة

مســـؤولية رب الأسرة :

وفي دعوته المسلم لتعليم أهله أي زوجته وابنائه الصلاة يقول الهدي القرآنـــــي الخالد ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ سورة طه (١٣٢)

والصلاة مناجاة روحية بين العبد وربه، وصلة مباشرة بين العبد وخالقه، وفيـــها تصفو النفس، وتتطهر من الرجس والادران والفحش والفواحش، وفيها شعور بالســـعادة والرضا والارتياح والهدوء والاستقرار النفسي، وشعور برضاء الله تعالى وهو شـــعور لا يعادله شعور، ولذلك تؤدي الى التمتع بالصحة النفسيـــة والعقلية. ويقول الله تعـــالى: ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل ٩٦).

وفي ذلك تأكيد لفضيلة او لسمة الصبر، وأن له أجراً عظيماً عنـــد الله تعـــالى. الصبر على المعاناة وعلى المشاق وعلى العمل وكم من شبابنا في حاجة الى التحلـــي بالصبر والمثابرة والاصرار وقوة الاحتمال والجلد لبلوغ الأهداف السوية والمشروعة. الشباب يريد أن يحقق كل طموحاته في لمح البصر. وهذا أمر صعب المنال، ولنتـــأمل في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (ســــــورة الرعـــد ١١)، اشارة بليغة إلى أن أساس تغيير حياة المجتمع برمته هو التغيير الذي يطرأ علـــى الحياة النفسيـــة لأبناء هذا المجتمع النفسي .

يقول الله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطـــه الشيطان من المس ﴾ (البقرة ٢٧٥).

وفي العلاقات الاقتصادية، ينهى اسلامنا الحنيف نهياً قاطعـــــاً وحاســـماً عـــن ممارسة الربا، لأن فيه خراب البيوت وإفلاس الأفراد والمؤسســـــات، ونشـــر للشـــر والظلم والفســـق وتفشياً للبطالـــة، وزيادة حالات الإفلاس وما فيـــه من كسب حـــرام وغير مشـــروع.

التربيـــة على النظام والطاعـــة :

يشجع الإسلام ابناءه على طاعة الله تعالى، والتمتع برضائه والالتزام بتعـــاليم الإسلام والقيام بالتكالف، ومن ذلك الصوم والصلاة والحج والزكاة والشـــهادة، وذلـك بطريقة منتظمة ودقيقـــة وبالمحافظة على أداء الصلاة في مواقيتها، مما يربي المســلم على الدقة والنظام، وينتقل ذلك لسائر أوجه حياته.

والصلاة مناجاة روحية بين العبد وخالقه وفيها اتصال روحي بالخالق العظيم، وهي تنهى عن الفحشـــاء والمنكر والبغي، ويقول الله تعـــالى:﴿ حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ (سورة البقرة ٢٣٨).

والصلاة ركن من أركان الإسلام، وكونها خمس صلوات استمرارية لشـــغوف المسلم طوال يوم وليلة بالتقوى والورع والخشوع والخضوع لله تعالى والمعيشـــة فـــي معيشته، وفي رحاب الذات الالهية أو الحضرة الالهية وهي شعور بديع وجميل ويقـــول تعالى : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا﴾ (سورة النساء ١٠٣)

والصلاة مفروضة على كل مسلم ومسلمة وفي ذلك التوحيـــد توحيـــد للفكـــر والأيدولوجية والعقائد الإسلامية، مما يؤدي الى وحدة الامة الإسلامية في كـــل مكـــان. ويتعين أن تكون الصلاة خاشعة نقيـــة خالصة لله تعالى. يقوم الإنسان بها لا بحركـــات آلية، وإنما بكل حواســـه وجوارحه. ويقول تعالى:﴿ قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ (سورة المؤمنون ٢٢١). وبكـــل معـــاني الخشـــوع والتقـــوى والورع، بحيث يستغرق المسلم بقلبه وجوارحه في الصـــلاة، ويعيـــش كـــل لحظاتـــها السعيدة وهو بين يدي الله، ولذلك للصلاة أكبر الأثر في تمتع الإنسان بالصحة النفســـية والعقلية السوية. ويقول تعالى :﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ (سورة الماعون ٤ — ٥).

وذلك حتى يصفو المسلم الى نفســـه ويستغرق في الصلاة ولا يـــدع شـــواغل الحياة وملذاتها وشهـــواتها ومطامعها تلهيه عـــن الشـــعور بالاطمئنـــان فـــي اثنـــاء الصلاة.

تغييـــر النفس أساس تغييـــر المجتمع :

ذلك لان نفس الإنسان هي مستودع القيم والمثل والمعايير والمبادئ والعقـــائد والأفكار والفلسفـــات والأراء والاتجاهات. فالعنصر النفسي أقوى عناصر الشـــخصية وأكثرها أهميـــة، ولذلك فإن مبدأ التعديل وأساســـه هو النفس وأحوالها مـــن الرضـــا والزهد والقناعة والاطمئنان والحب والدفـء والحنان، ولنتأمل في قوله تعـــالى:﴿ فمـن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ (سورة الفتح ١٠)

وفي ذلك إشارة الى أن الإنسان إذا أساء تحمل هو، في المحل الاولى، عواقـب أعماله السيئة، وفي ذلك توعية تربوية للمسلم على تحاشي الإساءة والخطأ أو الزلـــل، لأنه هو الذي سيدفع الثمن، وفي ذلك منتهى العدالة، حيث ينال الإنسان جزاؤه على مـــا يأتيه من أفعال. ولننظر الى قوله تعالى:﴿ خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسـكنوا اليـها وجعل بينكم مودة ورحمـــة ﴾ (الروم ١).

فالأساس في الإسلام وفي الحياة الاسرية، في الاطار الإســـلامي أن يســـودها المودة والرحمة والشفقة والعطف والحب والحنان والدفـء والتفاهم، وفي عبارة " مـــن أنفسكم " أبلغ تعبير عن مشاعر الوحدة الإيمانية بين الرجل والانثى في الإسلام فكـــأن المرأة جزأ لا يتجزأ من كيان الرجل ومن ذاته ومن نفسه للشعور، بماي عرف اليـــوم تأكيد لوحدة الاصل والمجتمع والوحدة الإيمانية التي تجمع بين قلوب المسلمين وخاصـــة الازواج والزوجات مما يؤدي للتقمص أو بالتوحد السيكولوجي بيـــن طـــرف العلاقـــة الزواجية التي أنزلها الإسلام منزلة مقدســـة وأحاطها بالتقدير والتبريك واليوم ترغـــب المسترجلات من دعاة الحركات النسائية تقويض هذه الدعائم القوية ولنتدبر فـــي قولـــه تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبـث منها رجلاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلـــون بـــه والأرحـــام إن الله كـــان عليكـــم رقيبـــا﴾ (سورة النســـاء ١).

تأكيداً للوحدة الإيمانية والالتحام والالتصاق، لأن منبع الرجل والمـــرأة نفـس واحدة مما يدفعهما للشعور بالشفقـــة المتبادلة والحب المتبادل والمشاركة العاطفيـــة أو

الوجدانيـــة والتضامن، بدلاً من التنافر والتطاحن والتصارع وتصوير الحياة بين الرجل والمرأة على أنها ملحمة من الحروب الضارية وصــراع علـــى المكاســب والحقــوق والواجبات ومحاولة إخضاع الرجل وكسر ظهره بالشروط القاسية في عقود الزواج.

قال الله تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربــك راضيــة مرضيــة فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ (الفجر ٢٧ — ٣٠).

ويشير الإسلام الى أنواع عدة من الأنفس منها النفس المطمئنة السوية الســليمة الخالية من الضغائن والأحقاد والغل والكره والحسد والطمع والجشع والأنانية والاثــــرة والتكالب، وإلى النفس اللوامة التي تلوم وتعاقب صاحبها على المعاصي، والنفس التـــي تهوى وتشطح بصاحبها وتقربه الى ارتكاب المعاصي.

قال تعالى : ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافـــا خـــافوا عليهـم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ﴾ (سورة النســـاء ٩).

ويحرص الإسلام على تربيـــة الأجيال الصاعدة تربيـــة ســـوية خاليـــة مـــن الأمراض والعلل والأعراض المرضية، بل إنه يحرص على سلامة تكوين الأسرة حتى قبل تكوينها عن طريق ترشيد عملية اختيار شريك الحياة الصالح ويحث الإسلام الآبـــاء على الخوف على من ينجبون من الذرية الضعيفة، لأنه من عمل الآباء الصالح حتـــى يبقى لذريتهم، والإنسان ليس مسئولاً عن نفسه، وحسب وإنما تمتد مســئوليته التربويـــة لذريته، فعليه أن يخشى الله ليبـــارك له فيها.

طبيعـــة الخلق في التصـــور الإسلامي :

لا يترك الإسلام أبناءه يعيشون في ضياع أو فوضى أو تخبط أو غماء، وإنمـــا يوضح لهم الرؤية ويحدد لهم الهدف الأسمى من الحياة، وهي عبـــادة الله، ويقـــول الله تعالى: ﴿ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبـا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ (سورة الحجرات ١٣).

وكذلك بيان حكمة الخلق من الذكر والانثى، وتكوين الشعوب والمجتمعات والقبائل كلها لحكمة إلهية سامية كي يعرف بنو الإنسان أن أكرمهم عند الله أتقاهم أي أكثرهم خشية من الله خوفاً من عذاب النار، فالعبرة بالتقوى والورع والخشوع والتدين والإيمان، وليست بالمال أو الجاه أو القوة أو السلطان. فالقيم الروحية اسمى ما يقدره الإسلام، وفي ذلك أبلغ رد على الفلسفات المادية.

يقول تعالى: ﴿ وقضى ربك الا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾ (سورة الإسراء ٢٣) ويحرص الإسلام على سلامة بناء الأسرة على أسس أخلاقية وروحية عظيمة، فالدعوة لعبادة الله الواحد القهار فيها معنى الوحدانية، فلا شريك له، ويقرن عبادته سبحانه وتعالى بالاحسان بالوالدين والبر بهما والعطف عليهما وطاعتهما واحترامهما ورعايتهما وخاصة في الكبر. ولو التزم الناس اليوم بهذا الهدي الإسلامي لما وجدنا اناسا من علية القوم يتبرأون من آبائهم وأمهاتهم ويدعونهم لبيوت الإيواء ومنازل ومؤسسات المسنين ويعزفون حتى عن زيارتهم. ولقد أدى انتشار النزعات المادية وضعف الوازع الديني الى ما نلاحظه من التفكك والتصدع الاسري. وما يؤدي اليه ذلك من تشريد ابنائها وسقوطهم في بئر الإدمان أو الجنوح أو الجريمة والانحراف أو الفسق والزنا والدعارة. فما أحوجنا أن نحيط الأسرة المسلمة بسياج من القيم الأخلاقية الإسلامية، وأن نعيد اليها روابطها وأواصرها وأن نمكنها من أداء رسالتها الإنسانية، وأن نحميها من التصدع والانهيار، وذلك بالعودة الى حظيرة الإيمان، والى قيم الإسلام، وإبعاد تأثير التيارات الغازية والوافدة من الغرب عن طريق أجهزة الاعلام ودعاة الفسق والفساد والشذوذ، وأرباب الفلسفات المادية.

وكم يأسف المرء عندما نشاهد كم من جرائم الاقارب ترتكب وتتخذ صوراً بشعة مقززة ومفزعة ومنذرة بقيام الساعة أو انهيار المجتمع بعد انهيار الاسرة فيه. فلقد أوصانا الإسلام خيراً بالوالدين وأوصى الوالدين بالتوسعة على العيال وحسن تربيتهم على قيم الإسلام، يقول تعالى :﴿ ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (سورة آل عمران ١٠٤).

وفي ذلك أبلغ تعبير عن روح الإيجابية والمسؤولية التضامنية المشتركة بين جموع المسلمين للأمر بالمعروف ونشره وانتصاره، وذلك كي يسود الخير المجتمع، وكي تنعم الشخصية المسلمة بالصحة العقلية والنفسية الجيدة، وكي تتحلى بالقيم الأخلاقية الأصيلة النابعة من تراثنا الإسلامي الخالد.

ويربي الإسلام أبناءه على احترام حدود الله والالتزام بها وطاعتها كما في قوله تعالى : ﴿ وتلك حدود الله فلا تتعدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (البقرة ٢٢٩).

الإسلام ينظم حياة المسلم تنظيماً دقيقاً، وكذلك حياة الجماعة او الأفراد، فلا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ونظمها تنظيماً جيداً ضماناً لحسن سير العمل وانتظام العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأسرية في المجتمع. فهاهي حدود الله لا تتعدوها ليكون الحلال بين والحرام بين يقول الله تعالى: ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ (النحل ٤٣)

وفي ذلك دعوة للاستفادة وتلقي العلم والمعرفة والخبرة والمشورة عن أهل العلم، حتى لا يكون هناك خلط أو عبث بأمور الدنيا أو الدين، ولذلك لا يعقل أن يشب عامل جاهل يعمل " سباكاً " أو " مكوجي " وينصب نفسه أميراً على المسلمين ومرشداً وفقيهاً لهم.

دور الهدي الإسلامي في الشفاء من الأمراض النفسية

خطورة الأمراض النفسية واتساع مدى انتشارها :

في هذا العصر يزداد انتشار الأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية والنفسجسمية، والازمات الخلقية، والسلوكية كالإدمان على الخمور والمخدرات، والتعصب والتطرف والعنف، واللامبالاة، وعدم تحمل المسؤولية وما الى ذلك من مشاعر القلق التي ازداد انتشارها الى الحد الذي اصبح عصرنا كله يوصف بأنه "عصر القلق" .

ومرد ذلك، بطبيعة الحال، البعد عن حظيرة الدين الإسلامي الحنيف وشريعته السمحة الغراء والحرمان من الهدى الإسلامي ونوره المشرق وظلاله الظليلة ورحابه الفسيحة التي تحتضن الإنسان طفلاً ومراهقاً وشاباً ورجلاً وشيخاً في عطف وحب وحنان ودفء ومودة وانسجام ووئام.

ولا شك في ذلك .. فإسلامنا الحنيف كرم الإنسان حياً وميتاً﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾، وسعى الى تربيته تربية صالحة سوية قوامها الإيمان بالله الخالق العظيم، وبرسالة نبيه محمد ﷺ ﴿ وانك لعلى خلق عظيم﴾. ومؤدى ذلك التمسك بأهداب الفضيلة والعفة والتقوى والورع والخشوع والرضا والتوكل والقناعة والزهد والاخاء والمساواة والعدل والإنصاف والتوسط والاعتدال والإيجابية والقوة. (فالمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف). وأداء العبادات والتكاليف فالصوم تزكية للقوى الروحية في الإنسان وتطويعاً للقوى الحيوانية والشهوانية. والوضوء تطهير للنفس والبدن مما علق بهما من شوائب. والحج يعتبر ميلاداً جديداً يغسل الذنوب، وتلاوة القرآن الكريم وتدبر معانيه تبعثان على اطمئنان النفس ورضاها وراحتها وتخلصها مما بها من آلام وتبعثان فيها السكينة والسعادة وتطردان مشاعر الغل والحقد والحسد والبغض والانتقام والثأر والكراهية والنفور والغيظ.. وكلها من المشاعر التي تقود صاحبها الى الاصابة بالمرض النفسي او العقلي.

أسباب انتشـــار الأمراض النفسيـــة :

المسؤول عن انتشـــار الأمراض النفســية والتـــي توصـــف بأنـــها أمـــراض الحضارة أو أنها الثمن الغالي الذي يدفعه الإنسان ثمنا لحضارة العصر، المسؤول عـــن ذلك هو غياب الإيمان الذي يملأ القلب بالشعـــور بالرضا والقناعة والزهد والاعتمــــاد على الله الخالق العظيم والاستناد اليه والتوكل عليه والرضا بقضاء الله وقـــدره حلـــوه ومره.

مثل هذه المشاعر تبعث على الاطمئنان النفسي الذي يبدد، بـــدوره، مشـــاعر السخط والضجر والتبرم والحقد والغل والبغض والكراهية والانتقام والطمـــع والجشـــع والأنانية والاثرة والتكالب والصراع والخصام والعداء.. بل الشعور بالضياع في وســط عالم فسيح مترام الاطراف لا يعرف الإنسان الغربي الحديث موقعه منه بـــالضبط ولا يدرك لماذا وجد في هذا العالم ولماذا يرحل منه؟ الحياة في نظر الملحد عماء لا غايـــة لها ولا هدف..

تؤدي النزعات والفلسفات المادية البغيضة والالحاديـــة الـــى اصابـــة الفـــرد بالأمراض النفسيـــة والعقلية. فهناك من تلك الفلسفات ما تعتبر الإنسان مجـــرد تـــرس صغير في جسد آلـــة ضخمة كبيرة هي الدولة او المجتمع، وليس لهذا الإنسان من قيمة الا بقدر ما يسهم في عجلة الانتاج المادي. الماركسية البغيضة .. كانت تجرد الإنســـان من اغلى واثمن ما يوجد لديه وهو الروح، ولذلك سرعان ما انهارت هذه الفلسفة الـــى غير رجعـــة.

ويتعرض انسان العصر لكثير من الصراعات والتوترات والازمات حين مـــا يواجهه خطر الحرب المدمرة والاسلحة الفتاكة او ما يطلـــق عليـــه – اصطلاحـــا – اسلحة الدمار الشامل والحرب الفعلية او التهديد بها يقضان مضاجعه ويسببان له عـــدم الراحة وعدم الامان او الاطمئنان الى حياته او مستقبله، بل ان حضارته التـــي بناهـــا عبر الاجيال التاريخية المتعاقبة مهددة بالزوال والتدمير بفعل الأسلحة النووية المدمـــرة التي قادته حضارته الغربية المبتورة الى اختراعها.. فالأزمـــات السياســـية والحربيـــة

المحلية والاقليمية والدولية وكذلك الثورات والقلاقل كل هذا يترسب في لا شعور الفرد، ويسبب له الازعاج النفسي...

الحياة الحديثة تتسم بالمنافســة الحادة والصراع من اجل البقاء، ويمتاز شــباب اليوم بارتفاع مستوى طموحه بما يفوق مستوى اقتداره او ما يتجاوز ويتعــدى قدراتــه واستعداداته، ولذلك يشعر دائماً بالفشل والاحباط والحرمان ومن ثم يشعر بفقدان الثقــة في ذاته فهو يريد ان يحقق طموحات عريضة في لحظة من الزمن ودون بذل مجــهود يذكر ودون مثابرة.

والى جانب ذلك فان سلطان الاسرة يضعف باستمــرار وكذلك تقل الروابــط الاسرية التي كانت تمتاز بالعاطفة الدافئة والمشاعر المتدفقة، تاهت هذه المشاعر فـــي غياهب المادية وظلماتها الحالكة.

ومما يؤدي الى تعرض الطفولة للاهمال والحرمان مــن الرعايــة والامومــة اشتغال المرأة خارج المنزل ويضاف الى ذلك ازدياد حدة التخصص العلمـــي واتســاع مداه وطول مــدته، مما يؤدي الى تأخير تمتــع الشاب بالاستقلال الاقتصادي وتكويــن الاســرة والاشباع الجنسي الحلال والمشروع. ولكن مــا هي أهم الأمراض النفسيـــة الشــائعة؟

أهــم الأمراض النفسيــة الشــائعة :

يهتم علم النفس الطبي بدراســة كثير من الأمراض النفسيــة والعقليــة التـــي يكثر انتشــارها في الوقت الراهن.. نستعرض للقارئ الكريم الأمراض النفسية منـــها لأنها أكثر انتشــاراً وأخف وطأة. وفي وسع المعلم والاب والام ومدير العمل ورجـــل الدين والصديق والزوجة الصالحة.. يستطيعون أن يقدموا بعض العــون للوقايــة مــن الاصابة بها او علاجها وشفاء صاحبها ويطلق علم النفس الحديث على هذه الأمــراض اصطلاح الاعصبة النفسيــة *Psychological Neuroses* ومن بينها :

١ – الحصر او القلق Anxiety وهو عبارة عن وجود مشاعر غير سارة مصحوبــة بالخوف والتوتر، مع الاثارة الفيزيقية والشعور بعدم الراحة او الهدوء او الاستقرار.

وفي الغالب ما ينتج من تعرض الفرد لمواقف مهددة ومحاولته الفرار من هذا التهديد.

ومن الجدير بالملاحظة أن هناك نوعين من القلق، قلق عادي وطبيعي وسوي وهو بمثابة الدافع المحرك للانسان لبذل الجهد والطاقة، ومن ذلك حالة القلق التي تعتري الطالب النابه المتحمس للنجاح والتفوق، وحالة العالم والشاعر والفنان والمبدع التي تدفعه للاتيان بابداعه او اكتشافه او اختراعه. ولذلك يقال في هذا الصدد ان حضارة الإنسان كلها وليدة الشعور " بالقلق " وهو نوع من القلق الايجابي البناء.

والنوع الآخر هو القلق المرضي Morbid Anxiety وهو قلق دائم ومؤلم.. قلق المجهول .. قلق من لا شئ قلق حاد ومؤلم. ومن ذلك ما يطلق عليه علماء النفس القلق المعمم او حالة القلق العامة. والى جانب كون القلق مرضاً نفسياً مستقلاً الا أنه يوجد ايضاً كعرض من اعراض كثير من الأمراض النفسية الاخرى مصاحباً لها من ذلك الوسواس القهري والفوبيا او المخاوف الشاذة. كما يعرض القلق مصاحباً للتعرض للضغوط النفسية او الاجتماعية او الصدمات النفسية والاجتماعية.

٢- عصاب او مرض الفوبيا أي المخاوف الشاذة Phobias وهي مخاوف غير معقولة وغير منطقية وغير طبيعية. مخاوف شديدة من موضوعات لا تثير بطبيعتها الخوف في الإنسان السوي، ذلك لانها لا تتضمن خطراً او تهديداً لحياته. من اهم هذه المخاوف – بالنسبة للاطفال – فوبيا المدرسة.. أي الخوف الشاذ والمرض من الذهاب للمدرسة والعمل على تحاشي الذهاب اليها بشتى الطرق.

ومن اشهر المخاوف الشاذة الخوف من الظلام ومن الرعد والبرق والريح والمياه الجارية والنار والدم والحشرات والجراثيم والافاعي والديدان، ومن جثث الموتى والاماكن العالية والفسيحة والضيقة ومن الزحام والكلاب والخيول.. وغير ذلك من الموضوعات التي تثير الشعور بالخوف في أصحاب هذا المرض.

٣ – عصاب الوسواس القهري . ويتكون هذا المرض من شقين من الاعراض أحدهما عبارة عن افكار تظل تهبط على ذهن الفرد، وتتسلط عليه وتستبد به، ولا يستطيع منها خلاصاً رغم علمه بأنها افكار تظل تهبط على ذهن الفرد، وتتسلط عليه وتستبد به، ولا

يستطيع منها خلاصا رغم علمه بأنها افكار تافهة وساذجة وسخيفة.. الا انها تظل تلح على ذهنه، كأن تعتري الطفل فكرة الهروب من منزله.

والشق الثاني عبارة عن افعال استحواذية، او قهرية يجد الفرد نفسه مدفوعاً ومساقاً لفعلها رغم ارادته، ولا يستطيع ان يكف عن ذلك. ومن هذه الاعراض غسل الايدي باستمرار او عد درج السلم او حصر وعد أنواع السيارات المارقة.

في عصاب الوسواس – القهري *Obsessive-Compulsive Neurosis* تفيض في الذهن افكار ملحة وغير خاضعة للتحكم والضبط وفيه كذلك يجد الفرد نفسه مجبراً او مضطراً او مرغماً على تكرار عدة افعال المرة تلو الاخرى، كأن يظل المريض يغسل بيديه عشرات المرات حتى تدمن ويهترئ الجلد.

٤ – الهستيريا *Hysteria* ولقد عرفها القدماء الاغريق وان كانوا قد اخطأوا في التعرف على اسبابها، حيث ارجعوها الى حدوث اضطراب في رحم المرأة، ولذلك كانت تعرف الهستيريا في الزمن القديم بأنها مرض نسائي ينشأ في المرأة من تحول او انتقال الرحم من مكانه سعياً وشوقاً للإنجاب فيقف مثلاً في زور المرأة فيحبس صوتها فتصاب باحتباس الصوت. اما العلم الحديث فيرفض هذه الفكرة ويقرر أن الهستيريا مرض نفسي وظيفي تتحول فيه الصراعات النفسية الداخلية الى اعراض جسمية، وانه يصيب الرجال كما يصيب النساء على حد سواء.

ومن اعراضها الشلل الهستيري والعمى الهستيري والصم الهستيري.. وهي اعراض وظيفية من حيث اصابة وظيفة العضو، كالعين، بالعطب والتعطل، بينما يكون العضو ذاته سليماً تشريحياً. ومن اعراضها فقدان الاحساس الجلدي ويصبح الجلد كما لو كان مخدراً. واذا اصاب الكف اصبح الإنسان كما لو كان يرتدي قفازاً في يديه فلا يحس.

ومن ذلك ايضاً فقدان الشهية ورفض تناول الطعام او القئ والتهيج والتشنج. ومن اعراض الهستيريا كذلك المشي اثناء النوم وتعدد الشخصية وفقدان الذاكرة والتوهان حيث ينسى المريض نفسه وشخصيته واسرته ويهيم على وجهه الى اماكن بعيدة.

٥ – عصاب توهم المرض، وفيه يعاني المريض من القلق الشديد حول امور صحتـــه، ويتوهم انه على حافة الاصابة بمرض خطير كالسل او السرطان او الايـــدز، ويـــهتم كثيراً بأمور التغذية وتناول العقاقير والفيتامينات. ويدمـــن اجـــراء الفحـــوص الطبيـــة والكشف عند الاطباء. وما أن يطمئنه المعالج على سلامة قلبه حتى يبادر الى الذهـــاب لطبيب المخ متوهمـــاً أن مخه قد اصابـــه التلـــف. فـــي عصـــاب توهـــم المـــرض *Hypochondria* هذا، وهو عصاب نفسي النشـــأة أي يرجـــع لاســـباب نفسيـــة لا عضوية، يبالغ الفرد ويضخم من أقل وأبسط الاضطرابات التي يعاني منها ويتصـــــور أنه مصـــاب بأمراض خطيرة. ويظل مشغول البال بالخوف على صحته.

٦ – عصاب الاكتئـــاب : وهو نوع بسيط من حالـــة الحـــزن والاكتئـــاب والشـــعور بالكآبـــة وهو أبسط من حالة اخرى من الاكتئـــاب الشديد وهـــو مـــرض الاكتئـــــاب الذهاني أي المرض العقلي. في العصاب يشعر المريض بالحزن وبانخفـــاض الـــروح المعنوية *Morale* وفي الاكتئـــاب *Depression* يشعر الفرد بعدم القيمة او يبخـــس من قدر نفســـه كما يشعر بالذنب ولوم الذات. ويميل الى العزلة عن الآخريـــن والـــى الانطواء والانسحاب من معترك الحياة الاجتماعية، ويؤثر العزلـــة علـــى الاختـــلاط. ويعاني من الارق او السهاد وعدم الراحة في النوم، ويفقد الشهيـــة، والرغبة الجنســـية، ويفقد الاهتمامات والشعور بالسعـــادة والمتعة من خلال الانشطة المعتادة. وقد يعتريـــه البلادة والخمول او الثورة والتهيج وحالـــة الاكتئـــاب هذه قد تكون عرضـــاً مصاحبـــاً لامراض اخرى.

٧ – عصاب الوهن او الشعور بالضعف والتعب *Neurasthenia*

تمتاز حالة المريض بالعناء النفسي والبدني وشدة الشعور بـــالتعب والارهـــاق والاعيـــاء والاجهاد العصبي، بحيث يستيقظ المريض من نومه وهـــو اكـــثر شـــعوراً بالتعب عنه قبل النوم. ويشعر المريض دائماً بأنه منهك القوى ويبـــدو عليـــه الكســـل والخمول والتراخي.

لكن يستطيع الإنسان مواجهـــة هذه الأمراض علاجـــاً ووقاية.. فلا بـــد مـــن التعرف على اسبابها كما يراها العلم الحديث ..

أسبــاب الأمراض النفسيــة :

معظم الأمراض النفسيــة أمراض وظيفيــة لا عضوية بمعنى أنها في أغلبــها لا ترجع الى أسباب عضوية كوجود عطب أو خلل في المخ او الجــهاز العصبــي او الجهاز الغدي او تعرض الفرد للأورام والسموم والحوادث والأعيرة النارية أو للغازات والمواد الكيميائية.. معظم الأمراض النفسيــة ترجع الى أسباب نفسيـــة أو صدمــات اجتماعيــة.

ولا يميل علماء النفس في العصر الحديث الى إرجاع هذه الأمراض الى ســبب واحد بعينه.

فقديمــاً كانت الأمراض النفسيــة تسند الى مس مــن الجــن أو الشــيطان أو الأرواح الشريرة أو العفريت وفي العصور البدائية كانت ترجع الى غضب الآلهـــــة، وفي العصور الحديثة كانت تنسب الى ظروف أو أسباب جسمية أو فيزيقيــة أي علــل تصيب الجسم. وتحول الفكر العلمي في مطلع القرن العشرين الى اعتبــارها ناتجة عن أسباب نفسيــة بحتــة كالقلق أو التوتر أو شــدة الانفعــال أو الحرمـــان والقســـوة والإهمال والنبذ والشعــور بالفشل والإحباط وما الى ذلك من العوامل كالتعرض للظلــم والاضطهــاد والبطش والمعاناة.

ولكن أحدث تيار علمي في الوقت الحاضر لا يميل الى ارجاعها الـــى عــامل واحد بعينه كالعامل الوراثي او البيئي وإنما إرجاعها الى مجموعة من العوامل الوراثية والبيئيــة والميلادية المتفاعلة.. أي تلك التي يؤثر بعضها في بعض، أي التـــي يقــوم بينها تأثير متبادل وأخذ وعطاء.. الإنسان كله محصلة التفاعل بين العوامـــل الوراثيــة والعوامل البيئيــة التي يعيش في كنفهــا. ولذلك يقال ان الإنسان ابن البيئــة والوراثــة معاً.

ويمكن التعبير عن هذه النظرية المتعددة العوامل في تفسير الأمراض النفســية أي في تعليلها ومعرفة أسبابها في شكل المعادلة الآتيــة:

الإنسان سوياً كان أم مريضاً =

العوامل الوراثيــة × العوامل البيئيــة المكتسبــة× العوامل الميلادية × العمر.

ويلاحظ ان العلاقة بين كل مجموعة من هذه العوامل وتلك التي تليها هي علاقة تفاعل وتأثير وليس مجرد علاقة إضافة أو جمع.

ومؤدى العوامل الوراثية تلك الاستعدادات العامة والقابلية للمرض والتي تنتقل للفرد من الأبوين والأجداد عبر ما يعرف باسم ناقلات الوراثة او الصبغيات *Genes* وتظهر اكثر ما تظهر هذه العوامل في صفات مثل طول القامة أو لون البشرة او شكل الشعر ولون العينين. فالوراثة البيولوجية تشير الى الصفات التي يولد الفرد مزوداً بها ولا يكتسبها من جراء التفاعل والتعامل والاحتكاك مع البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش في وسطها.

أما العوامل البيئية فهناك البيئة المادية او الفيزيقية او الجغرافية وتشمل ظروف السطح والمناخ والموقع ومظاهر العمران والاعمال والمهن. وهناك البيئة الاجتماعية والتي تتمثل فيما يوجد في المجتمع من عناصر الثقافة كالعادات والتقاليد والقيم والاعراف والنظم والقوانين واللغة والدين والعلوم والمهن السائدة واضافة الى ما يوجد من جماعات بشرية يتعامل معها الفرد ومن أخصها وأبرزها واكثرها قدرة على التأثير في شخصية الفرد وصحته ومرضه جماعة الاسرة ثم جماعة النادي والعمل والجيرة والاصدقاء. ومعروف ما لأقران السوء من تأثير سيئ على سلوك الفرد.

ما يتلقاه الفرد من تعليم وتدريب وفرص للممارسة وما يتلقاه من الغذاء او ما يصيبه من الاوبئة والعدوى كل هذا يعد من قبيل الاسباب البيئية التي قد تؤثر في شخصية الفرد سلباً أو ايجاباً.

الى جانب هذه العوامل الوراثية البيولوجية او الحيوية الجسمية وتلك العوامل البيئية هناك مجموعة اخرى من الاسباب التي لا تعد من قبيل البيئة لانها لم تكتسب من جراء احتكاك الفرد بالبيئة الخارجية وليست هي وراثية لأنها ليست منقولة اليه من الآباء أو الأمهات والاجداد.. إنما هي مجموعة العوامل الميلادية تلك التي يولد بها ولكنها ليست وراثية من ذلك صدمات الميلاد المصاحبة للولادة القيصرية أو المتعثرة أو حالات اختناق الجنين وحرمان مخه من التغذية بالاكسجين والدم وتعاطي

الام – في اثناء الحمل – للخمور والمخدرات أو العقاقير الضارة بصحة الجنين او الحرمان من التغذية او ممارسة الام للرياضات العنيفة كركوب الخيل او تعاطيها للسموم وتعرضها للغازات والاشعاع او حتى كثرة التدخين واصابة الام ببعض الأمراض المعدية او بالحصبة الالمانية.. كل هذا قد يؤثر تأثيراً سيئاً على عقل الطفل.

ولقد تضمنت المعادلة عامل العمر أو الزمن وذلك اشارة الى أن تعرض الفرد للضغوط او التأزم النفسي المؤقت لا يؤثر إنما لا بد أن يكون الضغط الساقط على ذهن الفرد عبر فترة طويلة نسبياً من الزمن. اما الاسباب العارضة فسرعان ما يختفي اثرها بزوال اسبابها.

هذه جملة الاسباب المؤدية الى الاصابة بالمرض النفسي.. ونضيف اليها عاملاً هاماً جداً هو الإيمان الديني والتحلي بسمات الإسلام وخصاله الحميدة وفضائله والسير وفقاً لمبادئه الطاهرة وآداء العبادات والتكاليف والحياة وفقاً للهدى الإسلامي الخالد والطاهر والسوي والفطري.

مضادات القلق السلوكية

ازدياد حدة القلق في هذا العصر:

تزداد حدة الشعور في هذا العصر، الى الحد الذي جعل العصر كله يوصف بأنه عصر القلق والتوتر والصراع والازمات والمشكلات والمعاناة النفسية. ومن خصائص القلق أنه عرض مشترك عام يوجد في كثير من الأمراض النفسية والعقلية، فهو يصاحب مرض توهم المرض، والمخاوف الشاذة، كالخوف من رؤية المياه والدم والظلام، وكذلك يصاحب مرض الاكتئاب، الى جانب كونه مرضاً نفسياً خاصاً بذاته. وترجع زيادة مشاعره في هذا العصر لكثير من العوامل والمتغيرات التي يتسم بها هذا العصر، من ذلك زيادة حدة التوتر العالمي والشعور بالفوضى العالمية والضياع بعد أن

هيمنت قوة واحدة على تقاليد الامور بعد تفكك الاتحاد السوفيتي كقوة تـوازن رادعـة، وشاب العالم حالة من الفوضى والتحيز والاعتداء، الـى جـانب الحـروب الاقليميـة والمحلية وحروب التصفية العرقية والسلالية وحركات الانقلابات والتطـرف والعنـف والارهاب، فضلاً عن التهديد بأسلحة الدمار الشامل واباحتها لبعض الـدول وحرمـان البعض الآخر منها مما يخل بالتوازن، ذلك الإخلال الذي ينعكس عل نفسية المواطـن العادي. فضلاً عن احتدام المنافسـة بيـن الشـباب، وارتفـاع مسـتوى طموحـهم، والصراعات الطبقية، وتفشى سلبيات كالبطالة والغلاء، وإرتفاع المهور، وتعثر حـالات الزواج وتكوين الأسرة، والى جانب ذلك ضعف سلطان الأسرة وقلة رقابتها واشـرافها على ابنائها، واشتغال الأب والأم خارج المنزل لساعات طويلة من الليل، علاوة علـى ذلك ضعف مشاعر الإيمان الديني، وضعف سلطان القيـم الاخلاقيـة، وضعـف دور المدرسة كمؤسسة للتنشئـة الاجتماعية، وغرس المواطنة الصالحة، فضلاً عن اهـتزاز القيم الأصيلة في المجتمع بتأثير ما يصدره الينا الغرب من مظـاهر ثقافيـة فاسـدة أو تشجيع الإباحية والانحلال وتغذية مشاعر الاغتراب والمادية والشذوذ، من اجـل ذلـك نلاحظ ارتفاع معدلات مشاعر القلق والتوتر والتأزم والشعور بالضياع وفقدان الهويـة وضعف مشاعر الانتماء والشعور بالغربة في بلدنا. ويصاحب الشعور بالقلق أعـراض أخرى جسمية ونفسيـة وعقلية، منها الشـذوذ والسرحان وقلـة التركـيز والانتبـاه، وضعف الذاكرة، وقلة الشعور بالهدوء وبالراحة وبالاطمئنان، وكثرة الحركة والتنقـل، وقلة النوم، وكثرة أحلام اليقظة، والثورة والتهيج، وجفاف الحلق، وتصبـب العـرق، والشعور بالتعب من جراء أبسط المجهودات، وصعوبة في الهضم وما الـى ذلـك، فالقلق حالة عامة تصيب الجسم كله وخاصة إذا كانت شديدة أو عنيفة ومستمرة، بـل إن حالة القلق إذا استمرت طويـلاً تصيـب الإنسـان بمـا يعـرف باسـم " الأمـراض السيكوسوماتية " وهي مجموعة من الأمراض الشائعة في هذا العصر والتـي ترجـع لأسباب نفسية كالقلق، بينما تتخذ أعراضها شكلاً جسميـاً، ومنها ارتفاع ضغط الـدم، والقرح، والربو، والسمنة، وبعض أمراض الدورة الدموية وبعض الأمراض الجلديـة، وأمراض اللثة والأسنان .

ولذلك لابد من علاج القلق. وإن كنا نبادر بالقول بأننا نقصد هنا القلق المرضي الشديد فقط ذلك *لأن هناك نوعين من القلق* : الوردي المحدود والمطلوب والذي يقال في حقه أنه سبب نشأة حضارة الإنسان فلولا انفعال العالم لما فكر فيما يأتيه من المخترعات ولولا انفعال الشاعر لما قرض الشعر وهكذا بالنسبة لكل المنجزات الحضارية هي وليدة لحظة قلق لدى المبدع، ولكن القلق الضار هو الزائد عن الحد والمستمر بل والقلق الذي لا يعرف صاحبه سبباً له.

كيف يمكن مواجهة القلق ؟

بالطبع هناك الأدوية والعقاقير المهدئة والمنومة والمثبطة للحركة والحيوية والنشاط والمضادة للقلق، ولكننا لا ننصح بالإكثار في تعاطيها أو الاعتماد عليها في دفع الإنسان عن نفسه حالة القلق، وننصح باتباع خطوات أو مناهج أو برامج سلوكية تؤدي الى خفض حدة القلق والتوتر والصراع والتأزم والشد العصبي والعضلي دون تعاطي العقاقير والأدوية التي يخشى من أن تسبب إدمان المريض لها.

المضادات السلوكية للقلق :

من ذلك تدريب الإنسان على الاسترخاء التام والمطلق والشامل لكل اطراف وأعضاء جسمه وجوارحه وحواسه مبتدأ بالتدريب على قبض راحة اليد بالعنف والشدة ثم استرخائها وفكها وتركها حرة طليقة ثم الشعور بالفارق بين حالة الشد والقبض الشديدة ثم حالة الاسترخاء التام والكامل والمطلق والاستمتاع بحالة الاسترخاء ويتدرب كيف يعيش تجربة الاسترخاء ويشعر بها وبجمالها وبفائدتها، ذلك لان الاسترخاء والقلق نقيضان لا يجتمعان. لا يمكن أن يكون الإنسان مسترخيا وقلقاً في نفس الوقت. فالاسترخاء يزيل حالة القلق ويصرفها ويبعدها. كذلك فإن التدريب على الاسترخاء يمكن الإنسان من التحكم في انفعالاته فيطرد القلق متى شاء.

كذلك فإن توكيد الذات أو تحقيق الإنسان لذاته وإثبات وجوده وشعــوره بالثقــة في نفســه تطرد حالــة القلق، ولا يمكن أن يكون الإنسان مؤكداً ذاته ومثبتاً لها ومــع ذلك يشعر بالقلق .

ومن السلوكيات التي تساعد على طرد حالـــة القلــق والشــد والتعصــب أو الانعصاب، تناول الأطعمة اللذيذة والصحية والفاكهة الجيــدة والخضــراوات النظيفــة والأطعمة الشهية والحلوى، هذه الأطعمة الشهية تذهب حالة القلق وترفع روح صاحبـها المعنوية، وهناك أناس يشعرون بالاكتئاب عقب تناول وجبات من " الفــول المدمــس " وآخرون يشعرون بالدوخة بعد ذلك. ولا شك أن هناك رابطــة قوية بين مـــا يتنـــاول الإنسان من طعام وبين حالته النفسية. ولذلك قيل للمرأة إن الطريق الى قلب زوجها هو معدته، فالطعام الشهي مثله مثل نظافة الجسم وتزيين المرأة نفسها يرفع مــن روحــها المعنوية، كذلك فإن المناظر الجميلة والخلابة والاخاذة والمناظر الخلوية والهواء الطلــق والتريض أو حتى المشي وممارسة الرياضة البسيطة كل ذلك يفك حالة القلق التي قــد تحتوي على الإنسان ذاته. كذلك دل البحث والتجريب على أن الاسترخاء التام يـــؤدي الى انخفاض ضغط الدم عند المريض، ومن ذلك تمــارين اليوجــا والتــأمل البــاطني الداخلي.

ولذلك لم يكن غريباً أن ابتكر علماء النفس السلوكيون منهجاً للعــلاج النفســي الحديث يقوم على أساس تمرين الإنسان وتدريبه على الاسترخاء. ويعرف هذا المنـــهج في العلاج النفسي بأسم " **العلاج النفسي السلوكي** ". فلو استطاع كل منا أن يخلو الــى نفسه يوميــاً ولو لفترة قليلة يمارس فيها تدريبات الاسترخاء لاستفاد من ذلـــك كثــيراً وانعكس ذلك على جمال المرأة وصحتها الجمالية وأنوثتها بنوع خاص.

العـــلاج النفســـي الإسلامي

لقد كان للإسلام، بحق، فضل السبق على الحضارة الغربية في كثير من العلوم والمعارف ونظريات العلم ومكتشفاته. ولذا فلا ينكر هذا الفضل الا حاقد او جاحد فلقد كان للإسلام وعلمائه الفضل في نقل العلوم الى الغرب، فاعتمدت الحضارة الغربية على التراث العربي والإسلامي. بل كان لعلماء الإسلام الفضل في المحافظة على معالم الحضارة اليونانية حيث نقلت الى الغرب عن طريقهم، بعد أن قاموا بترجمتها وهضمها وبعد أن أضافوا إليها الكثير من علوم الإسلام. وفي هذه الأيام هناك صحوة إسلامية مباركة وعودة الى التراث الإسلامي الحنيف لبعثه من جديد واستحياء درره والكشف عن كنوزه. ونحن نحمد الله أن هذه الصحوة يتولاها شباب المسلمين، وهم عدة الأمة وعتادها وحملة مشعل التقدم والرخاء ومن معالم هذه الصحوة المباركة العودة لحظيرة الدين الإسلامي الحنيف والتحلي بفضائله والتمسك بمبادئه السمحة وآدابه الرفيعة وقيمه السامية في الحق والخير والجمال والعدل والمساواة والعطف والشفقة الرحمة والتعاون والايثار والمودة والمحبة والطهر والطهارة والعفة والصدق والامانة والصبر والمثابرة والشرف والطاعة والانضباط والجدية وتحمل المسؤولية والبر والإحسان والعفو والشجاعة والاقدام والتضحية والبذل والعطاء والفداء والولاء والإخلاص والوفاء وغير ذلك من السمات والفضائل التي يغرسها الإسلام في حس المواطن وفكره ووجدانه.

والباحث المسلم لا يمل من التنقيب في طيات هذا التراث وفي أثنائه لأنه دائماً يكون أمام ينبوع لا ينضب من الغذاء الروحي القيم ذلك الغذاء الذي نحن من اشد الحاجة اليه لنقوى على التصدي لشبح النزعات المادية البغيضة والأفكار الإلحادية ودعوات الانحلال والتسيب وغير ذلك من مظاهر الغزو الفكري الاستعماري للشخصية المسلمة. فإن أعداء الإسلام عندما يعجزون عن غزوه عسكرياً يحاولون غزوه ثقافياً وفكرياً. ضمن هذه الصحوة المباركة ظهور من يقول إن هناك من التراث الإسلامي معالم علم النفس وعلماء التربية. وفي هذا المقال المتواضع أسوق للقارئ المسلم الكريم

استعراضاً لجوانب عملية من أخطر عمليات علم النفس الحديث وأكثرها أهمية وحيوية ألا وهي عملية " العلاج النفسي ". ذلك العلاج الذي يدّعي علماء الغرب أنهم مبتكروه، وهو العلاج الذي أصبحنا في حاجة ملحة ومتزايدة إليه بحكم ظروف العصر وروح المنافسة وارتفاع مستوى الطموح وتعقيد الحياة الحديثة وعوامل الحرب التهديد بها .. الخ .

ونبادر الى القول بأن تراثنا الإسلامي حافل بالوسائل والأساليب التي تؤدى الى العلاج النفسي بشقيه الوقاية والعلاج بحيث نستطيع أن نقول بحق أن هناك ما يمكن أن نسميه " العلاج النفسي الإسلامي " . وأن هذا العلاج الإسلامي يستطيع علماء النفس المسلمون المعاصرون أن يقوموا على تنميته وازدهاره وتقدمه وتطبيقه على أبناء الأمة الإسلامية لحمايتهم من الإصابة بالأمراض والاضطرابات والأزمات النفسية والعقلية والخلقية، ولشفاء المصابين من هذه الأمراض وذلك كله مصبوغ بالصبغة الإسلامية النابعة من وجدان الإنسان المسلم ومن حسه وأعماقه. فلا شئ أبلغ من العلاج من الاستظلال بظلال الإسلام والارتواء من معينه العذب والاهتداء بنوره الوضاء والتمتع بما فيه من رحمة تحتضن الإنسان في حنان وشفقة. ولكي يحكم القارئ العزيز فهم خصائص العلاج النفسي الإسلامي لابد وأن نستعرض معاً هذه الخصائص ثم لابد من التعريف ما المقصود بالعلاج النفسي الحديث وأهدافه وأنواعه.

خصائص العلاج النفسي الإسلامي :

لا يمتاز العلاج النفسي الإسلامي بالسبق التاريخي وحسب ولكنه يمتاز كذلك بما يلي :

١ - انه علاج ايماني، أي يعتمد على ترسيخ دعائم الإيمان في نفس الفرد وللإيمان قيمة علاجية عظيمة وقيمة وقائية تجعل المؤمن يشعر بالأمن والأمان والاطمئنان والاستقرار والهدوء والسكينة والزهد والقناعة في متاع الدنيا وشهواتها والرضا بقضاء الله وقدره.

٢ – انه علاج خلقي بمعني انه خلقي في منهجه فيحترم كرامة الإنسان ويصونها ويعتمد في الوقاية والشفاء على بث المبادئ الخلقية والفضائل الحميدة في نفس الفرد. ولقد دل البحث الحديث على أن هناك ارتباطاً كبيراً بين الانحراف الخلقي والانحراف المرضي، فكلاهما يقود الى الآخر.

٣ – انه علاج امتثالي، بمعنى أنه يدعو الفرد للامتثال للقيم والمبادئ والمثل العليا والأعراف السائدة في المجتمع، ومن ثم يحقق الفرد تكيفاً واتحاداً ووئاماً مع المجتمع الذي يعيش في كنفه، فيرضى عن المجتمع ويرضى المجتمع عنه.

٤ – انه علاج تعضيدي، بلغة هذا العصر، فهو يقدم العون والمساعدة والتأييد والتشجيع للمريض حتى يرضى عن نفسه ويثق بها ويتحرر من مشاعر النقص والدونية.

٥ – انه علاج إقناعي، بمعنى أنه يقوم على أساس إقناع المريض عقلياً بالحلول المنطقية، وهو بذلك يستخدم تأثير العقل الى جانب التأثير في إرادة المريض وفي شعوره.

٦ – إنه علاج سلوكي، بمعنى أنه يستهدف تعديل سلوك الفرد، ذلك لأن العبرة بالعمل الحقيقي وفي إطار الإسلام الدين المعاملة وإذا تعدل سلوك الإنسان وأتى الفرائض وتحاشى المعاصي فإنه ينجو بعون الله تعالى من الامراض.

٧ – انه علاج شمولي، حيث يتناول شخصية المسلم بكافة جوانبها الجسمية والعقلية والروحية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعملية والاسرية...الخ، بل هو يتناول الفرد منذ أن يولد، بل حتى قبل أن يولد، الى نهاية رحلة الحياة.

٨ – انه علاج واقعي، لا يعتمد على الامور الفلسفية او الخيالية او الوهمية.

هذه بعض مزايا العلاج النفسي وخصائصه وهي تميز العلاج الحديث كما يرى القارئ الكريم ولكن ما هو المقصود " بالعلاج النفسي الحديث "؟

ماذا يقصـــد بالعلاج النفســـي الحـــديث ؟

يقصد بالعلاج النفسي مداواة النفس المضطربة عن طريق التأثير فـــي نفـــس المريض وفي عقله وفي سلوكه ويستهدف علاج اضطرابات الشخصية وسوء التكيـــف والأمراض النفسية والعقلية ويسعى لاعادة تمتع الفرد بالتكيف الملائم. ويمكن تلخيـــص أهداف العلاج النفسي فيما يلي :

١ – زيادة وعي الفرد واستبصاره وفهمه لذاته فهماً صحيحاً وموضوعياً وبعيـــداً عن المغالاة والمبالغة.

٢ – حل أو تصفية الصراعات التي تسبب عجز الإنسان وتبدد طاقتـــه وتحرمـــه من السعادة والشعور بالارتياح.

٣ – العمل على زيادة قبول الفرد لذاته والرضا عنها، لأن رضا الفرد عن ذاتـــه أساس لرضاه عن المجتمع.

٤ – تزويد المريض بأساليب أكثر كفاءة للتعامل مع مشاكله ومـــن ثـــم التغلـــب عليها.

٥ – تقوية الذات الوسطى وتدعيم بنائها في الإنسان وذلك عـــن طريـــق توفـــير الشعور بالأمن والأمان. وعلى الجملة نستطيع أن نقول أن العـــلاج النفســـي يستهدف إعادة تكيف الفرد مع نفسه ومع البيئـــة التي يعيـــش فـــي وســـطها وتحريره مما يكبل طاقته من الازمات والتوترات والعقد والأمـــراض كـــالقلق أو الاكتئاب أو توهم المرض أو الخوف الشاذ من أمور لا تثير الخـــوف مـــن الشخص العادي كالخوف من الماء والنار والظلام والدم.

وهناك مناهج متعددة تستخدم في العلاج النفسي الحديث، ذلك العلاج الذي يبـــدأ بالطبع بعد اجراء عملية تشخيص دقيقة للتعرف على كنه المرض وأسبابه مـــن ذلـــك العلاج عن طريق التحليل النفسي ويعتمد علـــى الكشـــف عـــن محتويـــات منطقـــة اللاشعور وسبر أغوارها وارتياد مجاهيلها ومساعدة المريض على اطلاق عنان تلـــك الانفعالات الحبيسة والتي تعمل في أعماق ذاته، تحريرها واطلاق ســـراحها ويعتمـــد التحليل النفسي على تحليل أحلام الفرد وتفسيرها وعلى عملية التداعي الحر حيث يرقد

المريض على أريكة مريحة ويسترخي استرخاءاً تـاماً، ثم يطلــق العنــان لأفكــاره وخواطره فيفصح عنها ويطلق عقالها وبعد إطلاق سراح تلــك الرغبــات والدوافــع المحبوسة، يتم تبصير المريض بها، ويتم فهم حالته فهماً موضوعياً مقبولاً وبــذا يتــم الشفاء.

ومن أظهر اساليب العلاج الحديث ما يعرف باسم العلاج السلوكي، وهو قــائم على اساس افتراض أن الإمراض النفسية عبارة عــن عــادات متعلمــة أي تعلمــها الإنسان، وإن كان تعلماً خاطئاً أو سلبيــاً، كمن يخاف من الظلام أو مــن الحشــرات ويقوم العلاج على أساس محور أو إزالة هذا التعلم وغرس عادات ايجابية لتحل محــل العادات السلبيــة. ويتحقق ذلك عن طريق ربط أو اقــتران العــادة الســيئة ببعــض المشاعر الضارة ومن ثم يكرهها الإنسان ويبتعد عنها فمدمن الخمر تضع لــه ســراً في كوب الخمر عقاراً يسبب شعوره بالقئ او الدوخة أو المغص ومن ثم يرتبط هــذا الشعور برؤية الخمر فيكف عن تعاطيه.

ومن اساليب العلاج النفسي الحديث العلاج الجمــاعي، وفيــه تتــم معالجــة مجموعة كبيرة من المرضى دفعة واحدة، شريطة أن يعانوا من مرض واحد ويمتــاز هذا النوع من العلاج بالاقتصاد في الوقت والجهد. وهناك ما يعرف بإسم السـيكودراما وفيه يحصل الشفــاء عن طريق قيام المريض بتمثيل مشكلتــه على خشبة المســرح أمام زملائه الذين يشتركون معه في رسم خطة العلاج. وهناك أنــواع متعــددة مــن العلاج منها ما يعرف باسم العلاج المتمركز حول المريــض، وفيــه تــترك الحريــة للمريض كي يدير الحوار مع الطبيب فيما يعن له من مشكلات وآلام. ثم هناك العــلاج الاسري الذي يتناول علاج أسرة المريض نفسها. ثم هناك العلاج الكتبي وفيه يكلــف المريض بقراءة بعض الكتب التي تفيده على أن يناقش مضمونها مع المعالج.

وهناك العلاج عن طريق العمل حيث يكلف المريض القيام ببعــض الأعمــال التي يجد من خلالها ذاته ويشعر بقيمته. كذلك هناك العلاج عن طريق الاشتراك فــي الأنشطة الترفيهية. كذلك فإن العلاج الموسيقي يوفر فرصة للتنفيس لدى المريض بعــد سماع قطع موسيقيــة معينة. وهناك العلاج عن طريق الرسم وغيره من ضروب الفن

التشكيلي ثم هناك العلاج عن طريق التنويم المغناطيسي ثم العلاج عن طريق الظل أو المأوى ويصلح هذا النوع الاخير لعلاج التلعثم في الكلام وهناك ما يعرف باسم العلاج الجشتلتي نسبة الى مدرسة الجشتلت وهو مدرسة ألمانية في علم النفس وهو ضرب من ضروب العلاج الكلي او الشمولي.

شفاء النفس بالطرق الإسلامية:

يستهدف الإسلام تكوين المؤمن القوي والسليم والمعافى، كما يستهدف شفاء النفوس أو القلوب بما يصيبها من علل وأمراض. وهو بهذا يتفق مع العلاج النفسي الحديث وإن كانت الأساليب والإجراءات تختلف بعض الشئ فالحياة الروحية الإسلامية كلها حافلة بما يقي المسلم من الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية، وبما يكفل له الشفاء إذا ما أصيب بأي منها. ويكفي أن يعود المريض الى حظيرة الإيمان ليعيش في ظله الظليل وفي رحابه الفسيحة. وهناك كثير من الأساليب التي تكفل التمتع بالصحة العقلية والنفسية ومن ذلك ما يلي:

١ - الدعاء والرجاء

هناك كثير من الأدعية والأذكار التي يقولها المسلم عند الاستيقاظ وعند النوم، وأخرى تقال في كل وقت. ومن شأن هذه الأدعية، من الناحية النفسية والطبية أن تشعر صاحبها بالأمان والاستقرار والهدوء والسكينة والرضا والاعتماد على الله الذي هو أقرب الى الإنسان من حبل الوريد وكذلك شعوره بالراحة والاسترخاء والقناعة والزهد ومن ثم شعوره بالسعادة الغامرة وتلاوة القرآن الكريم والاستماع الى آياته تكفلان الشعور بالرضا والسعادة والاطمئنان وتطردان مشاعر البغض والسخط والكره والحقد والغل والكيد والانفصام والجشع والأنانية والطمع والعدوان وكلها من أسباب نشأة الأمراض النفسية ومن الأدعية المباركة ذات الأثر الطبي النفسي العميق دعاء الرسول الكريم " من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا واحد قال مثلما قال أو زاد " رواه مسلم.

وروى مسلم عن أبي هريرة " قال جاء رجل الى النبيﷺ فقال يا رسـول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة قال: أما لو قلت حين أمسيت أعـوذ بكلمـات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ". وروى مسلم عن أبن مسعود رضـي الله عنـهما قال كان النبي ﷺ إذا أمسى قال أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله ولا اله الا الله وحده لا شريك له قال الراوي أراد قال فيهن له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشـر ما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر واعوذ بك من عذاب في النار وعـذاب من القبر واذا أصبح قال ذلك أيضاً أصبحنا وأصبح الملك لله. ومن الأدعية التي تقـال عند النوم، وتساعد على النوم الهادئ الخالي من الأحـلام المزعجـة والكوابيـس " أن الرسول ﷺ كان اذا آوى الى فراشه قال باسمك اللهم أحيى وأموت " رواه البخاري.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبيﷺ قال له ولفاطمة رضي الله عنها " إذا آويتما فراشكما أو إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا ثلاثـاً وثلاثين وسبحا ثلاثـاً وثلاثين واحمدا ثلاثـاً وثلاثين " متفق عليه. وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسـول ﷺ كان إذا آوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه أتت فيهما بسراً بينهما قل هو الله أحـد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسـده يبـدأ بهما من رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات " متفق عليه.

وللوضوء أثر نفسي علاجي ووقائي وفيه شعور بالراحة والنظافة واحسـاس بحلاوة الإيمان والقرب من الله والاسترخاء. كان الرسول يقول: " للبراء بن عـازب رضي الله عنهما قال له الرسول " إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضـوءك للصـلاة ثـم أضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم ما أسلمت نفسي لك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فإن مـت مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول " متفق عليه. وروى مسلم عن أنس رضـي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا آوى الى فراشه قال الحمد لله الذي أطعمنـا وسـقانا وكفانـا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي له " رواه مسلم. وهناك أدعية يقولها المؤمن فـي أي وقت يشاء قال رسولﷺ " لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكـبر

أحب ألي مما طلعت عليه الشمس " رواه مسلم. وعنهﷺ أنه قال " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمان : " سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ". متفق عليه . وقولهﷺ لأبي موسى رضي الله عنه " قل لا حول ولا قوة الا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة " متفق عليه.

قول الرسول ﷺ " الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السموات والارض " رواه مسلم. وكان الرسولﷺ يدعو عند الكرب " لا اله الا الله العظيم الحليم لا إله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم " متفق عليه. وفي الدعوة لذكر الله تعالى يقول القرآن الكريم :﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ (آل عمران ١٩١)، وفي دعوة المؤمن للصبر يقول تعالى﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾ (الكهف ٢٨). وفي الدعوة للتضرع الى الله يقول تعالى :﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ (الاعراف ٢٠٥) وفي الدعوة للتسبيح بحمد الله وشكره يقول تعالى :﴿ سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ (طه ١٣٠) . والله تعالى يستجيب لدعاء الناس وفي ذلك شعور بالخلاص والايعاز. يقول تعالى :﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾ (غافر ٦٠) وقوله تعالى:﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ (البقرة ١٨٦).

ويقول النبيﷺ " اللهم آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " متفق عليه. ويقول كذلك " اللهم أني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى " رواه مسلم. وكان الرسول الكريم يعلم الناس الصلاة وأن يطلبوا الغفران والرحمة والعفو والهداية والرزق والطاعة لله تعالى والاستعاذة بالله من البلاء والشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. وعنه أنه قال : اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي من كل خير وأجعل الموت راحة لي من كل شر " رواه مسلم. وكان يطلب

الهداية والسداد ويستعيذ من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل ومن عـــذاب القــبر ومن الفتنة.

هذه لمحات عابرة من أسلحـــة الإسلام في شـــفاء النـــاس ووقايتهـــم مـــن الأمراض بمنهاج واحد ومبسط لأن كل كلمة وكل تشريع جاء به الإسلام وكل نـــهي او تكليف إنما له أثر مباشر أو غير مباشر على صحة الفرد النفسيـــة والعقلية والخلقيـــة؛ فإلى جانب هذه الأدعية هناك الدعوة لتحاشي الغضب والمعـــاصي والذنـــوب والشـــر والجريمة ثم هناك الدعوة للتحلي بالتقوى والورع والخشوع واليقين والإيمان.. الخ.

مناهج العلاج النفسي الحديث

مفهوم العلاج النفسي وأهدافـــه :

يقصد بالعلاج النفسي تلك العمليات والإجراءات التي يقـــوم بـــها الأخصـــائي النفسي، بقصد إعادة تكيف الفرد مع نفسه ومع المجتمـــع المحيـــط بـــه، أي معالجـــة الاضطرابات أو الأمراض النفسية " الاعصبيـــة " والأمـــراض العقليـــة " الذهانـــات " والاضطرابات السلوكية أو الأخلاقية، والأمراض السيكوسوماتية أي النفسيـــة، حيـــث يقرر الأخصائي المعالج الرعاية والخدمات العلاجية في شكل جلســـات فردية تخـــص مريض واحد بعينه او في شكل جلسات جماعية تخص مجموعة من المرضـــى، فيمـــا يعرف باسم " العلاج الجماعي *Group therarpy* ".

فالعلاج النفسي *Psychotherapy* يستهدف المعالجـــة *Treatment* القائمـــة على استخدام المناهج العلمية المجربة، وعلى أســـاس مـــن التشـــخيص *Diagnosis* الموضوعي والعلاج النفسي يقوم على أساس استخدام الألفـــاظ لإزالـــة الاضطرابـــات السيكولوجية دون استخدام العقاقير أو الصدمات أو الجراحة والحقيقة أن مناهج العـــلاج وعلم النفس تتفاوت تفاوتاً كبيراً فيما بينها.

وعلى ذلك تختلف المعالجة المطلوبة باختلاف الحالة المرضية التـــي تتطلــب العلاج. المعالجة تستهدف تكيف الفرد مع البيئة وإشباع حاجاته، بقصد إعادة الســـعادة والرضا للفرد، ومن ثم اطلاق سراح قدراته، بحيث يصبح طاقة منتجـــة فاعلـــة فـــي المجتمع.

ومن اشهر المناهج في العلاج، العلاج النفسي *Psychotherapy* في مقـــابل العلاج الطبي. ويتضمن هذا المنهج عدداً من الخطوات، التي تقع ضمن نوعيـــن مـــن العلاج :

أ – العلاج التوكيدي أو التعضيدي *Supportive therapy*

ب– العلاج بالاستبصار أو الفهم أو البصـــيرة *Insigth therapy* أو منـــهج الكشف أو الاستكشـــاف *Uncovering*

النوع الاول : أي العلاج التوكيدي، يستهدف اعطاء الفرد المساعدة الكافية، لكي يقـــف في مواجهة صعوبات الحياة، دون أن يتضمن ذلك إحـــداث تغيـــيرات جوهريـــة فـــي شخصية المريض، وخاصة في سماتها المستديمة. فالشخص الذي يعاني من مشـــكلات او الذي يعاني من القلق أو التعاسة أو المضايقة الانفعالية، بسبب بعض الاضطرابـــات في البيئة، يتم مساعـــدته عن طريق تقديم الإيحاءات والاقتراحات والإقنـــاع وتزويـــده بالمعلومات والحقائق والتعليمات الخاصة " بماذا يعمل " وهكذا. وما أن تنتهي الصعوبة حتى يعود الفرد كما كان بالضبط سليماً معافى.

المعالجة التي تهاجم الأعراض وتعمل على إزالتها دون التعرض أو الغـــوص في الأسباب منها هذا النمط العلاجي التعضيدي.

فعلى سبيل المثال، يمكن إزالة العمى الهســـتيري *Hysterical blindness* ويمكن إزالته باستخدام الإيحاء التنويمي *Hypnotic suggestion* حتى يشفى المريض تماماً من العمى. ولكن الأسباب الدينامية وراء العمى الهستيري ما زالت موجودة، وقـد يظهر العمى على المريض ثانية أو أن الأسباب القائمة قد تؤدي الى ظهور أعـــراض أخرى، كأن يفقد المريض الإحساس في أحد أعضاء جسمه كالذراع أو اليد أو القدم.

فالفرد يظل كما هو دون تغيير، ولكننا تمكنا من إزالـــة الاعــراض فقـــط. فالعامل السببي الذي أدى الى ظهور العَرَض ما يزال قائماً، ولذلك قد يعـــود العـــرض كما هو، أو يظهر في شكل آخر أي يتحول الى منطقة أخرى، وهكذا، يظهر بصـــورة مقنعة خفية أو رمزية.

وهناك منهج من مناهج العلاج النفسي، يفـــترض أن الأمـــراض النفســية أو الاعراض تحدث من جراء عملية تعلم، كتعلم الطفل الصغير الخوف مـــن الظـــلام، أو الخوف من الوحدة، وعلى ذلك يكون العلاج بإزالة هذا التعلم ثانية أو على القليل عـــن طريق استخدام مبادئ التعلم في العلاج.

ويرجع هذا المنهج الى عالم النفس وولب *Wolpe* (١٩٥٨) فيمـــا يعـــرف باسم العلاج السلوكي *Behavior therapy* وكذلك أعمال أيزنك *Eysenck* (١٩١٠) من هذه المبادئ المستعملة في التعلم، وفي العلاج، مبدأ التعزيز الايجابي أو الســلبي أي اعطاء التعزيز والمكافأة للفرد على سلوكه الجيد، واعطائه العقاب على سلوكه الســيئ المطلوب تخليصه منه.

وتعطى هذه التعزيزات عندما يكون الفرد في حالـــة تامـــة مـــن الاســترخاء العضلي والعقلي[1]، والحقيقة أن الإرشاد النفسي *Counseling* والتوجيه، إنمـــا همـــا عمليتان من عمليات التعضيـــد ايضـــاً *Supportive* (*Guidance*) ومعـــروف أن الإرشاد النفسي يختلف عن العلاج النفسي، من حيث أنه يتناول المشاكل النفسية الخفيفـة نسبياً، والتي لا تحتاج الى العلاج النفسي، كالذهانـــات العقليـــة أو الاعصبـــة النفســية الحادة، أما التوجيه فيتم بهدف مساعدة الفرد في الحصول على مهنة تناسبه على ســبيل المثال.

من مناهج العلاج النفسي واسعة الاستخدام ايضاً منهج العلاج النفسي بـــالتحليل النفسي *Psychoanalysis* وهو من المنـــاهج القائمـــة علـــى الاســتبصار *Insight therapy* في هذا المنهج يساعد المحلل المريض لكي يفهم نفسه بصورة افضل، وذلـــك من خلال الجلسات التحليلية المخصصة للعـــلاج *Analytic sessions* عـــن طريـــق

---

[1] – عبد الرحمن العيسوي، العلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندريـــة.

تدريبه على التعامل مع المنغصات الإنفعالية التي يعاني منها، وذلــك بصــورة اكــثر فاعلية واكثر فهما واستبصارا، تلك المنغصات التي نما حيالها حيلا دفاعية لا شــعورية غير ملائمة *Maladjustive defense Mechanisms* ومن خلال الجلســات، التــي تتسم بالتعضيد والتسامح والقبول والحماية، فإنه يكشف عن انفعالاتــه، وعــن آلامــه وصراعاته وتوتراته، يكشف عن ذلك للمحلل الذي يكون قد كون تجاهه رابطة عاطفيــة *Emotional Rapport* ملــؤها الشــعور بالثــقة والتفــاهم. فــي أثنــاء جلســات التحليل " يحول " المريض انفعالاته الايجابية أو السلبية، كــالحب أو الكراهيــة، مــن مصدرها الأصلي كالاب أو الأم الى شخص المحلل، وتعرف هــذه الحيلــة الدفاعيــة اللاشعورية باسم " عملية التحويل *Transference* " وهذه العملية دليــل علــى تقــدم العلاج.

يفهم المحلل الأسباب التي دعت المريض للقيام بسلوك معين، أو لمــاذا فكــر على النحو الذي فكر فيه أو الطريقة التي شعر بها، لأن السبب يكون قــد انكشــف أو تكشف أمامه، ولذلك في الإمكان أن يقلع عن السلوك السلبي، ويتوقف عن القيــام بــه، وأن يتبنى منهجا آخر او سلوكا آخر اكثر ملائمة وتوافقا وتكيفــا أو اكــثر صحــة وسواء وأكثر فهما لأحداث الحياة اليومية.

هذا الاستبصار ليس عقلانيا فقط، وإنما هو أيضا انفعــالي أو وجدانــي، لأن الإنسان عليه أن يفهم الجوانب المتعددة لتطبيق حلوله لفكره ومشــاعره وســلوكه، وأن يقبل كل هذا وليس كافيا يفعل ذلك عقلانيا. لابد من الوئام بين الفكــر والوجــدان أو الفكر والشعور وإلا كان هناك فصاما او انقســاما في الذات.

وهناك منهج آخر من مناهج العلاج بالاستبصار وهو العلاج المتمركز حــول العميل أو العلاج التسامحي أو العــلاج غــير الموجــه *Non Directive or The Client-Centered Therapy* وهو الــذي نمــاه وغذاه كــارل روجــرز *Rogers* (١٩٥١م).

وفي هذا النمط من العلاج، يكون المريض نفســه أو العمــيل هو المســؤول عن العلاج وتوجيهه وجلســاته. المعنى المقصود من هذا المنهج أن المعالج لا يوجــه

سير أو خطوات الجلسات، فليس فيه توجيه من قبل المحلل *Nontherapist-directed* ويركز الاهتمام على العميل لكي يفهم نفسه. وعلى المحلل أن يقتفي اتجاهاً تسامحياً نحو العميل *Permissive attitude* وأن يعبر تعبيرات لفظية للعميل.

وهذه الساعة، أي مدة الجلسة، مخصصة لك أنت.. انها ساعتك انت، افعل فيها أو بها ما تشاء.. تحدث عما تحب أن تتحدث عنه، تكلم عما تريد..

المحلل يشجع التعبير الحر الطليق عن المشاعر. والمحلل يستجيب فقط لما يعتقد انه مشاعر العميل، وعليه أن يكون حذراً بحيث لا ينصح ولا يقنع العميل بشيء. وعلى ذلك يبدو أن دور المحلل دوراً سالباً، ولكن هذا في الظاهر فقط.

وليس للمحلل أن يسعى لمعرفة ماذا يجري، لأن المقصود هو الاستبصار الذاتي للعميل، ولكن على المحلل فقط ان " يعكس " أو يردد الانفعالات والمشاعر التي يبديها العميل *To Reflect The Patient's Feelings* وأن يقولب لفظياً أو يصيغ في ألفاظ مشاعر العميل كما هي *To Verbalize Feelings as they are* وفي هذا المنهج يفترض أن المريض لديه إمكانية هائلة للنمو الذاتي، وأنه قادر على اكتساب الفهم الذاتي والاستقلال الذاتي، وفي مرحلة ما من مراحل العلاج سوف يتضح له أنه لم يعد في حاجة الى جلسات العلاج وتلقائياً ينهي جلسات العلاج.

وفي هذا المنهج لا يوجه اهتمام كبير الى عملية التشخيص لأنها ليست ضرورية، ولقد وجه الكثيرون انتقادات قوية إلى هذا المنهج على اعتبار أنه سطحي، وفي الغالب ما يقوم به أشخاص غير مدربين، تدريباً كافياً.

إن مجرد قبول مشاعر العميل ليس كافياً، وأن هناك في الحقيقة توجيه نشط حتى إذا لم يتبين ذلك المحلل، وأن يكون المحلل واعياً ومدركاً لهذا التوجيه النشط وليس متروكاً الى الاستبصار الذاتي للمريض وحده *Self-Insight* .

وهناك حالات تعد نصف المعرفة وهذه مسألة خطيرة بالنسبة لها.

ولقد أجرى روجرز وزملاؤه وتلاميذه عدداً كبيراً من البحوث حول هذا المنهج ونتائجه وفي طبيعة العملية العلاجية ذاتها، وكان الفضل الأول يرجع إليهم في استخدام آلات التسجيل الصوتي لجلسات العلاج، من أجل الأغراض البحثية

والتدريسية. وأخضعوا أنفسهم للبحث اكثر من أي جماعة علمية أخـــرى. فلـــم يكـــن منهجهم مغلقاً أمام البحث العلمي.

ومهما اختلفت طرائق العلاج ومناهجه، فإن هناك عدداً من المبادئ التي يتعين توفرها في كل مناهج العلاج، من ذلك ضرورة أن يثق المريض في المعالج ثقة كبيرة، لكي يتم التغيير المطلوب حدوثه في الشخصية وفي السلوك. فإذا لم يثـــق فـــي قـــدرة المعالج، فمن النادر أن تتحقق النتائج المرجوة.وقضية توفر الثقة *Confidence* جـــزء من كل أكبر من ذلك هو شخصية المعالج نفسه. لابد أن تكون شخصية سوية، وقـــادرة على ممارسة العلاج، وعلى التأثير في الغير، ومن سماته الثقـــة فـــي النفـــس Self-*Confidence* أي أن يكون المعالج واثقاً من نفســـه، والتســـامح والـــهدوء والـــود أو الصداقة، والقدرة على تناول المشكلات دون أن يصدر حكماً فيها، ومن سماته كذلـــك الصبر والذكاء والفطنة، وسرعة البديهة، والكياسة، واليقظة والخبرة لإدراك مشـــاعر المريض واحساساته، والقدرة على التحليل والربط والاستخلاص، والقدرة على الفـــهم. والمهارة في استخراج المعاني والدلالات من أقوال المريض أو من سلوكياته، وتحليـــل المواقف وربط الاحداث، وفوق كل ذلك حب الناس والرغبة في مساعدتهم وحب المهنة والميل إليها. وكل ما يصنع المعالج الجيد يجب أن يتوفر فيه وكذلك والقدرة على خلـــق جو صالح للعلاج *Therapeutic atmosphere* .

ومن الجوانب الحيوية في عملية العلاج، اعطـــاء الفرصـــة لحـــدوث عمليـــة التصريف الانفعالي أو التفريغ الانفعالي أو اطلاق سراح الانفعـــالات الحبيســـة فـــي صدر المريض، والإفصاح عن آلامه وأحلامـــه *Catharsis = Getting Some Thing Off One's Chest* سواء أكان هذا التصريف بالأفعال أو بالأقوال. إن صـــب أو تفريغ المواد المشحونة انفعالياً عمل مفيد في حـــد ذاته.

ويحدث هذا التصريف في العلاج عن طريق اللعب *Play Therapy*، حيـــث يساعد هذا المنهج في حل مشاكل الأطفال بنوع خاص، عن طريق اللعب، ومن خلالـــه، واللعب وسيلة طبيعية للتعبير عن الذات لدى الأطفال.

حيـــث يتم تشجيع الطفل على استخدام الدمى والألوان والرسوم والصلصـــال

والماء بالطريقة التي يرغب فيها الطفل.

وعن طريق هذا اللعب يحصل الطفل على الراحة *Feeling of Relief* فلقد أحيل طفل للمعالج النفسي، كان يشكو من نوبات من الثورة والغضب والتهيج وحدة المزاج، وعدم الكلام لفترات، وفقدان الميل للاستجابة *Alack of responsiveness* للتعاطف أو المثيرات العاطفية، وبعد أن تلقى ١٨ جلسة من جلسات العلاج باللعب، أصبح عاطفيا اكثر، واصبحت نظرته انبساطية أكثر مع زيادة في قدرته الكلامية.

ودون الحاجة الى التفسير فإن جلسات العلاج باللعب ساعدت في تحسين حالته. هذا النمط من العلاج من الممكن أن نسميه " العلاج التعضيدي ".

فالعلاج باللعب من الممكن أن يكون علاجا " تعضيديا " ومن الممكن أن يكون " استبصاريا " ومن المظاهر الاستبصارية في العلاج باللعب أن الطفل يحدد شخصية الأم أو الأب أو الأخوة من بين الدمى التي يلعب بها، مع الإشارة الواضحة الى المشاعر التي يظهرها الطفل حيال كل واحد من هؤلاء.

فإذا لعب الطفل بدمية أنثى وأخيها الذكر، وإذا قال أن الولد على خلاف مع شقيقته. فليس من الصواب أن يسرع المعالج الى التفسير، ولكنه " يعكس " هذا المعنى اولا عدة مرات حتى يتأكد منه ولا يستنتج إلا عندما يقول الطفل نفسه " انني ايضا زعلان من أختي ". عندئذ يحق للمحلل أن يفسر ذلك بالقول بأن الطفل يشعر بالعداوة نحو شقيقته وذلك من خلال عملية اللعب.

وهنا نرى أن عملية التفسير تحدث مع عملية الراحة Release حيث يحصل الطفل على الراحة ويكون شعورا بالثقة في المحلل حتى يستطيع أن يواجه شعوره بالعداوة تجاه شقيقته.

ومع نجاح العلاج النفسي في كثير من الحالات إلا أننا لا نستطيع أن نقول انه يصلح في جميع الحالات العقلية والانفعالية والسيكوسوماتية والأخلاقية، ذلك لأن للعلاج النفسي حدودا وأكثر أهمية من العلاج النفسي وتقنياته وسائل الوقاية، فالوقاية، كما يقال، خير من العلاج.

الأسس الإسلامية والطبيـــة
لعلاج البول الليلي والوقاية منـــه

إسلامنا الحنيف دستور جامع شامل لكل جوانب حياة الفرد والجماعة. فالـــهدى الإسلامي الخالد ينظم حياة الإنسان ويرشده ويوجهه ويهديه الى سواء الســـبيل والـــى التمتع بالحياة الآخرة والحياة الدنيا وبالصحة العقلية والنفســـية والأخلاقيـــة ويـــالفطرة السوية التي فطر الله عليها الناس، ولذلك ما من جانب من حياة المسلم الا ووجـــد فـــي تعاليم اسلامية سمحة، عقيدة وسلوكـــاً، الهدى والارشاد والســـداد والتوجيـــه والتعليـــم والتربية الصالحة. وفي مجال الصحة النفسيـــة يحفل اسلامنا الخالد بالمبـــادئ العامـــة والقواعة والاصول التي تحفظ على الإنسان صحته الجسمية والعقلية والنفسية وتصـــون كرامته وتدفعه للطاعة والالتزام والتوسط والاعتدال والانصاف والبر والاحسان وحسن المعاملة والتصدق والكرم والعطاء والوفاء بالعهود والوعود والرحمة والشفقة والـــهدوء والرفق والسكينة والتوكل على الله والرضا والقناعة والزهد.. وما الى ذلك مـــن القيـــم الخالدة على مر العهود والدهور.

وفي مجال الأسرة، يحيط الإسلام ابناءها بسياج من القيم التـــي تحمـــي مـــن الاصابة بالاضطرابات والأمراض والعلل، والخلل، ومن ذلـــك العـــدل مـــع العيـــال والتوسعة عليهم والرحمة بهم وعدم الضجر أو التبرم من انجابـــهم، لأن الله رازقـــهم ونحن معهم، وعدم استعمال القســـوة أو الغلظة والخشونة معهم، وعدم التفرقـــة فـــي التعامل بينهم وحبهم واعتبارهم فلذات اكبادنا وقرة اعيننا، وهم فوق كل هذا احباب الله.

وفي هذا المقال المتواضع استعراض لمشكلـــة من المشاكل النفسية التـــي قـــد يتعرض لها نفر غير قليل من أبنائنا وهي التبول اللاارادي، وفي هـــذا المقـــال مـــزج وتوفيق بين التعاليم الطبية الحديثة واصولها الاسلاية في شكل المبادئ التي تحـــول دون وقوع اسبابها، كالغيره من الاخوه والاخوات أو عدم توخي الآباء العدل مع العيـــال او حرمانهم، وعدم التوسعة عليهم او الضجر بإنجاب الإناث دون الذكور، او البعـــد عـــن

المناخ الإسلامي الذي احاط الأسرة المسلمة بسياج من الرحمة والمودة والسكينة. وحين نستعرض اساليب العلم الحديث، فلا بد من التأكيد أن إسلامنا قد أمرنا بالأخذ بالأسباب، وأن له فضل السبق في ربط حياة الإنسان بنسق عظيم من القيم والمبـــادئ، والقواعــد والأصول التي تحفظ عليه، صغيراً أو كبيراً، حياته العقلية، وصحته النفسية.

طبيعـــة التبول اللاإرادي :

التبول اللاإرادي *Enuresis* عبارة عن انسياب او تدفق او نـــزول البــول لا اراديا. وقد يحدث خلال النوم أو أثناء اليقظة، وما يحدث منه في الليل يســـمى البــوال الليلي *nocturnal enuresis*. وقد تتضمن هذه الظاهرة المرضية انفلات البول فــــي أثناء المشي نهارا، وهنا يسمى " البوال النهاري " وهي حالة من حسن الحـــظ نــادرة الحدوث "أي البوال النهاري " .

ويعرف انجلـــش، وانجليـــش *English* بأنــــه الاخـــراج الـــلاارادي للبـــول *Inroluntary discharge of Urine* .

عملية التبول اللاارادي، في شكلها الطبيعي، تحدث عندما تمتلئ مثانة الطفـــل بالبول لأن امتلاء مثانة الطفل بالبول يصدر تأثيرا يحرك بصورة آلية عمليـــة التبــول *Urination* ومن ثم تفريغها. يجب أن يكون الطفل ناضجا لدرجة تمكـــن عضلاتـــه العاصرة من مقاومة التفريغ حتى يقوم الطفل بعملية التفريغ هذه اراديا. الطفل الصغـير يكون عاجزا عن التحكم في هذه العملية في أثناء اليقظة، وبالتالي يبل فراشـــه في اثناء النوم، ولكن هذا امر طبيعي بالنسبـــة للسنوات الاولى من حياة الطفل. والتحكم المطلـق لا يتأتى لمعظم الاطفال قبل سن المدرسة.

ولا توجد دراسات تقطع بالسن المحددة التي يصل فيها جميع الاطفـــــال الــــى القدرة على ضبط المثانة. وهناك بعض الأطباء الذين يحـــددون العمـــر مـــن ٣ – ٨ سنوات ويبدو أثر الوراثة واضحا في هذا الاضطراب.. ويمكن تمييز نوعين من التبول اللاإرادي :

١ – النوع المزمن ***Chronic***

٢ – النوع النكوصي او الانتكاصي ***Regressive***

في النوع الاول الطفل لم يحدث أن تمكن من ممارسة ضبط المثانة قبل ذلك ويستمر في ذلك.. وهناك من يتبول لاارادياً سواء في النوم أو في اليقظة، وفي هذه الحالة قد تستمر مرحلة المراهقة والرشد. وفي هذه الحالة قد يرجع الاضطراب الى الوراثة *Heredity*.

اما في النوع النكوصي، فان ضبط المثانة يكون الطفل قد وصل اليه فيما مضى، ولكنه توقف عنه الآن. وربما يرجع ذلك الى التعرض المفاجئ لنوع من الضغوط، أو التوترات او الصراعات. من ذلك ميلاد طفل جديد في الأسرة ومن ثم شعور الطفل بالغيرة وعدم الأمان *Jealousy and Insecurity* وهو نوع انتقالي وقد يكون بل الفراش ضربا من الانتقام من الأباء أو الثأر .. وتكمن الصعوبة إذا أدى التبول اللاارادي الى السخرية من الطفل عن طريق الاطفال الآخرين، وكذلك الكبار في الأسرة أو في المدرسة. هذا السلوك السئ قد يؤدي الى شعور الطفل بعدم الامان وبالنبذ والطرد، وقد يؤثر ذلك في شعور الطفل باحترامه لذاته *Selfesteem* ويتصل بهذا الاضطراب ايضا " التبرز اللاارادي *Encopresis* ".

ان مشكلة التبول اللاارادي تعد اكثر اهمية اذا حدث هذا التبول بالنسبة للاطفال والكبار. وتقول بعض التقديرات ان هناك خمسة ملايين طفل ومراهق امريكي يعانون من ذلك. وتأخذ هذه النسبة في الانخفاض بتقدم الاطفال في العمر. في سن ٧ سنوات هناك ٢١% من الذكور، ١٥%من الاناث يعانون من ذلك. وينخفض هذا المعدل الى ٣ % للذكور، ٢% من الاناث في سن ١٤ سنة. والواقع أن معظم حالات التبول اللاارادي تكون موجودة منذ الميلاد. ويسمى " التبول اللاارادي الاولي " بينما هناك نسبة قليلة قد ترتد اليه بعد أن تكون قد تمكنت من ضبط المثانة وفي هذه الحالية يطلق عليه " التبول اللاارادي الثانوي " وهو النوع الاخير – أي الثانوي – يرتبط بالصراعات الانفعالية التي توجد لدى الطفل وهو في محيط الأسرة. فقد يرتد الاطفال

الذين هم في السن من ٣ - ٥ سنوات الى عادة بل الفراش اذا مـــا رزقـت الأســرة بمولود جديد او اعترى حياتهم نوع من الاضطراب أو القلق.

لقد تســاءل بعض العلماء عما اذا كان التبول اللاارادي ظاهرة مرضيــة، أي عرض مرض أم مجرد عادات خاطئة. وتدور معظم الآراء حول كون هـــذه العــادة السلبية ناجمة عن سوء عملية تدريب الطفل على ضبط المثانة. وجديــر بالاشــارة ان التبول اللاارادي يعد سلوكا طبيعيا في عمر معين، ويعد شــاذا في عمر آخر..

ومن الاسباب الغريبة التي تكمن وراء التبول اللاارادي ان الطفل الكبير بعـــد أن ترزق الأسرة بطفل آخر. قد يقلد الطفل الكبير الطفل الصغير فيبل فراشـه مثـــل أخيه.

وقد يحدث التبول اللاارادي في اثناء الحلم الذي يجسد للفرد أنه يقضي حاجته، فاذا به بلل فراشه، وقد تكون هذه الاحلام بالنسبة للكبار ذات طبيعة جنســـية، حيـث يسبب التبول نوعا من الاشباع الجنسي. وتتراوح معدلات التبول اللاارادي من حدوثـه في كل ليلة الى حدوثه فقط عندما يكون الطفل خاضعا لضغوط شديدة، وفي الغالب مـا يحدث بين ٢ - ٥ مرات اسبوعيا. ويوجد التبول اللاارادي بين الكبـــار بنســبة غــير معروفة على وجه الدقــة. ولكن بعض الدراسات وجدت حوالي١٢% منهم مصـــابون به. كما وجدت هذه النسبـــة بين الجنود في محطة لتدريب جنود البحرية الامريكيـــة. وقد سجلت ١ر١٦% من مجموعة مكونة من ١٠٠٠ من مراكز الاختيار في الجيــش، قرروا انهم خبروا التبول اللاارادي بعد سن الخامسة. وكان هنـــــاك ٥ر٢% خـــبروا ذلك في سن ١٨ سنة وما بعدها. وتقل نسبته بالتقدم في السن. ولا يوجد حالات تعــاني منه فيما بعد الثلاثين الا اذا كان ذلك لأسباب مرضية عضــوية.

وتقرر حالات من الاناث عانين منه حتى سن ١٤ سنة. وتقرر أم امريكية انها عانت منه حتى سن الزواج، وكانت اختها البالغة من العمر ٢٠ عاما تعاني منه ولـــم تجرؤ على المبيت خارج منزلها في هذه السن، وفقدت الالتحاق بالجامعة لهذا الســبب، وكان شقيقها في المدرسة الثانوية يبل فراشه كل ليلة. وكانت هـــذه الام تصــر علــى

أنكار أن هذه الحالة قد ترجع الى أخطاء في عملية التدريب والتعليم، وتصر على أنـها وراثية.

وقد يبدأ الطفل مشواره مع التبول اللاارادي عند اصابته بمرض حاد كالحصبة *Measles* وبعض الآباء قد يميلون الى عزو هذه العادة الى ضعف في المثانة أو في الكلى للتخلص من الشعور بالحرج والمسؤولية في التدريب.

الأسباب المؤدية للتبول اللاإرادي :

قد يرجع التبول لاسباب متعددة او بمجموعة من الاسباب المتضافرة، من ذلك المعاناة من التوتر الانفعالي الزائد ومن الصراع والقلق، وقد يحدث كنوع من الازاحة أو النقلة لاشباع جنسي يرتبط بتخيلات جنسية مكبوتة، أو يهدف الطفل من ورائه على المستوى اللاشعوري الى جذب انتباه الوالدين أو المحيطين به. وقد يرجع الى التدريب الخاطئ على قضاء هذه الحالة. أو إهمال التدريب على اتقانها او التبلد وعدم المبالاة من قبل الوالدين. ذلك القلق الذي ينتقل الى الطفل. وتكثر حالات البوال بين الذكور اكثر منها بين الاناث.

والتحكم المطلق لا يتأتى لمعظم الاطفال الا قبيل سن المدرسة.

وقد يؤدي التوتر الانفعالي او الضيق الى فقدان هذا التحكم، وتلك السيطرة. واستمرار التبول اللاارادي حتى سن المدرسة. وفي حالة غياب أية اسباب فيزيقية، فإن ذلك لابد وأن يرجع الى المشاكل الانفعالية أو النفسية، بمعنى أن وجوده يعد مؤشرا على وجود تلك الازمات الانفعالية. الطفل قد يستعمل، على المستوى اللاشعوري، عادة بل الفراش للرد على الآباء في استخدامهم نمط شديد وصارم في تأديبه أو التعامل معه أو لعدم الفهم المتبادل أو نتيجة لأية مشكلة يعاني منها الطفل تكون اكثر خطورة، مثل رفض الآباء للطفل *Parental Rejection* والحقيقة ان رد فعل الطفل للتبول، يختلف اختلافا جوهريا من طفل لآخر، فمنهم من يشعر بالعار والخجل والذنب ومنهم من لا يبالي. ولكن ذلك لا يوقف هذه الظاهرة المرضية، والبعض يتجاهل هذه الظاهرة وينكرها.

ويمكن القول بان معظم حالات التبول اللاارادي هي حالات وظيفية وليست عضوية *Functional* بمعنى أن اعضاء الجسد تكون سليمة في حين أن وظيفة المثانة عاجزة. وقد ترجع هذه الحالة الى ضعف نمو المثانة أو الاهمال في التدريب على قضاء الحاجة او للتعرض لمواقف ضاغطة كالعلاج بالمستشفى والالتحاق بالمدرسة لاول مرة وميلاد أخ جديد.

وتؤكد معظم الدراسات أن غالبية الحالات ترجع لأسباب نفسية واجتماعية وتربوية وقلة فقط من الحالات هي التي ترجع لأسباب عضوية *Organic* حيث يوجد بعض الضعف في التكوين البنائي لجهازهم البولي التناسلي *Genito-Urinary System* وكذلك قد يرجع التبول اللاارادي الى الاصابة بمرض السكر *Dilates* ويتعين فحص حالة كل طفل فحصا طبيا دقيقا للتحقق من خلوه من الاسباب العضوية قبل الشروع في العلاج النفسي. البعض يرجع تبوله لحالة التعب والارهاق الفيزيقي *Physical Exhaustion* التي يتعرض لها وخاصة اذا كان الطفل نحيفا وضعيفا وقليل الوزن. ومع ذلك يلعب كثيرا وبشدة، ولا يخصص وقتا طويلا لتناول الطعام او للراحة، ويستمر في ممارسة اللعب من الصباح الباكر حتى المساء.. وعندما تستريح عضلاته المرهقة والمتعبة وتسترخي، فان فتحة المثانة ايضا تسترخي وينساب منها البول دون أن يشعر الطفل.

وتكشف بعض الدراسات أن هناك حالات من التبول اللاارادي ترجع الى عدم نضج المثانة نضجا كافيا، وبالتالي لا تستطيع المثانة أن تحتفظ بالبول بها أو تلك الكميات التي تفرزها الكليتان *Excrete* خلال الليل. ولقد أكدت هذه الحقيقة دراسة بسيطة تم فيها توجيه الاطفال الذين يبلون فراشهم، وأولئك الذين لا يعانون من ذلك بحبس اكبر كمية ممكنة من البول، وذلك بعد أن يفرغ الجميع مثانتهم، والاحتفاظ به لأكبر وقت ممكن يستطيعه الطفل ثم يتبول في كأس مدرجة ويتم قياس حجم البول لدى المجموعتين. وقد لوحظ أن الطفل السوي احتفظ بـ ١٢ - ١٤ أوقية من البول الخالص، بينما لم يتمكن الآخرون من الاحتفاظ بأكثر من ٦ أوقيات .

ويلاحظ أطباء الاطفال *Pediatricians* أن التوتر يكمــن وراء عــادة بــل الفراش، ومن ذلك الفشل في المدرسة، والغيرة من الاخـوة والاخـوات والشــجار أو العراك *Bickering* وما أشبــه ذلك، والعادة نفسها تسبب ازعاجا للطفل وشعورا بعدم الامان.

انتشـــاره بين الصغار والكبار على حد سواء:

الحقيقة انه خلافا لما يعتقد البعض فإن التبول اللاارادي يحــدث كثــيرا بيــن الكبار، فلقد كان هناك آلاف من المجندين الامريكيين الجدد الذين تم رفض تجنيدهم فــي الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) بسبب إصابتهم بالتبول الــلاإرادي، وفــي خلال سنوات الحرب تم إعفاء أعداد قليلة من الرجال بســبب هــذه المشــكلة. ومــن الحالات الصارخة حالة لرجل في الثلاثينيــات من عمره كان ينحدر من منطقة ريفيــة ولقد حيرته وأربكتــه الحياة العسكرية، وفشل في التكيف معها، ولذلك أصيب بــالتبول اللاارادي وفي هذه الحالة، وأمثالها يكــون هــذا السـلوك النكـوص او الانتكـاص *Regressive* استجابة للضغوط التي سقطت على هذا الرجل من الحيـــاة العســكرية، ولكن هذا السلوك ارتد الى خبرات الفشل التي عانى منها في الطفولة.

اضطرابات الطفولة الأخرى :

ولكن التبول اللاارادي ليس هو الاضطراب الوحيد الــذي يصيــب الاطفــال، وإنما هناك العديد من الاضطرابات التي قد يعانون منها، من ذلك صعوبـــات النطــق والكلام مثل التهتهه واللجلجة والمشي في أثناء النوم والسلوك المضاد للمجتمع كالسرقة والهروب والتشرد والجنوح والانحرافات الجنسية، وهناك الحركة الزائدة أو اضطــراب النشاط الزائد عن الحد، وهناك اللوازم وهناك الشر أو الاقبال الزائد على تناول الطعــام أو فقدان الشهية العصبية *Bulimia Anorexia Nervosa* والوحم *Pica* .

من مشاكل الطفولة السلوكية، كذلك الهروب والهستيريا والوســواس/القــهري والفوبيا والقلق والاكتئاب والذهان والوهم وفصام الطفولة.

ترتبط كل مرحلة من مراحل النمو لدى الإنسان بنوع معين من الاضطرابات في السنوات الاولى من عمر الطفل تكون اسباب هذه الاضطرابات غير واضحة. ومن اكثر الأعراض انتشارا في مرحلة ما قبل المدرسة الفوبيا او المخاوف الشاذة اللامعقولة ونوبات المزاج الحاد والخيالات والأوهام والتبول اللاارادي والعدوان على الرفاق والصداع والقيء والامساك.

وقد يرتبط اضطراب التبول اللاإرادي باضطرابات أخرى مثل العزوف عن تناول الطعام، وهناك من لا يعتبر التبول اللاإرادي سلوكاً شاذاً الا في ضوء ثقافتنا الحالية التي تحدد الأنماط المقبولة من السلوك.

سبل الوقاية والعلاج من التبول اللاإرادي:

هناك مناهج متعددة لعلاج التبول اللاإرادي *Enuresis Nocturne* من بين هذه المناهج، العلاج السلوكي أو العلاج عن طريق التعلم الشرطي *Conditioning Treatment*.

وكذلك هناك العلاج باستخدام الأدوية والعقاقير *Drugtherapy* حيث يمكن استخدام التشريط الايجابي في تغير العادات السلوكية الحركية وكذلك في تغيير اساليب التفكير، بمعنى تعديل الاستجابات الاولية او الذاتية، ومن ذلك معالجة عادة التبول اللاارادي أي العجز عن ضبط المثانة في اثناء النوم، ويتم ذلك عن طريق تهيئة المريض للاستيقاظ من النوم عند سماع انذار معين لمجرد ان تخرج منه اول قطرة من قطرات البول *Urine* حيث يتم الارتباط بين كمية البول والاستيقاظ من النوم، ففي بداية العلاج يستيقظ الطفل على أثر سماع انذار او جرس، ويقود هذا الى نمو القدرة على كف التبول اللاارادي والاستجابة لمجرد اثارة المثانة *Bladder* في اثناء النوم. وجدير بالاشارة ان العلاج الشرطي هذا استخدم بنجاح في علاج العمال الذين لا يعملون في المصانع بصورة إيجابية فعالة. ولكي ينجح مثل هذا العلاج الشرطي لا بد من توفير نوع من المكافأة او التعزيز *Reward* بمعنى توفير المكافأة للطفل كلما أتى بالسلوك المرغوب فيه.

ويؤدي تعزيز هذا السلوك الى ثباته وميل الإنسان الى تكراره في المواقف المقبلة. ومثل هذا المنهج يفيد في علاج عادات سلوكية اخرى كثيرة منها الادمان والتدخين وفقدان الشهية والسرقة والغش والتدمير والكذب والتمرد والعصيان والثورة وكذلك علاج حالات الفوبيا أي المخاوف الشاذة.

كما يستخدم في غرس عادات ايجابية كالنظافة وحب العمل واتباع الاساليب الجيدة في مجالات العمل والإنتاج. ويستخدم منهج الاشتراط الإجرائي الأدّوي *Operant conditioning Techniques* لإزالة العادات السلوكية السيئة مثل " اللوازم العصبية " قضم الأظافر، ومص الأصابع، والحركة الزائدة، وغرس عادات جيدة وايجابية بدلاً منها، بحيث يتم تكوين نمط من السلوك الايجابي او الاستجابات الايجابية لتحل محل الاستجابات السالبة وذلك بتوفير المكافأة المادية او المعنوية على الاستجابات المرغوب فيها وحرمان الاستجابات السالبة من هذه المكافآت بل يستخدم العقاب او ما يعرف باسم " التعزيز السلبي " لوقف السلوكيات الشاذة وازالة السلوك غير المقبول دينياً واخلاقياً واجتماعياً. ولقد استخدم العلاج الشرطي السلوكي في شفاء الحالات التي كانت تعاني من فقدان الشهية العصبي *Anorexia nervosa* وهي الحالة التي تؤدي الى النحالة والضعف، وذلك بتقديم نوع من المكافأة الاجتماعية كالخروج في رحلة او صحبة الأصدقاء او الاستماع الى المذياع كلما أقبل الطفل على تناول الطعام مع سحب هذه المكافآت الاجتماعية عندما يرفض تناوله، بل لقد تم علاج بعض حالات ذهان الفصام والحالات المرضية الأخرى باتباع العلاج الشرطي وأدى هذا المنهج الى حصول تغييرات مستديمة في السلوك حتى أولئك المرضى الذين قضوا مدداً طويلة في المستشفى تراوحت بين ١٠ – ٣٠ عاماً.

العلاج السلوكي نجح في التحكم في كثير من مظاهر السلوك المرضي، وهناك عملية الكف التجريبي *Experimental Extinction* وهو عبارة عن الاضعاف التقدمي او التدريجي المستمر للعادات السلوكية السيئة او غير المرغوب فيها. من خلال تكرار انعدام او منع التعزيز لتلك الاستجابات السالبة. وعلى ذلك فالسلوك الذي تم تعزيزه بتقديم الطعام مثلاً بعد آدائه يتم اضعافه بصورة تقدمية عن طريق منع

تقديم الطعام للطفل او للمريض الكبير عامة. وبالمثل في سلوك التحاشي لا يحدث له التحاشي اذا اختفت المكافآت السالبة او التعزيز السالب أي الصدمات الكهربائية مثلاً التي يتلقاها الفرد عقب الإتيان بالسلوك السيئ. في بعض العادات السلوكية كثرة الممارسة تؤدي الى شعور الفرد بالتعب والإرهاق، وبذلك يكف عن ممارستها وهي ما يعرف في تاريخ علم النفس باسم " الممارسة السلبية " وهذه الممارسة السلبية تستخدم في الآونة الأخيرة في علاج اللوازم Tics وهي حركات عضلية او عصبية لاإرادية يجد الفرد نفسه مساقاً الى عملها مثل حركة الرقبة او رمش العين باستمرار.

ولقد وجد أن استخدام بعض العقاقير تساعد في التحكم في بعض الأعراض أو جملة الأعراض، من ذلك أنه وجد أن عقار *Tmipromine* يساعد في الشفاء من التبول اللاارادي. فلقد وجد أن هذا العقار أدى الى شفاء الاطفال بعد عدة ايام فقط من اعطاء هذا العقار في حجم ٢٥ غم، بحيث يتعاطاه الطفل من ٢ – ٣ مرات يومياً وفقاً لعمر الطفل، ولكن بعد توقف الدواء عاد التبول اللاارادي، وبعد مضي عام على تعاطي الدواء لوحظ حدوث بعض التحسن، ولكن هذا التحسن حدث في المجموعة التجريبية من الاطفال أي الذين تلقوا الدواء وحدث ايضاً في المجموعة الضابطة التي كانت متساوية معها في كل شئ، ولكنها لم تتلق الدواء. وتعرف هذه الظاهرة باسم "الشفاء التلقائي " ويوصي باستخدام الدواء في حالة عدم جدوى استخدام طريقة البطانية والجرس *The Bell and – Blanket* وهي القائمة على ايقاظ الطفل، عن طريق دق الجرس عندما تبدأ تنزل من مثانته اولى قطرات البول، حيث يؤدي البول الى توصيل دائرة كهربائية في البطانية تؤدي بدورها الى دق الجرس ومن ثم يستيقظ الطفل ويقوم ليفرغ مثانته وهو في حالة من الوعي التام.

ومن حسن الطالع ان علاج التبول اللاإرادي يمثل اولى تطبيقات مناهج العلاج النفسي الاجتماعي المؤسس على نظريات التعلم في تغيير السلوك الشاذ وفكرة العلاج تقوم على اساس أن الاستيقاظ للذهاب للمرحاض عبارة عن استجابة يتعين أن تكون مرتبطة بالمثيرات الصادرة من انتفاخ او امتلاء المثانة *Bladder distention* ولاقامة هذا الارتباط قام عالم النفس مورابر *Mower, O* في وقت مبكر يرجع الى

عام (١٩٣٨) باختراع جهاز او وضع نظام يوجد فيه حاجزان من النحاس ينفصلان عن طريق مرتبة مصنوعة من القطن، كانت موضوعة على سرير الطفل، كل حاجز كان متصلاً بأحد الاقطاب الخاصة بجرس كهربائي *Buzzer* والجرس متصل ببطارية لتشغيله وكان هذا الجهاز بسيطاً ولا يلاحظه احد ولا يسبب قلقاً لنوم الطفل او راحته بعد تغطية السرير بملاية عادية، وعندما تنزل اولى قطرات البول فان ذلك يبلل المرتبة القطنية ونفاذ البول يعمل على الموصل الكهربائي بحيث يكمل الدائرة الكهربائية بين القطبين النحاسيين. وباستكمال الدائرة الكهربائية يدق جرس قوي بحيث يوقظ الطفل من نومه وفي هذه الحالة يستطيع ان يذهب – وهو واع تماماً – الى المرحاض لقضاء حاجته. بهذه الطريقة اصبح الاستيقاظ مرتبطاً بامتلاء المثانة ويستطيع الطفل أن يتعلم في غضون عدة اسابيع ان يستيقظ للتبول قبل أن يسمع صوت الجرس.

ولقد دلت الابحاث على أن هذا الأسلوب يشفي نسبة تبلغ ثلاث حالات من كل اربع حالات في خلال مدة اقل من ١٢ اسبوعاً، ولكن سوف ينكص نحو طفل واحد من كل طفلين وعليه أن يتلقى المعالجة مرة أخرى.

أما العلاج الحيوي فيتضمن استخدام العقاقير او الأدوية ومن أشهر هذه العقاقير استعمالاً عقار *Imipramine* والعقاقير المضادة للنشاط او الحيوية الزائدة، ذلك لأن كثرة الحركة والحيوية والنشاط الزائد عن الحد طوال اليوم تجعل الطفل مرهقاً او متعباً فيغط في نوم عميق، وبذلك لا يستيقظ للتبول. ولقد أجدى هذا العلاج في ٧٥% من مجموع من تلقوه من الأطفال، ولكن يلزم الحذر التام من استخدام هذا العقار، نظراً لأن له آثار جانبيه خطيرة مثل تدمير الكبد ولا يمكن استخدامه مع هم دون سن السنوات الست.

ان هذه الحالة يسهل علاجها عن طريق وضع حدود لأنشطة الطفل وباعطائه فترة من الراحة ظهراً وتشجيعه على النوم مبكراً، ويجب أن يصاحب ذلك تكوين عادات طيبة في تناول الطعام مع تشجيع الطفل ويمكن اعطاء بعض العقاقير المسكنة *Sedatives* في الأسابيع الاولى من العلاج.. واذا ما تأكد المعالج من انه لا توجد اسباب عضوية، فان المعالجة تستهدف زيادة سعة المثانة او زيادة قدرتها

وامتدادها، حيث يشجع الطفل على الاحتفاظ ببوله لأطول وقت ممكن في اثناء النـــهار وعندما يلاحظ الطفل وجود زيادة متكررة في كمية البول التي نجح في الاحتفاظ بـــها، فانه يكون امام تقدم فعلي وواقعي حدث في قدراته وبذلك يشعر بالتشجيع وبالثقـــة فـــي ذاته وذلك بالدليل المادي ومنهج توسيع سعة المثانة هذا يحقق نجاحاً ملحوظاً.

ان عقاب الطفل وجره للنكد وتوبيخه ومعايرته لا تفعل شـــيئاً ســـوى تفـــاقم الحالة..

هناك حاجة ملحة لتعديل اتجاهات الناس العقلية نحو هذه العادة ونحو اســـاليبهم في تنشـــة الطفل وتدريبـــه على مختلف الانشطة الايجابية لحمايته من الشعور بـــالاثم والخجل والعار والخزي.

ويعد منهج علاج التبول اللاارادي الذي ابتكره مورايـــر ١٩٣٨ منـــهجاً فـــي الاشتراط الايجابي *Positive Conditioning* ينظر للطفل المتبول على انه فشل فـــي تعلم الاستجابة الشرطية لامتلاء المثانة، وعلى ذلك يمكن العلاج في ازالــــة او محـــو السلوك السلبي عن طريق الاشتراط او التشريط أي التعلم الشرطي وتقنياتــــه، وكـــان الهدف من العلاج توفير نوع من المثير يحدث مع امتـــلاء المثانـــة بـــالبول وربطـــه باستجابة اليقظـــة، وبعد فترة من التدريب الايجابي يتعلم الطفل او الكبير اليقظة عـــن طريق الاحساس *Sensation* بامتلاء المثانة قبل أن يتم تفريغها. عندما تصل المثانـــة الى " عتبة " التفريغ او نقطة التفريغ يستيقظ الطفل دون تجاوزهـــا اذا اتســـعت ســـعة المثانة بما يكفي لما تفرزه الكلى من بول اثناء الليل، فقد لا يحتاج الطفل الـــى التبـــول الارادي او اللاارادي ومن ثم فلا يستيقظ، وينعم بنوم طوال ليلته. ولقد تبين ان الطفـــل يكف عن بل فراشه بعد ١٤ معالجة بهذا المنهج، ولكن هناك بعض حالات النكســـة أي العودة للعادة السالبة.

ولقد وجد أن اقتران هذا المنهج في المعالجة مع نـــوع او آخـــر مـــن انـــواع التعزيز او المكافأة يساعد في تدعيم نتائج هذه المعالجات. وفي جميع الحالات يتطلـــب شفاء الطفل تحمل الآباء والأمهات جهداً كبيراً جداً، من ذلك الاســـتيقاظ عـــدة مـــرات لاعادة فرش السرير بالملابس الجافة وإيقاظ الطفل وتشغيل الجهاز، ولتقصـــير فـــترة

العلاج والمتاعب الملقاة على الآبـــاء، اقترح بعض العلماء الاستعانة ببعـــض الادويـــة لتدعيم عملية التعلم الشرطي منها عقار *Dexedrine* وعقار *Methedrine* وفي هـــذه الحالة بلغت نسبـــة الشفاء ٩٠%.

الهدي الإسلامي الخالد في مجال المحافظة على الصحة النفسية والفطـــرة السوية:

اذا كان التبول اللاإرادي يرجع الى غيرة الأخ الأكبر من شقيقه الأصغر عندما ينضم هذا الصغير لعضوية الأسرة وعندما لا تتوخى الأسرة العدالة في توزيـــع حبـــها وعطفها وحنانها ودفئها ورعـــايتها على جميع الاخوة وعندما توجه كـــل اهتمامـــها " للوافد الجـــديد " فان اسلامنا الخالد يعلمنا أن نعدل في التعامل مع الأولاد وأن نعاملهم على قدم المساواة عطفاً وحباً وعطاء. فلقد جاء الهدي النبوي المطهر في باب كراهيـــة تفضيل الوالد بعض اولاده على بعضهم في الهبة ونقول في كل الامور. فعن النعمـــان ابن بشير رضي الله عنهما : ان آباه اتى رسول اللهﷺ : فقال اني فحلـــت ابنـــي هـــذا غلاماً كان لي، فقال الرسول ﷺ : أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال : لا. فقال رســـول الله ﷺ: فأرجعه . وفي رواية اخرى فقال رسول اللهﷺ : أفعلت هذا بولـــدك كلـــهم ؟ قال: لا . قال اتقوا الله واعدلوا في اولادكم، فرجع الى، فرد تلك الصدقة. وفي روايـــة فقال رسول الله ﷺ : يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ فقال نعم. قال : أكلهم وهبت له مثـــل هذا ؟ قال: لا . قال : فلا تشهدني اذاً فاني لا أشهد على جور. وفي رواية اخرى أشهد على هذا غيري ، ثم قال : أيسرك أن يكونوا اليك في البر سواء، قال : بلى، قال : فـــلا اذا. " متفق عليه ".

واذا كان التبول اللاإرادي وغيره من الاضطرابات النفسية التي تصيب الاطفـــال تقـــع بسبب شعور الطفل بالتوتر والقلق والصراع والانفعال والحرمـــان والقســـوة والشـــدة والغلظة او النبذ والاهمال، فان إسلامنـــا الخالد يحض على ملاطفـــة اليتيـــم والبنـــات وسائر الضعفاء والمساكيـــن والمنكسرين والاحسان اليهم والشفقة عليهم والتواضع فـــي التعامل معهم، كما في قوله تعالى : ﴿ فأما اليتيـــم فلا تقهر وأما السائـــل فلا تنهـــر﴾

(الضحى ٩) وفي هذا الهدي البليغ يقول النبي ﷺ : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكـــذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما " (البخاري).

وحفاظاً على كيان الأسرة المسلمة يقول الرسولﷺ : الساعي علـــى الأرملـــة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الـــذي لا يفطر ".

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت امرأة ومعها ابنتان لها تســـأل فلـــم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: من ابتلى من هذه البنـــات بـــشيء فأحسن اليهن، كُنَّ له ستراً من النار " (متفق عليه).

وفي الهدي إلى النفقة على العيال جاء فُي الهدى القرآني الكريم ما يجعل الاب مسؤولاً عن إعالة أبنائه﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾. وفي مجـــال الحث على النفقة على العيال يقول الحديث النبوي المطهر : " دينار أنفقته فـــي ســـبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلـــك، أعظمها أجراً الذي أنفقتـــه على أهلك " (مسلم).

سيكولوجيـــة الاغتصـــاب

في هذا المقال معالجة لجريمة الاغتصاب مـــن الناحيـــة النفســـية.. جريمـــة الاغتصاب عبارة عن ممارسة الجنس او الاتصال الجنســـي بـــالقوة ودون موافقـــة الطرف الآخر.

Sexual intercourse that is forced upon a person, which takes place without the person's consent

وتتدخل عوامل نفسية كثيرة في فعل الاغتصاب هـــذا. حيـــث تتضمـــن هـــذه الجريمة قسر الرجل المرأة على الجماع، إشباعا لغرائز الرجل الجنسية والعدوانية، فـــي حين تشعر المرأة بالإذلال والمهانة والاعتداء. ومن ذلك فقد تبلغ المرأة اللذة الجنســـية

في قليل من الحالات. ويختلف الاغتصاب عن هتك العرض، اذ تقوم جريمة هتك العرض من مجرد لمس أي جزء من جسم المرأة، بينما يعني الاغتصاب الجماع الجنسي والاتصال الجنسي بالمرأة دون رضاها، والاغتصاب يختلف عن مجرد خطف المرأة أو الأنثى عموماً. (د. احمد زكي بدوي، ص ٣٤٥).

إذا كان هناك بعض الانحرافات الجنسية *Sexual deviations* التي لا تسبب أذى مباشراً للإنسان، فإن انحراف السادية *Sadism* والاغتصاب تسببان الأذى للضحية. الانحرافات الجنسية مثل الجنسية المثلية *Homosexuality* والتشبه بالجنس الآخر *Transvestites* تتصف باللاأخلاقية وبُعدها عن الذوق السليم والفطرة السوية وعن قيم ومبادئ المجتمع.

وهناك انحرافات أخرى كالتلصص الجنسي *Voyeurism* والاستعراض الجنسي *Exhibitionism* وهناك بعض الانحرافات الجنسية التي تشكل جريمة خطيرة والتي تسبب الاذى البدني للضحية، بل قد تودي بحياتها، ومن الانحرافات الجنسية الأقل خطورة حب الأثر او التعلق الجنسي بالأثر *Fetishism* ولكن هذا الانحراف قد يرتبط بالجريمة حين يدفع صاحبه الى سرقة متعلقات النساء كالملابس الداخلية او الأحذية وما الى ذلك عوضاً عن الأنثى نفسها. وقد يلجأ المصاب الى قص شعر النساء دون علمهم. ومن الانحرافات كذلك الهيام بالحيوانات *Pedophilia* ومن الجرائم ذات الاثر النفسي ممارسة الجنس مع المحارم *Incest* وكلها تنم عن شذوذ مقترفها.

أما الاغتصاب فيترك اثاراً مؤذية للضحية، فقد تعاني الضحية لعدة شهور بعد الهجوم عليها مع حدوث اضطراب في حياتها، غالبية جرائم الاغتصاب تقع على النساء الراشدات، ولكن هناك نسبة قليلة تقع على الرجال. وتحدث جرائم الاغتصاب في كل مجتمعات العالم، حتى في مجتمع متقدم كالمجتمع الأمريكي، تدل الإحصاءات الصادرة عنه أن هناك أكثر من ٢٤ ألف تم القبض عليهم بتهمة الاغتصاب، وذلك في عام واحد. ولكن الخبراء، في هذا المجال يقولون أن هذا الرقم اقل بكثير من الرقم الحقيقي أو الواقعي. تقول السلطات المسؤولة عن تطبيق القانون ان هذا العدد لا يمثل الا واحداً من كل عشر حالات من حالات الاغتصاب، حيث لا يسجل الا عشر

الحالات.. ويرجع عزوف الضحايا عن الإبلاغ عن وقوع الاعتـــداء عليـــهم للخجـــل والحياء والخوف والشعور بالذنب. ويزداد هذا الشعور في مجتمع شـــرقي ولا شـــك. وقضايا الاغتصاب من القضايا التي يصعب إثبات الاتهام فيها فـــي المحـــاكم. فعلـــى الضحية أن توضح انه تم اغتصابها بالقوة والقهر وأنها قد قاومت المعتدي. وعليـــها ان توضح أنها قاومت بالفعل وأن آثار المقاومة ظاهرة على جسدها في شـــكل إصابـــات وكدمات وتمزقات، والا افترضت المحكمة حدوث موافقتها على الفعل الجنسي، كذلـــك فان الدعوى، في إطار المحاكم الأمريكية قد تسير ضدها إذا استطاع محـــامي المتـــهم *Defendant's attosney* أن يشكك في أخلاقياتها أو أن لها خبرات مماثلـــة، وذلـــك أمام جماعة المحلفين *Jusy* ولكن هذا الاتجاه المضاد للضحية قد تغـــير نســـبياً أمـــام المحاكم الأمريكية في هذه الأيام. ولم تعد الضحية تشعر أنها هي التي تحـــاكم ولكـــن الإدانة *Convictions* ما زالت نادرة الحدوث.

لقد تم استجواب عدد من هذه الضحايا فور دخولهن احد المستشفيات الأمريكية، وتبين أن عدداً قليلاً منهن تم تحويل قضيته الى المحاكمة. ويرجع ذلك الى عدم وعـــي المجتمع واهتمامه الواجب بقضية الاغتصاب. في حين إنها مشـــكلة أمنيـــة وأخلاقيـــة ونفسية ودينيـــة بالغة الخطورة من هنا اقتضى الاهتمام بخطورتها.

وضرورة العمل على تفاديها وردع مرتكبيها تحقيقا للأمن العام والأمن النفســي والاجتماعي وصوناً للأعراض والقيم والمثل الرفيعة. وجريمة الاغتصاب تعطـــى لاول وهلة الانطباع أن المتهم يهتم بالجنس، ولكنها في واقع الحال عبارة عن فعل عدوانـــي صرف *An Aggressive Act* فهي عدوان اكثر من مجرد كونها نشاطاً جنسيـــاً شـــاذاً ومرفوضاً من قبل المجتمع ومن وجهة نظر القانون المعتـــدي او المتـــهم *Assailant* يستخدم الجنس فقط للتحكم والسيطرة وللحط من قدر وإهانة الضحية وإيذائـــها. وليـــس الهدف النفسي هو الجنس في حد ذاته وبالطبع لا توجد عاطفة ولا حب في هذا النشـــاط الإجرامي والضار العنيف. بل في الواقع قد لا يكون هناك أية مشـــاعر بـــاللذة لـــدى المعتدي وهذه الحقيقة عبر عنها نسبة كبيرة من المتهمين الذين تم استجوابهم.

لقد كشفت الدراسات التي أجريت على مجرمي الاغتصاب ان الغالبية الإحصائية العظمى منهم (٧٥% من مجموعهم) مارسوا نوعاً من الخلط الوظيفي او الاضطراب الوظيفي الجنسي *Dysfunction* في أثناء عملية الاعتداء.

فالاغتصاب ان هو الا ضرب من ضروب الشذوذ الجنسي *Assaults* والعدوان المادي على الضحية، بل أن كثرة غالبية ممن مارسوه كانوا من العجزة جنسياً ولذلك اجبروا ضحاياتهم على ممارسة الجنس معهم عن طريق الفم *Oral Sex* والبعض يعجز عن إتمام عملية القذف *Ejaculate* وهو اضطراب لا يحدث كثيراً للأسوياء من الرجال، هذه الحالة وجدت عند ١٥% من مجموع مجرمي الاغتصاب. واذا حدث قذف فيكون سريعاً ومبكراً. المغتصبون يقررون أنهم لم يشعروا بالإشباع *Gratification* بل انهم وصفوا أنفسهم بالاكتئاب وبخيبة الأمل والفشل والإحباط وبالقرف والتقزز، مما يؤكد ان الاغتصاب حالة مرضية واضطراب نفسي أو عقلي في جوهره. وحتى في حالة الإدانة فان العقوبة توقع على جرائم أخرى أخف من جريمة الاغتصاب ذاتها.

المنهج المتبع في دراسة حالات الاغتصاب باستجواب الضحية واستجواب المتهم والتعرف على أهدافه من عملية الاغتصاب ومشاعره أثنائها وحالته العقلية والنفسية العامة، ومعظم المتهمين يقررون أنهم لم يشعروا بأية لذة على الإطلاق.

ولكن، في معظم حالات الاعتداء، يبدو العنصر العدواني في عملية الاغتصاب وتنحدر العملية الى العنف الشديد. وقد ينتهي هذا العنف بقتل الضحية. ويطلق على هذا النمط من الاغتصاب " الاغتصاب السادي " او " المغتصب السادي *Sadistive rasfigt* " إذ لا تأتيه أية متعة او لذه إلا من خلال إلحاق الألم والمعاناة بالضحية. ويشبه ذلك انحراف الهيام بالأطفال *Pedophiliacs* حيث يتخذ السادي من طفل ما ضحية له إذ يستعمله ويسيء استعماله جنسياً ثم أخيراً يقتله.

وفي عمليات التحقيق، عندما تدلي الضحية بأوصاف المتهم، فإن الفناء الشرعي *Porensic artist* يستطيع أن يرسم صورة له تساعد في القبض عليه. وتؤكد معظم الدراسات الميدانية التي تناولت حالات الاغتصاب بأنه نوع من العدوان اكثر من كونه

عملاً جنسياً. وتجري الدراسات التي تعقد المقارنات بين الأسوياء وبين المغتصبين لبيان وجه الفرق بينهما. كما تستخدم المجموعات التجريبية والمجموعات الضابطة في هذا الشأن وللتدليل على ان المغتصب يستمتع بالعنف اكثر مما يستمتع بالجنس نفسه.

ولقد قامت دراسة بعرض تسجيلات صوتية على بعض المتهمين وتضمنت بعض هذه التسجيلات الصوتية وصفاً لحالة اغتصاب وأخرى لحالات الاعتداء، وشعر المرضى باللذة في حالة الاعتداء. أما الحالات السوية فلم تستجب باللذة إلا لسماع حالات الاتصال الجنسي المتبادل، ولم يشعروا بإثارة تذكر عندما طلب منهم أن يتخيلوا أنهم يقومون بالاعتداء على امرأة. يشعر المريض باللذة حتى عندما يشاهد رجلاً يضرب امرأة أخرى دون أن يغتصبها فمصدر اللذة هو الاعتداء والضرب والأذى. وهناك حالات تبلغ من الشذوذ حداً خطيراً في إيذاء الضحية والاعتداء عليها كالعض والضرب بالحزام، والحرق بأعقاب السجائر، ونزع شعرهن بالقوة والإرغام على ممارسة الجنس شرجاً. مثل هذا المتهم لم يشعر إطلاقا بأية متعة من مشاهدة الحالات الطبيعية. فجريمة الاغتصاب جريمة يرتكبها شاذ جنسياً، ولكنه في كامل قواه العقلية. ولذلك لا يعفى من المسؤولية الجنائية التي يعفى منها المصاب بالجنون، والذهان العقلي كذهان الاضطهاد والهوس والاكتئاب.

الدراسات التي أجريت على جماعات من مرتكبي جريمة الاغتصاب

تتم في العادة دراسة الذين تم اغتصابهم وخاصة من الاطفال وكذلك دراسة مرتكبي جرائم الاعتداء.

ويحتاج الضحايا لكثير من الاهتمام لاعادة ثقتهم في قدرتهم الجنسية. وتكشف الدراسات على أن المغتصبين ينحدرون من اسر تعاني من القلق والضغط والصراعات. أسرة المغتصب ليست سوية، ولم تفلح في تقديم جو اسري وافي للطفل. ولقد تبين أن المغتصب ، وهو الطفل، كان مهملاً ومهجوراً ومنبوذاً أو مطروداً من قبل الوالدين. ولم يكن مقبولاً ولم ينعم بالدفء والحب والعطف والقبول الوالدي. وكان

يعاني من القسوة والعنف وقلة الرحمة في التعامل معه او التعامل معه بوحشية ولذلـــك كانت الحكمة من الدعوة للتعامل مع الاطفال بالحسنى وبالتوسط والاعتـــدال. ومعظـــم الحالات كانت قد فقدت احد الوالدين في مرحلة الطفولة او مرحلة المراهقـــة وبالتـــالي كانت محرومة من الرعاية والإشراف الوالدي. ويصبح الهجوم على النــــساء أســـوأ أنماط التعويض بالنسبة لهم *Compensation* . فنحن أمام حيلة مـــن حيـــل الدفـــاع اللاشعورية وهي التعويض عن مشاعر النقص والدونية وعدم المواءمة والضعف.

تصنيف مجرمي الاغتصـــاب

يمكن من الناحية النفسية تصنيف مجرمي الاغتصاب الى الفئات الثلاث الآتية:

١ – النمط الاول هو ما يعرف باسم اغتصاب القوة *Power Rape*

في هذا النمط من الانحراف يسعى الشخص الشاذ الى ممارســـة قدرتـــه علـــى التسلط والسيطرة والتحكم في الضحية. ويظهر من خلال هذا السلوك حالـــة الحصـــر عنده او القلق *Anxiety* او حالة العجز والضعف الجنسي *Competence* وقد يســـأل المغتصب الضحية عما إذا كانت قد تمتعت معه من عدمه مقارنة بزوجها؟! وقد يسعى لعقد لقاء آخر او الى اخذ الضحية الى العشاء في الخارج. انه يحاول أن يؤكد لنفســـه انه، على الرغم من انه اغتصب ضحيته بالقوة وتغلب عليها، إلا أنها انتهت بالإعجـــاب "بقوته " وبمهاراته، لدرجة أنها ترغب في اللقاء الجنسي معه مرة أخرى. وهي حالـــة غير صحيحة وشعور زائف لديه. ويقع ضمن الأوهام التي تعتريـــه.

٢ – النمط الثاني من الاغتصاب هو اغتصاب الغضب *Anger Rape*

في هذا النمط يحاول المتهم أن يستولي على الضحية، أو يقبض عليـــها، لكـــن يصرف او يفرغ أو يظهر عدوانه المتراكم والمترسب نحو النســـاء بصفـــة عامـــة .. وخلافا لما هو عليه الحال في النمط الاول : نمط اغتصاب القوة الذي يميل أن يكـــون مخططا من قبل، فان اغتصاب الغضب يغلب عليه أن يكون اندفاعياً *Impulsive*.

بعض الحالات أثارت صراعات المغتصب الكامنة نحو النساء، وهنـــا تصبـــح الضحية الرمز الذي يقع عليه العدوان لمجرد مرورها او بمجرد الصدفة البحتة. فـــهي

الشخص سيئ الحظ الذي مر من هنا عندما كان المغتصب ثائراً في غضبه. ودراسة تاريخ هذه الحالات توضح أن هناك حالات هجرته آلام في الطفولة الباكرة ولم يكن والده عطوفاً او محباً له، مثل هذا الرجل وصف ضحيته بأنها كانت "مومس " وينصح غيره بعدم الثقة في النساء .. وتروى بعض الحالات أحوالاً شاذة أخرى كمحاولة آلام إغواء ابنها الشاب مما يدخل ضمن زنا الأقارب مما يسبب له كثيراً من مشاعر الألم. وكان الشعور الغالب لدى مثل هؤلاء المغتصبين هو العداوة حيال النساء والشك والريبة فيهن.

هذه الطفولة غير المتكيفة والمليئة بخبرات الفشل والإحباط والحرمان والإهمال والنبذ والطرد او الشذوذ، تظل خبراتها باقية كما هو الحال في حالة شاب أمريكي عانى من مثل هذا، ثم تزوج وذهب الى الاشتراك في الحرب الفيتنامية وعاد منها والتحق بالجامعة وفيها تصادف حضوره محاضرة لأستاذة سيدة في علم التاريخ، حيث دار بينه وبينها مناقشات حادة وعنيفة عن وجهة نظره في حرب فيتنام، فترك قاعة الدرس وانصرف، وكان قد تناول قبل دخوله قدراً من الخمر، خرج مسرعاً وذهب لحانة، حيث احتسى مزيداً من الخمر، ثم خرج لكي يقود سيارته وفي هذه الأثناء شاهد سيده تذهب لأخذ سيارتها هي الأخرى. ولقد تصور أن الأستاذة إنما كانت تهاجمه وتثير ضده كل قاعة الدرس ولقد وجد سيدة كبيرة في السن تشرع في ركوب سيارتها فامسك بزورها وجذبها بعنف ولكمها عدة لكمات واوقعها أرضاً ومزق ثيابها واغتصبها.

ولقد ذكر هذا الرجل ان هذه السيدة كانت تركب سيارة من نفس نوع سيارة والدته. وواضح من تحليل هذه الجريمة ان الدافع هو الانتقام والغضب والعداوة تجاه النساء .

٣- النمط الثالث وهو نمط نادر الحدوث، وهو الاغتصاب السادي وليس الجنس في ذاته *Sadistic Rape*

وفي هذا النمط من الشذوذ يجتمع العنصران : القوة والعدوان معا. ليكونا نمطاً واحداً في هذا النمط، كما كان في نمط الغضب، فان الغضب من هذا النوع يشك في

النساء ولا يثق فيهن ويكرههن، ولكنه يشعر بالتقزز والاشمئزاز اكثر من الأنماط الاخرى. والمغتصب السادي يختار ضحاياه من نوعية معينة، ولذلك قد يعمد الى مراقبة الضحية لفترة من الزمن قبل الهجوم والاعتداء عليها. فهو يختار ضحاياه من بين الصغار والنحاف والشقراوات واللائي يرتدين الملابس ذات اللون الأزرق. لا يستهدف المغتصب السادي التأكيد لنفسه عن قوته الجنسية ولا يرغب أن تشعر الضحية بالمتعة، وإنما بالألم. بل انه يسعى لرد الألم الذي شعر به من النساء رده اليهن، انه يستدرّ اللذة من السيطرة على ضحيته ومن مشاهدتها وهي تتألم وتعاني وتقاسي.

هذه النتائج المستمدة من الدراسات التي أجريت على المغتصبين وضحاياهم مع بيان المنهج أو الكيفية التي تمت بها مثل هذه الدراسات. ولكن إجراء البحوث والدراسات الميدانية النفسية والعقلية والاجتماعية والأنثروبولوجية والطبية، هي لمعرفة المزيد عن هذه الفئة من المجرمين وعن دوافعهم وسمات شخصياتهم وخلفياتهم الأسرية والاجتماعية، وسبل تنشئتهم تلك التي تقود الى الشذوذ والجنوح والانحراف. وينطبق هذا العجز في المعلومات على كل مظاهر الشذوذ الجنسية.

لماذا يجنح البعض الى الشذوذ او الاغتصاب او الهيام بالأطفال ممن عانوا في طفولتهم تجارب شاذة كالحرمان *Deprivation* وإساءة الاستعمال في سنوات الطفولة، بينما لا يجنح الى هذا الغالبية التي عانت من ذات التجربة.

الاغتصاب، ولا شك، يقع ضمن السلوك الإجرامي لأنه عبارة عن هدر للقانون والشرع والقيم الاجتماعية فضلا عن إلحاق الأذى والضرر والألم والجرح للضحايا من النساء والأطفال. هذا النمط من السلوك الإجرامي يتضمن إلحاق الأذى الجسدي بالضحية، بينما هناك أنماط أخرى من الجرائم لا يستهدف المجرم إلحاق الأذى البدني بالضحية. من ذلك جرائم إصدار الشيك بدون رصيد او السرقة من المحلات التجارية او سرقة السيارات.

وبعض جرائم أصحاب الياقات البيضاء لا تتضمن إلحاق الأذى البدني بالمجني عليهم، من ذلك جرائم الرشوة والاختلاس *Embezzlement And Bribery*

وهذه جرائم يتم ارتكابها تحت ظروف شديدة من الضغط، كذلك نقترح إجراء دراسات تتناول التغيرات والظروف والملابسات والأحوال التي تعرض لها المسجون قبل ارتكابه الجريمة. ويمكن امتداد الدراسة للسؤال عن أحوالهم بعد ارتكاب الجريمة. ولقد تبين انهم عانوا في العام السابق على ارتكاب الجريمة ضغوطاً شديدة جداً تحدث الجريمة بعد تراكم لأحداث الحياة الضاغطة. فكما أن هناك أنماطاً مختلفة من المجرمين، هناك أيضاً العديد من العوامل المتداخلة والمتشابكة والمتفاعلة التي تكمن وراء ارتكاب الجريمة وخاصة الجريمة الشاذة. ويندرج ذلك تحت التفسير العام للمرض والجنوح والجريمة وهو عدم الأخذ بعامل سببي واحد وانما مجموعة متفاعلة متداخلة من العوامل الوراثية والبيئية والولادية التي تتفاعل فيما بينها وينتج عنها السلوك السوي او الشاذ.

تنميـــة السمات والقدرات الإبداعيـــة :

- هل في الإمكان تنمية الذكاء الإنساني؟
- دور التربية العربيـــة المســتقبلية فـــي تنميـــة المهارات الإبداعية في الطالب العربي.
- تنمية السمات الابداعية.
- حماية الإسلام لشخصية المسلم.
- الآثار النفسية للمبادئ الإسلامية.



هل في الإمكان تنمية الذكــاء الإنساني ؟

تسعى المجتمعات، في مختلف العصــور والحقــب لتنميــة قــدرات أفرادهــا ومواهبهم واستعداداتهم وميولهم وتزكية مشاعرهم الإنسانية النبيلة وحســـهم الوطنـــي والقومي والروحي وتغرس في وجدانهم القيم والمثل العليا والمبادئ الأخلاقيـــة وآداب السلوك الرفيع.

واذا كانت تنمية مواهب الناس هدفاً منشوداً في كل حين، فإنـــه يصبـــح اكـــثر ضرورة وإلحاحا في عصر يأخذ فيه المجتمع على عاتقه النـــهوض بحركـــة التنميـــة الشاملة اقتصاديا واجتماعياً وبشرياً. واذا سلمنا بأن الثروة البشرية هي أغلى الـــثروات وأثمنها وأكثرها أهمية كان لابد من توجيه جل الاهتمام للعنصـــر البشـــري وتوفـــير الرعاية الشمولية له، فيغنى بجسده وعقله ونفسه وروحه وحسه ووجدانـــــه وضمـــيره الخلقي وشعوره الوطني. وإذا كان الإنسان هو عصب الـــثروات فـــي هـــذا العصـــر وأغلاها وأثمنها وأكثرها قيمة، فإن عقله بالذات او ذكاءه يحتل حجر الزاوية في ظـــل الاهتمامات، ويتعين أن تكون له الصدارة في مضمار الرعايـــة والاهتمـــام والتربيـــة والتنمية والصقل والتهذيب والتوجيه في المسارات الصالحة والنافعة والمثمرة، وبحيـــث يسير في اتجاه العلم والخلق والإبداع والابتكار والإنتاج بدلاً من الجنوح أو الانحراف. فذكاء الأمة أحد ثرواتها القومية الغالية التي يتعين استثمارها ممثلة في عقـــول أبنـــاء الأمة وذكائهم. وغني عن البيان أن المجتمعات المتقدمة إنما أحرزت تقدمها ونهوضـــها ووصلت الى ما وصلت إليه من الثراء والقوة بفضـــــل عقـــول علمائـــها ومنجزاتـــهم واستكشـــافاتهم في مجال الخير والنفع الإنساني لا فـــــي مجـــال الدمـــار والتخريـــب والحرب ولذلك تعالت الدعوات باستخدام العلم فـــي الأغـــراض الإنســـانية الإيجابيـــة والنافعة من ذلك عدم استخدام الذرة في الأغراض الإنسانية.

وقد تطلب ذلك وضع معايير خلقية تضبط العمل العلمي وتوجهه الوجه الصالحـــة وذلك حتى لا يعاني المجتمع من وجود فجوة سحيقة بين التقدم العلمي او التقني وبيـــن التقدم المعنوي او الخلقي المفروض أن يواكب التقدم العلمي ويصاحبه ويضبطه.

إذا كانت حضارة الإنسان قديمها وحديثها وعبر تاريخها الطويل وليدة تلك القوة او تلك الهبة الغالية التي وضعها الله تعالى في الإنسان وهي الذكاء، فإننا نتساءل عما إذا كان في الإمكان تنمية هذا الذكاء وصقله وازدهاره والعمل على حسن استثماره وهل يقع هذا في دائرة اقتدار العلم الحديث أو أن الذكاء مسألة فطرية موروثة يولد الإنسان مزوداً بقدر محدد منه ينتقل إليه عبر ناقلات الوراثة او الجينات من الآباء والأمهات والأجداد، بمعنى إن ذكاء الإنسان تحدده وترسم معالمه عوامل وراثية لا دخل له فيها وليس من المستطاع تعديلها فإذا سلمنا بأن الذكاء مسألة فطرية وراثية يولد الإنسان مزودا بها، فإننا نقف مكتوفي الأيدي أمام ما يولد به الإنسان من ذكاء لا نستطيع تنميته او تعديله ونسد بذلك الطريق أمام العلم واجتهاداته. ومن سمات العلم انه طموح لا يعرف السكون عند نقطة معينة بل من سماته الديناميكية التحرك والتغير والتفاعل والتجدد المستثمر.

في هذا الصدد ينقسم علماء النفس الى فريقين فريق يدعي وراثية الذكاء ومن ثم تحديد كمه وكيفه في الفرد منذ الميلاد. ويدعم هذا الفريق آراءه بما يلاحظ من وجود تشابه بين ذكاء الآباء والأمهات وذكاء أبنائهم يعبر عن ذلك علميا وإحصائيا بوجود معاملات ارتباط عالية بين ذكاء الآباء والأبناء. ويؤيد الاتجاه الوراثي هذا أيضا ما يلاحظ من اختلاف درجة التشابه في ذكاء الناس تبعا لاختلاف درجة القرابة أو صلة الدم، فالتشابه أقوى ما يكون بين الآباء والأبناء وتقل درجة التشابه كلما تباعدت درجة القرابة.

أما دعاة البيئة فيحاجون بالقول بأن هناك بعض العوامل البيئية المكتسبة التي قد تؤثر في الذكاء سلبا أو إيجابيا من ذلك توفر التغذية الجيدة وما يلزم للطفل من الأملاح والفيتامينات والمعادن، توفير الرعاية الصحية والتحصينات المختلفة ضد الأمراض والأوبئة وخاصة الحميات وكذلك توفير نوع جيد من التربية في دور الحضانة والتعليم الأساسي وما يوجد فيها من المكتبات والمجلات والصحف وإجراء التجارب والملاحظات والمشاهدات والقيام بالزيارات والرحلات وغير ذلك يقدح ذكاء الطفل ويتحداه ويثيره ويحركه ويحفزه بل إن مجرد جلوس الأب مع ابنه لبعض الوقت

وجد أنه يؤدي الى حصول ارتفاع وإن كان طفيفاً في نسبة ذكاء الطفل. كذلك وجد أن التربيت على جسم الطفل وأشعاره بالحب والدفء والعطف والحنان والرعاية والاهتمام يحفز ذكاءه ويوقده.

إضافة إلى حماية الطفل من الحوادث والإصابات والعدوى وتعرضه للنبذ والطرد والإهمال والتوتر والقسوة والانفعال وجد أن كل ذلك يؤثر على وظائفه الذهنية.

والحقيقة اننا لا نستطيع أن ننكر أثر الوراثة بأية حال من الأحوال بل إن الذكاء، في جوهره، قدرة فطرية موروثة، وإن كان ذلك لا يمنع من تدخل العوامل البيئية في تنميته ولو بقدر محدود. فالبيئة مهما تحسنت لا تستطيع أن تصنع من العدم ولا تستطيع أن تحيل الأقزام إلى عمالقة او الأبيض إلى الأسود أو الأبله إلى العبقرية لابد أذن من وجود البذور او الجذور أو الأصول أو الأسس والاستعدادات العامة أو المواد الخام التي لا تتولاها البيئة بالصقل والتنمية والرعاية وحسن التشكيل فتجعل الوراثة تعطي وتظهر احسن ما عندها وتستخرج كل ما في باطنها بل تتدخل البيئة في مبلغ استثمار وتوظيف واستخدام ما لدينا من ذكاء. فالبيئة بما فيها من الصحبة السوية والتعليم الجيد والمنزل الصالح والتغذية الصحية والوقاية والتحصين.. تتدخل البيئة المادية والاجتماعية فتحدد المسار الذي يتخذه الذكاء، فإما الى الخير والنفع والصالح العام والتفوق في العلم والاختراع وأما التفوق في الجريمة والانحراف. فالبيئة الصالحة هي التي تساعد على الاستثمار الأمثل لقوانا الطبيعية وتؤدي الى ازدهار الذكاء وتقدمه ونموه او طمسه وضموره واضمحلاله وتضآله او انحرافه عن جادة الصواب.

ويعبر عن هذه العلاقة الوثيقة بين البيئة والوراثة بقولنا إن الإنسان هو ابن البيئة والوراثة معاً؛ بمعنى انه محصلة التفاعل أي التأثير والتأثر بين البيئة والوراثة. فلا بد من الاهتمام بكليهما ويعبر عن العلاقة بين العوامل التي تؤثر في الإنسان والتي تؤدي الى تكوين الشخصية او الكائن الحي بالمعادلة التي تقوم على أساس وجود عوامل البيئة وعوامل وراثية ثم عوامل ميلادية وهي تلك العوامل التي لا

تعتبر وراثية ولا تعد في نفس الوقت من العوامل البيئة لأنها ليست مكتسبة من جــراء احتكاك الفرد وتفاعله مع البيئة المحيطة به، وهي أيضاً ليست وراثية من حيث أنها لــم تنقل إلينا عبر ناقلات الوراثة أو الجينات من الآباء والأجداد .

هذه العوامل تتمثل في صدمات الميلاد التي قد تؤدي الى تشوه دمـــاغ الفــرد وتدمير عدد من خلاياه العصبية ومن ذلك أيضاً ما تتعــرض لــه الأم الحــامل مــن صعوبات كالإصابة ببعض الأمراض من أخصها الحصبة الألمانيــة أو الحميــات أو تعاطي الأم الحامل للخمور والمخدرات وبعض العقــاقير أو تعرضــها للإشــعاع أو السموم أو الأبخرة الضارة أو تعرضها لحالات حــادة مــن الانفعــال أو الإدمــان أو التدخين أو التعرض للحوادث والإصابات من ممارسات الرياضات العنيفة أو اختــلاف فصيلة دم الأم والأب أو تعرض الطفل للاختناق أو التسمم الناتج من فقدان الأكســجين في الدم.

وتؤثر الضغوط البيئيــة وخبرات الفشل والإحباط والحرمـــان والقســوة فــي شخصية الطفل ولكن يشترط أن تستمر هذه الضغوط أو تلك الخبرات غـــير الســارة تتفاعل عبر فترة معقولة من عمر الفرد، ذلك لأن المؤثرات السريعة او العارضـــة او المؤقتة قد ينتهي أثرها ويزول بزوال المؤثر ويمكن القول بأن الإنســـان صـحيحــاً أو مريضاً وليد تفاعلات المعادلة الآتيــة :

الوراثـــة × البيئـــة × العمر أو الزمن × الظروف الميلادية

مقدار مقاومـــة الفــرد

فإذا زادت الضغوط على ما يستطيع الفرد أن يتحمله حدث له الانهيار وسقط مريضاً.

وقصارى القول انه في الإمكان تنمية الذكاء ولو بمقدار محدود كما عليه العمل على تحسين مساره وتعديل وجهته نحو الأفضل ونحو النشاط الإيجابي الخير والنـــافع بحيث يستخدم كل منا ما لديه من ذكاء وقدرات في سعادة نفســه ومجتمعــه.

دور التربية العربية المستقبلية في تنمية المهارات الإبداعية في الطالب العربي

تعدد المهارات المطلوبة في الطالب العربي في القرن القادم:

إذا سلمنا بأن مهمة التربية إعداد الفرد للحياة في داخل مجتمع معين، كان على التربية العربية أن تستطلع آفاق القرن القادم وتعد نفسها لتعد الطالب العربي لمسايرة الحياة ومتطلباتها في مطلع ذلك القرن، فتزوده بالمهارات التي تجعل منه مواطناً صالحاً قادراً على دفع عجلة الانتاج قدماً الى الأمام، وقادراً على التصدي لما يحمله القرن القادم له من التحديات العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية. التربية دائماً تعمل على تنمية قدرات الطالب ومهاراته، ولكن هناك مهارات جديدة تتطلب ظروف العصر تنميتها، وهناك مهارات أخرى يلزم تدعيمها.

اننا نعيش في عالم متغير، بل سريع الخطى في تغيره، ولا بد أن نعد أنفسنا للتكيف مع هذا التغير، بل لا بد للتربية أن تكون صانعة التطور، لانها صانعة الأجيال الصاعدة. واذا ما تأملنا في ظروف العصر لوجدنا أن هناك كثيراً من المهارات التي يتعين على المؤسسات التربوية في عالمنا العربي أن تنميها في شخصية طالب الغد، تجعل منه قوة دافعة لحركة التطور والتقدم. ولما كان الوضع المثالي في سواء الشخصية هو التكامل بين عناصرها، فلا بد أن تكون هذه المهارات متكاملة أيضاً وعلى ذلك نستطيع أن نتلمس المهارات الضرورية الآتية :

١- مهارات علمية.
٢- مهارات فنية تكنولوجية أو مهنية.
٣- مهارات شخصية
٤- مهارات عقلية او ذهنية أو فكرية.
٥- مهارات نفسية.
٦- مهارات اجتماعية.

٧- مهارات قيادية وتنظيمية.

ويتطلب القرن القادم، بما يحمله لنا من تطورات ومتغيرات، ان تحرص مؤسساتنا العربية على المستوى القومي على تنمية المهارات المحددة الآتية :

١- المهارة في استعمال الأجهزة الإلكترونية والعقول الحاسبة في مختلف المجالات الإحصائية والطبية والبحثية .. الخ.

٢- إتقان اللغات الحية والتمرس على أعمال الترجمة لنقل ما ينتجه العالم الى لغتنا العربية أولا بأول.

٣- إتقان مهارات البحث العلمي وسمات التفكير العلمي الذي يتصف بالحيدة والموضوعية والدقة والأمانة وسلامة الاستدلال والتمرس على إجراء التجارب والمطالعات وعلى الملاحظة او المعاينة.

٤- الاهتمام ببحوث استكشاف الفضاء واستخدام تكنولوجيا الفضاء في الأغراض السلمية.

٥- تنمية مهارات الحفاظ على سلامة البيئة من العبث والتلوث والعمل على ازدهارها وتحسينها.

٦- فهم العلاقات والمتغيرات الدولية المحيطة بعالمنا العربي.

٧- تنمية مهارات الاتصال والتواصل وخاصة على الصعيد القومي العربي، على اعتبار أن الوطن العربي وطن واحد والأمة العربية أمة واحدة، وتدعيم مقومات الوحدة العربية وترسيخها وتأصيلها.

٨- تنمية المهارات اللازمة لمقاومة الفكر الصهيوني والاستعماري.

٩- تنمية المهارات الذهنية في تفحص الأمور والتحصين ضد حملات التشكيك والدعاية المغرضة والشائعات المسمومة سواء على الصعيد الداخلي او الخارجي.

١٠- تنمية مهارات الشباب في محاربة الادمان والعنف والتعصب والجنوح والجريمة والتسيب والفوضى واللامبالاة ومختلف المظاهر السلبية في حياتنا.

١١- تنمية المهارات اللازمة لدى الشباب العربي لغز و الصحراء وتعميرها والتدريب على الحياة في المجتمعات العمرانية الجديدة التي أنشئت في المناطق الصحراوية او النائية.

١٢- تنمية مهارات إقناع النشئ بالانتماء الإسلامي والوطني والقومي العربي.

١٣- تنمية المهارات اللازمة للصناعات الدقيقة والصناعات المعدنية والصناعات الثقيلة مع الاهتمام بالزراعة العربية.

١٤- تنمية مهارات الإدارة التنموية الحديثة والهادفة.

١٥- تنمية مهارات الخلق والإبداع والابتكار.

هذا تصور عام لبعض المهارات التي يتعين تنميتها في طالب الغد على امتداد الوطن العربي الكبير، وسوف يقتصر الباحث في استعراضه على نوع واحد منها وهو تنمية المهارات والسمات الإبداعية ودور التربية العربية المعاصرة في ذلك.

تنمية السمات الإبداعية

أهمية الإبداع في حياة المجتمع :

للإبداع أهمية كبيرة في حياة المجتمعات، ولا سيما في مجتمعنا العربي الكبير الذي أخذ على عاتقه مهمة صنع التقدم على أرضه واللحاق بركب حضارة العصر وعبور الفجوة الحضارية التي فصلته عن العالم المتقدم، بسبب ما تعرض له من حملات الاستعمار والسيطرة لفترات طويلة من تاريخه. ويتوقف تقدم المجتمع على قدر ما يقدم أبناؤه من الابتكار والإنتاج وعلى قدر ما يبذلون من العطاء والتضحية، وبحسب ما يتحلون به من القيم الدينية الأصيلة النابعة من إسلامنا الخالد وشريعته السمحة الغراء.

ولا شك اننا نعيش عصر اكتشاف الثروة البشرية، التي هي أغلى الثروات وأثمنها جميعا. فالمجتمعات المتقدمة لم تحرز تقدمها بفضل ثرواتها من المعادن او ما

لديها من المحاصيل، وانما بفضل ما لديها من العلماء والمبدعين والمخترعين والمفكرين ودعاة الإصلاح.

الإبداع سمة عامة:

وجدير بالملاحظة أن الإبداع سمة عامة فردية وجماعية تسود حياة الفرد في كافها جوانبها، وليس من الضروري أن يكون قاصراً على مجالات الاختراعات التكنولوجية او الاكتشافات العلمية، ولكنه يوجد في ابتكار نظام جديد للإدارة أو فلسفة للحكم او طريقة جديدة لحل ما يجابه الفرد او المجتمع من المشكلات. فالابتكار له مستويات متعددة، ويستطيع أن يمارسه كل منا في حياته العامة او في مجال عمله مهما كان بسيطاً.

طبيعة العملية الإبداعية :

وأول ما يتبادر الى الذهن هو التساؤل عما إذا كان الإبداع قدرة فطرية موروثة، يولد الفرد مزوداً بها، بمعنى انتقالها من الآباء والأجداد إليه عبر ناقلات الوراثة، او ما يعرف، بيولوجياً، باسم الجينات. وفي هذه الحالة لا شأن لنا كمؤسسات تربوية وتعليمية وإدارية واجتماعية في تنمية السمات الإبداعية في الأفراد ما دام الأمر مقرراً بعوامل وراثية صرفة.

الحقيقة، التي كشفت عنها الدراسات الميدانية المتعددة، ان السمات الإبداعية، في معظمها، متعلمة أي مكتسبة من البيئة والتربية والتفاعل الاجتماعي، ومن جراء انخراط الفرد في وسط اجتماعي معين، وجدير بالملاحظة أن الإبداع ليس سمة واحدة او قدرة واحدة، وانما هو مجموعة مترابطة من السمات التي يتسم بها تفكير الشخص المبدع وسلوكه وما تنطوي عليه نفسه من الطموح والروح المعنوية المرتفعة والأمل والتفاؤل بالذات والإقدام والشجاعة الأدبية والعلمية والمرونة الفكرية والتلقائية وعدم الجمود او عدم الخضوع للحلول القديمة لما يواجهه من المشكلات.

فما هــو الإبداع في الإطار السيكولوجي ؟

الإبداع لغة، مشتق من الفعل " أبدع " الشيء، أي اخترعه لا على مثــال، والله تعالى بديع السموات والأرض أي مبدعهما. ويقال أبدع الشاعر أي جاء بالبديع. وأبــدع الله تعالى الخلق إبداعا خلقهم لأعلى مثال، وأبدعت الشـــئ وابتدعتـــه أي اســتخرجته وأحدثته. والبدعة في الدين مكروهة، إذا جاءت بعد اكتمال. وبعضـــها غــير مكــروه فيسمى " بدعــة مباحــة " وهي ما شهد لجنسه اصل في الشرع واقتضتـــه مصلحـــة يندفع بها مفســدة ويقال فلان بدع في كذا، كان هو أول من فعله، فهو مبتدع والبديـــع فعيل من هذا. ومنه قوله تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴾ (الأحقــاف ٩) أي لست أنا أول من جاء بالوحي من عند الله تعالى وتشريع الشرائع بل أرسل الله تعـــالى الرسل من قبلي مبشرين ومنذرين وأنا على هداهم.

الإبداع ليس تقليــداً للماضي وأن كان يستفيد من التراث:

والإبداع *Creation* يعني الابتكار او التكوين الجديـــد او الصنـــع الجديــد. والإبداع، في علم النفس، لا يعني مجرد محاكاة لشئ موجود من قبل، أو تقليـــداً لـــه، وانما هو اكتشاف علاقات او وظائف أو خصائص جديدة، ووضع هذه العلاقـــات فـــي صيغة إبداعية جديدة. والإبداع أيضاً ليس مجرد تصوير للطبيعة، وانما هو خلق شـــئ جديد. ولكن ليس من الضروري أن تكون جميع عناصر الشئ المبتكر جديدة كل الجدة، وإنما يكفي أن يكون الإبداع مجرد تأليف جديد أو تصوير جديد لأشكال قديمة. فــالمبدع قد يستعير أفكارا من غيره، ولكنه يوظفها توظيفاً جديداً، ويرى فيها معــــاني جديــدة، ويضفي عليها دلالات جديدة، لم يسبقه اليها أحد.

فمخترع الآلة البخارية لم يخترع البخار، والفنان التشكيلي لا يخترع الألـــوان أو المادة التي يرسم عليها لوحاته الفنية، والشاعر لا يخترع حروف اللغة التي يكتـــب بها شعــره.

معنى ذلك اننا نستفيد في الابتكار بكل ما تقع عليه أيدينا من التراث العلمي والفكري والفلسفي والفني، بمعنى الاستفادة من المعلومات والحقائق والنظريات والقوانين العلمية السابقة.

فالتراث يسهم في خلق الأعمال المبدعة. فالمبدع يستفيد من الماضي، ولكنه ليس أسيراً له، وعلمية الإبداع، في جوهرها، واحدة سواء أكانت في العلم أو الفن أو التكنولوجيا أو الأدب أو الشعر أو الفلسفة أو في نظم الإدارة. ومن الجدير بالتأكيد أن الذكاء المرتفع جداً ليس شرطاً ضرورياً للإبداع، بل يكفي قدر أزيد قليلاً من المتوسط، يقدر بنسبة ذكاء ١٢٠ لكي يكون الإنسان مبدعاً، إذا توفرت سمات أخرى ودوافع قوية لديه وذلك نظراً لوجود كثير من الأذكياء، ولكنهم قليلو الإبداع.

ومعنى ذلك أن هناك سمات أخرى الى جانب الذكاء وهي التي تسهم في الإبداع من ذلك :

سمات الشخص المبدع :

١ – النظرة للحياة نظرة مرنة، وليست نظرة جامدة او مطلقة.

٢ – يعتقد المبدع أن الأمور ليست مطلقة او تقليدية ولكنها نسبية، وكذلك نظرته الى السلطة على أنها أمر تقليدي وليست أمراً مطلقا.

٣ – لا يميل الى التفكير الذي ينظر الى الأشياء بأنها أما سوداء أو بيضاء جميلة أو قبيحة، ولكنه يرى الأشياء متدرجة بين الجمال والقبح مثلاً.

٤ – الشجاعة الأدبية والإقدام والرغبة في اقتحام الأشياء والغوص في بواطنها وسبر أغوارها واستكشاف مجاهل الطبيعة.

٥ – يمتاز المبدعون بروح الفكاهة والمرح، ويقدرون الفكاهة اكثر من غيرهم.

٦ – الشخص المبدع اقل جموداً أو تعقيداً وأكثر ميلاً للمرونة والحرية الفكرية.

وجدير بالملاحظة ان السن الذي يصل فيه المبدع الى قمة الإبداع يختلف باختلاف المجال الذي يظهر فيه الإبداع، فهذه السن صغيرة نسبياً لدى الشعراء مثل " قبيل الثلاثين " وهي اكبر نسبياً لدى المعمرين " ٤٠ عاماً فأكثر ".

خطوات عمليـــة الإبداع :

يمر العقل في عدة مراحل للوصول الى الابتكار. حيث يسبق الإلهام مرحلـــــة تحضيرية، يتم فيها إشباع الذهن بكل ما يدور حول المشكلة من الحقائق والمعلومـــات والظروف والملابسات، وقد تستغرق فترة الإشباع هذه سنوات طويلة، قبل أن يبدأ نـــور الإلهام في الإشعاع. فإسحاق نيوتن مثلاً لم يهتد فجأة الى قانون الجاذبية، لأنـــه شـــاهد التفاحة، وهي تسقط في حديقة منزله، ولكن سبق هذا السقوط فترة طويلة مـــن التـــأمل والدراســـة لظواهر الطبيعة.

وتنطبق هذه الحقيقة على الشعر والشعراء كذلك، فان قصائدهم، التـــي تبـــدو وكأنها تهبط عليهم على حين غرّة دونما مقدمات، يكمن وراءها تاريخ طويل من التأمل والنظر والتفكير. ويأتي الإلهام على حين غرّة بسبب حالة الراحة والهدوء والاســـتقرار وتحرير العقل مما يقيـــده ويثقله من التفكير الحاد في المشاكل، وترك المشكلة لفترة مـــا يعطي الذهن فرصة للتفكير فيها مرة أخرى بصورة جديدة ومن منظور جديد. والدليـــل على أن للإعداد والاستعداد والتهيؤ دوراً كبيراً في العملية الإبداعية أن هنـــاك أناســـاً كثيرين كانوا يرون التفاحة وهي تسقط. ولكنهم لم يهتدوا الى قانون الجاذبية إلا إســـحاق نيوتـــن.

مراحل العملية الإبداعية

يميـــز بعض العلماء هذه المراحل التي يمر بها ذهن الإنسان المبـــدع علـــى النحو الآتي :

١ - مرحلة الإعداد أو الاستعداد أو التهيؤ.

٢ - مرحلة الحضانة او الفقس او الرحم.

٣ - مرحلة الإلهام او الوحي او الإضاءة او الإشراقة.

٤ - مرحلة التحقق من صحة العمل المبدع.

ففي المرحلة الثالثة يأتي الإلهام، أي الفكرة المبدعة، على شـــكل وهـــج مـــن الضوء او البصيرة او الاستبصار أي الفهم العميق، وتأتي الفكرة الفجائية.

فالتفكير الإبداعي أسلوب من أساليب التفكير الموجه والهادف، يسعى الفرد، من خلاله، لاكتشاف علاقات جديدة او يصل الى حلول جديدة لمشكلاته، أو يخترع او يبتكر مناهج جديدة او طرقاً جديدة أو أجهزة جديدة أو ينتج صوراً فنية جميلة.

ويشترط في الإبداع، من الناحية الاجتماعية، أن يكون موضوع الإبداع إيجابياً نافعاً وليس شراً أو هدماً. ويتطلب الإبداع أن يكون الإنسان مثاراً ذاتياً اكثر من كونه مقلداً. فالإبداع ليس مجرد تجميع للعناصر القديمة ورصها بعضها فوق بعض، وان كان ذلك لا يمنع أن يكون تكويناً جديداً لعناصر قديمة.

وهناك حد أدنى من الذكاء لابد أن يتوفر يدور حول ١٢٠ نسبة ذكاء لا يوجد ابتكار دون هذا الحد. وتتطلب العملية الإبداعية نوعاً من التفكير المتشعب او المتباعد او المتعدد، وهو نوع من التفكير الجديد.

يمتاز هذا النمط الإبداعي من التفكير بالمرونة والطلاقة، وهو تفكير مختلف وغير عادي أو مألوف، وهو تفكير ليس تقليدياً أو مألوفاً كما يمتاز بالسلاسة وبالأصالة. هذا التفكير الإبداعي يوجد لدى كل الناس صغاراً أم كباراً. ولكن بدرجات متفاوتة.

هذا هو الإبداع وتلك خصائصه ومن الأهمية بمكان أن نتعرف على سبيل تنمية السمات الإبداعية وإذكائها في اكبر عدد ممكن من أبناء مجتمعنا العربي الناهض ولا سيما في وقت نتعرض فيه لكثير من التحديات ونواجه كثيراً من الصعوبات. وقد يقول قائل هل يعني هذا اننا نستطيع أن نحول جميع أفراد المجتمع الى مبدعين؟

الإجابة بالقطع .. لا ، ولكننا نستطيع أن نحول اكبر عدد ممكن منهم الى مبدعين ولو بمستويات متباينة، وذلك إذا ساهم المجتمع والأسرة والمؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية في رعاية السمات الإبداعية وتوليها بالرعاية والاهتمام. وجدير بالذكر أن قضية الإبداع قضية اجتماعية تهم المجتمع كله وتقع مسؤولياتها على المجتمع كله وليس على مؤسسة واحدة، كالأسرة او المدرسة او المصنع. وانما لابد من تضافر الجهود لتنمية هذه السمات والاهتمام بها منذ طفولة الفرد الباكرة.

وسائل تنميــة السمات الإبداعيــة :

الإبداع، كما سلف، ليس قدرة واحدة، وانما هو مجموعة من السمات والدوافـع التي تتضافر فتؤدي الى العمل البديع. ومن أهم المؤسسات التي تستطيع الإسـهام فـي تنمية السمات الإبداعية المؤسسات التربوية في مجتمعنا العربي، ونسـتطيع أن نجمـع المبادئ التربوية التي تؤدي الى تنمية الإبداع فيما يلي :

١ – الاهتمام بالتربية الإسلامية، وغرس مبـادئ الإسـلام الحنيـف فـي النشـئ، والاستمرار في الاهتمام بها في مراحل التعليم اللاحقة.

٢ – التوفيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد أي التربية التكاملية التي تؤدى الـى تكوين المواطن الصالح والمتكامل والمؤمن والقادر على الانتاج والعطاء.

٣ – الإيمان بالفروق الفردية بين الأفراد، ومعاملة كل حسب طاقته وهذا مبدأ عام في الإدارة والتربية وشتى مناحي الحياة.

٤ – توسيع قاعدة التعليم في العالم العربي كله وتوفير الثقافة العامة لكل متعطش لـها لمزيد من الاستنـارة الثقافية والفكرية والدينية.

٥ – القضاء على الامية التي ما زالت منتشرة بين نسبة كبيرة من الكبار والصغـار في المجتمع العربي وتبديد ظلامها الحالك.

٦ – رفع سن الالتزام في جميع المدارس العربية الى سن ١٦ سنة

٧ – توفير مكان لكل طفل يصل الى سن الالتزام.

٨ – الاهتمام بالثقافة العالمية المعاصرة، ونقل النافع منها الى البيئة العربية مـادام لا يتعارض مع مبادئ الإسلام.

٩ – الأخذ بسياسة علمية وموضوعية في توجيه الطلاب نحو انواع التعليم التي تتفـق وقدراتهم الطبيعية.

١٠ – الاهتمام بتدريس مناهج البحث العلمي في العلوم المختلفة. وكـذا تدريـس تاريخ العلوم وحياة العلماء والأفذاذ والمبتكرين والمنطق الصوري والتطبيقي وذلـك لتنمية قواهم على الاستدلال والاستقراء العلمي واصدار الاحكام الصائبة، والتحـرر من الخرافة والشعوذة ومن النزعات الذاتيـة، ومن القفز في إصدار الأحكـام دون

وجود المقدمات الكافية التي ينتج عنها الحكم بالضرورة مع تنمية قدراتهم على التفكير والتخيل والتصور والتحليل والتركيب والنقد والمقارنة والتطبيق والفهم والاستيعاب واستخلاص النتائج، وتكوين الآراء الخاصة مع تنمية القدرة على التأمل وعلى تمييز الصواب من الخطأ، وتنمية كل جوانب شخصية المتعلم، وتغير سلوكه وقيمه واتجاهاته نحو الأفضل . اهتداء واسترشاداً بمبادئ الدين الإسلامي الخالدة.

ويتعين تدريب الأفراد على مختلف مستوياتهم، على تطبيق خطوات التفكير العلمي، والمتمثل في شعور الفرد بالمشكلة التي تواجهه والتي يسعى لحلها، ثم تحديدها أو وصفها، ووضع الحلول المبدئية لحلها، أو ما يعرف باسم فرض الفروض ثم اختبار صحة الفروض فرضا فرضاً عن طريق الاستقراء العلمي وانتهاء بصدور الحكم وحل المشكلة المطروحة حلاً علمياً وموضوعياً مع التدريب على الاعتماد على الوقائع، والعودة الى الطبيعة باعتبارها سجلاً مفتوحاً، مع ضرورة التحلي بالأمانة العلمية، والصدق والمرونة وعدم التشبث بالآراء القديمة أو الآراء الشخصية، والاستعداد لتغير آراء الفرد باستمرار وفقاً للحقائق المتجددة.

ولا بد من غرس مشاعر الثقة بقدرة العقل العربي المعاصر على الخلق والإبداع والابتكار والتجديد والتطوير والتنمية والتقدم والتحضر والتمدين والترقي، وعلى خوض غمار العلم الحديث، وامتلاك ناصيته كما امتلك أجدادنا المسلمون ناصيته، وما زالت الإنسانية تشهد بعظمة علماء الإسلام ومفكريه في شتى المجالات العلمية والفكرية. فلقد أفرزت العبقرية الإسلامية أرقى حضارة عرفتها الإنسانية.

وتستند عملية تنمية السمات الإبداعية في المثابرة والطموح والرغبة في التجديد، والصبر والجلد، وقوة الاحتمال، والمرونة والطلاقة الفكرية وما الى ذلك، تستند الى عدة مبادئ لابد من توخيها لكي تزيد من فرص تنمية سماعات الإبداع لدى اكبر عدد ممكن من أبناء المجتمع العربي المعاصر، ومن ذلك الإيمان بأن استعدادات الفرد يمكن أن تنمو وتزدهر أو تطمس وتختفي، أو تغير وجهتها، فأما إلى الخير وأما الى الشر. ويجب أن يستهدف مجتمعنا العربي تكوين المواطن العصري الذي يتمتع

بالإيمان والعلم وبتكوين الشخصية المتكاملة في عناصرها الروحية والجسمية والنفسية والخلقية والعقلية والاجتماعية في تكامل وتناسق واتساق. مع الحرص على تحرير المواطن العربي مما يكبل طاقته ويغل قدراته من الانطلاق، بسبب ما يعانيه من المشكلات والاضطرابات النفسية ومشاعر القلق والإحباط تلك التي تمتص طاقة الإنسان وتبددها ومن الآلام التي تعتصره.

ويلزم تشجيع المواهب العلمية والفنية واحتضانها منذ سن باكرة في الإنسان العربي. وتوفير الدوافع والحوافز والجوائز لكل مجد أو مبتكر، وتنمية الرغبة في البحث دائماً عن الحقيقة مع ضرورة الإيمان بأن محك الخطأ والصواب الوحيد هو الحقائق الواقعية نفسها، مع تشجيع التربية الاستقلالية وخلق اهتمامات وهوايات متعددة ومتنوعة كل حسبما يرغب وتطبيق مبادئ الشورى والديمقراطية في الفكر والعمل تلك الحرية المستنيرة والمحددة بحدود القانون والشرع والصالح الوطني العام.

ونخلص من هذا الى ان عملية الإبداع ليست فطرية أو محددة وراثياً، وانما ترجع معظم السمات الإبداعية الى ظروف التربية الجيدة والأسرة المشجعة والمجتمع الواعي الذي يحرص على غرس القيم والعلم والبحث العلمي والأدبي والفني في نفوس ابنائه، وينمي فيهم سمات المثابرة والإصرار وحب الاستطلاع والتجديد والنضال العلمي والرغبة في الوصول بمجتمعنا الناهض الى ذروة المجد وقمة الازدهار.

حماية الإسلام لشخصية المسلم

الإسلام يحمي أبناءه من أخطار الخبائث :

الإسلام حريص كل الحرص على حماية أبنائه من التعرض لخطر الخبــائث، وكل ما يؤدي الى إيذاء الإنسان أو إلحاق الضرر به أو بصحته العقليــة أو الجســمية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبــات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ (سورة الأعراف/ ١٥٧).

حتى لا يتعرض للإصابة بالأمراض والعدوى، أو يتعرض لخطر الهلاك مــن تناول الأشياء المحرمة أو الضارة كالخمور والمخدرات والدم والميتة ولحــم الخــنزير والتدخين المفرط، في حين أباح الإسلام التمتع بالطيبات، وبكل ما هو حـــلال مبــاح، وليس هذا من قبيل التسلط الدكتاتوري أو الغرض السلطوي، وإنما كل هذه التعاليم مــن أجل سعادة الإنسان والحفاظ على المسلم قويا عفيفــا منتجــا واعيا ذكيا سليما فــاعلا، ويقــول الحــق تبــارك وتعالى :﴿ ولا تقربــوا الزنى إنــه كان فاحشــة وساء ســبيلا﴾ (سورة الإسراء / ٣٢) .

ويؤثر في وطنه ومجتمعه، ومن تلك الخبائث الزنا لما له مــن آثــار ضــارة ومدمرة على حياة الفرد والمجتمع وفساد الأخلاق وتدهور القيم في المجتمــع وضيــاع الأنساب، والى جانب ذلك دل البحث العلمي على أن ممارسة الزنا تعــرض صاحبــها للإصابة بالإيدز وغيره من الأمراض السرية الخطيرة، فضلا عن هدر العفة والأمانــة والعرض والشرف. والمسلم مدعو للحفاظ على شرفه وعرضه وماله ووطنه. فالإســلام يؤدي إلى تكوين المواطن الصالح المؤمن بربه وبوطنه وبعروبته، ويبتعد عن الشــرور والأخطار والإسلام دعوة للوسطية والاعتدالية والبعد عن التطرف كما في قوله تعالى: ﴿ ولا تجعــل يــدك مغلولــة الى عنقــك ولا تبسطها كــل البسط فتقعد ملوما محســورا ﴾ (سورة الإسراء / ٢٩) .

لأن المبالغة في أي شيء تؤدي الى إلحاق الضرر، وخير الأمور الوسط والاعتدال، تلك تربية مثالية، يوفرها الإسلام لأبنائه، ويبعدهم بذلك عن مخاطر التطرف سلبا أو إيجابيا، وعن التزمت والتعصب والمبالغة وما يصاحبها من العنف أو العدوان، وإنما رأى الإسلام الخير كل الخير في التوسط والاعتدال في كل أمور حياة المسلم. ويتفق علم النفس الحديث مع هذه المبادئ القيمة التي كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في التعرف عليها والدعوة لها.

صلة الأرحام في الإسلام وأثرها النفسي الأخلاقي:

تمتاز تربية الإسلام لأبناء المجتمع الإسلامي بالتمسك الشديد بالقيم الإنسانية والاخلاقية، قيم الفطرة السوية، حتى ينمي ويدعم ويشجع قيم الوفاء والعرفان والعطف والرحمة والشفقة والمودة والسلام والمحبة، وخاصة بين أفراد الأسرة الواحدة التي هي المظلة أو الحضانة أو الرحم الذي يتربى فيه الناس، فعلى الأبناء احترام الآباء والعطف عليهم والشفقة بهم كما في قوله تعالى:﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ [سورة الإسراء ٢٣ – ٢٤]

فلقد قرن الله تعالى عبادته سبحانه بطاعة الوالدين والبر بهما والإحسان إليهما وخاصة عندما يتقدمان في العمر ويضعفان ويعجزان، هنا وجب الوفاء ورد الجميل وطاعة الله في إرضائهما والدعوة لهما. فالتعاليم هنا ليست سالبة وحسب وإنما هي سلبية وإيجابية بمعنى أن تأمر الولد بعدم الإساءة وبالإحسان والبر بهما.

الدعوة للعمل وأثرها النفسي :

الى جانب القيم الإنسانية والأخلاقية النبيلة التي يغرسها ويزرعها في أبنائه، فإنه يدعوهم أيضا للعمل والكفاح والجد والاجتهاد والنضال والكد في كسب الرزق الحلال بعد قضاء الصلوات وغيرها من العبادات، ولذلك فإن الإسلام يختلف عن

الرهبانية النصرانية التي تشجع على عدم العمل في المجتمع الخارجي وعلى العزلة وعلى عدم الإنجاب، فلو سادت الرهبنة لانقرض البشر. ولكن الإسلام دين واقعي عملي شامل وجامع ومانع، يجمع بين الإنسانيات والروحانيات وبين الاتجاهات العملية والواقعية في حب العمل والسهر والكفاح والانتشار في الأرض وتعميرها وتنميتها. فلقد جعل الله الإنسان خليفة له في الأرض، يعمرها وينميها، ويزرع الخير والبركة فيها، وهو بذلك يبعده عن اتجاهات الكسل والتراخي والتواكل أو العزلة والانطواء والانسحاب من معترك الحياة الاجتماعية والاقتصادية. فالشخصية الإسلامية متكاملة تذكر الله دائما وترعاه وفي نفس الوقت تعمل وتكد للكسب الحلال والتمتع بالطيبات من الرزق وغيره من وجوه الإشباع الحلال.

مسؤولية الإنسان في الإسلام تمتد لتشمل ذريته وأهله :

المسؤولية في الإسلام شاملة وبعيدة عن الفردية الغربية او الأنانية، فالإنسان ليس مسؤولا عن نفسه وحسب وإنما أيضا مسؤولا عن ذويه وذريته الضعيفة، فعليه أن يعمل عملا صالحا حتى يبقى هذا العمل لذريته وينفعهم فمسؤولية المسلم تمتد لتشمل ذريته، ولذلك أمره الله تعالى أن يعلم أبناءه الصوم والصلاة، وأن يؤدبهم، ويعلمهم آداب الاستئذان. وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم﴾ [سورة النساء ٩].

حماية الإنسان من خطر نفسه :

يحرص الإسلام على سلامة الإنسان المسلم، وعلى صحته العقلية والنفسية والجسدية، ويعمل على توعيته ضد الأخطار والتهلكة حتى لا يؤدي عيشه واستهتاره الى أن يقتل نفسه أو يدمر حياته كما في قوله تعالى:﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾ [سورة البقرة ١٩٥] .

وهناك في هذه الأيام كثير من هذه المخاطر التي يضع إنسان العصر نفسه فيها، من ذلك الارتماء في أحضان الخمور والمخدرات فيفترسه الإدمان ويحيله إلى

حطام وركام في لمح البصر ويقضي على نفسه وعلى عقله وصحته وأسرته وثروته وشرفه وعرضه ويفقد وظيفته ويؤدي به الإدمان إما إلى الموت او الى السجن عندما يتحول من التعاطي والإدمان إلى الاتجار والجلب وتوزيع المخدرات.

الإيجابية في الشخصية الإسلامية :

﴿ ولتكن منكم أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [سورة آل عمران ١٠٤]

والمسلم بحكم تربيته وتنشئته وإعداده الاسلامي، ليس شخصا سلبيا، وإنما يتربى على الإيجابية وعلى القيام بدور إيجابي وفاعل في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، فلا يقف موقف المتفرج من الأحداث الجارية حوله، فإن كانت خيرا باركها وإن كانت شرا قاومها ومنعها بالحسنى، فالمسلم مطالب بالأمر بالمعروف والإحسان والبر والتقوى والتعاون وكل ما هو خير، ومطالب أيضا بالنهي عن كل ما هو مكروه وشر مؤذ وضار، وذلك حتى يعم الخير أرجاء المجتمع الإسلامي.

منهج الحوار والإقناع في الإسلام:

الإسلام بعيد كل البعد عن أساليب العنف او التسلط أو الإرهاب أو القهر، وإنما يتخذ الإسلام منهج الحوار العقلاني والإقناع بالحسنى في حل المنازعات والخصومات والخلافات التي يدعو الإسلام الى حلها بالحسنى مما يقضي على العداوات والخصومات بين الناس، بل إننا إذا أحسنا إلى من أساء إلينا دفعه ذلك الى العودة الى حظيرة الحق واعترف بما آتاه من أخطاء، وتم التصافي والتصالح والود. فالأعمال الطيبة أثيرة للإنسان وفعالة في نفسيته أكثر من العنف كما في قوله تعالى:﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [سورة فصلت ٣٤ – ٣٥].

فلا تقابل العنف بالعنف أو العداوة بالعداوة، وإنما بالحسنات مما يـــؤدي الـــى حسن الجوار وتوطيد العلاقات بين المسلمين وتقوية الروابط بينهم، وعدم توسيع الـــهوة بينهم ومن شيم المسلم الصفح والعفو والتسامح والإحسان وحسن الجوار وإكرام الجـــار واحترام الكبير والنجدة والمروءة والشهامة والشجاعـــة.

الاقـــتداء برســـولنا العظيم :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كـــان يرجـــو الله واليـــوم الآخـــر وذكر الله كثيرا ﴾ [الأحزاب ٢١]

يأمرنا الله تعالى أن نتأسى برسولنا الكريم الذي علمه ربه فأحسن تأديبه، وكان على خلق عظيم، علينا أن نتخذ من رسولنا الكريم قدوة حسنة ومثالا طيبا نقتـــدي بـــه ونتمثل بأخلاقياته وسنته المطهرة وبأعـــماله الخيرة وبإرشـــــاداته الطـــــيبة ويمثـــل الهدي النبوي الشريف اعظم منارة للمسلم يهتدي بها في كل نواحي حياته فتهديه الـــى الحق والخير والنفع، واصلاحه في الدنيا والآخرة وتبدو أهمية القدوة الحسنـــة أكثر مـــا تبدو في أيامنا هذه بالنسبـــة لأطفالنا الصغار الذين أصبح الآبـــاء أمامـــهم لا يمثلـــون القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدي به بسبب تشويـــه أجهزة الإعـــلام لصـــورة الأب والأم. ولذلك فقد أبناؤنا القدوة الحسنة، وهي من أهم ضرورات التنشئة الروحيـــة والأخلاقية والاجتماعية والسياسيـــة العظيمة ويكمن الحل في العـــودة الـــى حظـــيرة الإيمان والاهتداء بالهدي النبوي الشريف.

الآثار النفسيـــة للمبادئ الإسلامية

مبدأ عدم الإسراف أو التقتيـــر:

قال تعالى: ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ [سورة لقمان: ٦٧].

الإسلام يدعونا دائما للتوسط والاعتدال بين الإســراف الزائــد وبيــن البخــل والتقتير الزائد، وكلاهما رذيلة وكما قال أرسطو الفضيلة وسط بين طرفيـــن كلاهمـــا رذيلة: إفراط وتفريط، الإسراف يقود للهلاك والإفلاس وعدم الاحتراس ضد مصـــائب الدهر وغوائله، والتقتير يقود للشعور بالحرمان والحقد والحسد والكراهية، ولذلك فـــإن الوسطية من المبادئ الإسلامية التربوية الجيدة. ويقول الحق تبارك وتعـــالى:﴿ كلـوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف ٣١].

والدعوة للتوسط دعوة عامة في الإنفاق وفي الأكل والشرب واللبس وفي كافــة جوانب الاستهلاك، فالإسلام يرشد سلوك المسلم الاستهلاكي ويدفعه الى حد الكفاية فقـط أي يأكل الحد الضروري فقط وفيما عدا ذلك يتصدق به في شـــكل الزكـــاة وغيرهـــا، فالمسلم ليس مسؤولا عن نفسه وحسب، وإنما عن فقراء بنـــي جلدتـــه أيضـــا تدعيمـــا للتكامل والتكافل والتضامن الاجتماعي.

يقول تعالى في كتابه الكريم:﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾[سورة العلق١-٥]

ويدعونا إسلامنا الحنيف إلى القراءة والاطلاع والبحـــث والتنقيـــب والـــدرس والتفقه في الدين واكتساب العلم ونشره، فالإسلام دعوة مستنيرة تقـــوم علـــى أســـاس تشجيع العلم والعلماء وتكريمهم واحترامهم وتقديرهم، وعلى نشر العلم النـــافع، العلـــم الخير الذي يستخدم في وجوه السلم وأغراضه، ويقول تعالى أيضا:﴿ إنما يخشى الله مـــن عباده العلماء ﴾ [سورة فاطر ٢٨].

وينزل الإسلام العلماء منزلة رفيعة فهم أكثر الناس خشية لله تعـــالى، بســـبب علمهم واستنارة عقولهم وتفقههم في الدين، ولذلك، فالإسلام دعوة للعلم وللعقل وللتـــأمل

والتبصر والتفكير والتدبر والفهم والاستيعاب في مخلوقات الله وخيراته ونعائمه وفضله على الإنسان وعلى العالم. ولا يوجد تعارض بين العلم والدين في الإسلام، بل إن الإسلام يشجع على اكتساب العلم وليس اكتسابه وحسب، وإنما توجب على من يتعلم أن يعلم غيره وأن ينشر نور العلم بين ربوع الأمة الإسلامية. وليس غريبا، إذن، إن يخلق الإسلام أرقى حضارة عرفتها الإنسانية قاطبة. وفي تكريم العلماء والعلم يقول الهدي القرآني الخالد: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [سورة الزمر ٩].

فالعلم فضيلة قدرها الإسلام ودعا إليها ولم يخش الإسلام من العلم والعلماء على قوته، بل دعا الى العلم، وأحرز علماء الإسلام في العصور الوسطى أكبر المنجزات العلمية في الفلسفة وفي الطب والكيمياء والرياضيات والفلك وشتى العلوم المعروفة على أيامهم، ولذلك قامت نهضة علمية إسلامية نقل عنها الغرب حضارته الحالية، قال تعالى: ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ [سورة آل عمران ١٥٩] .

ويدعو الإسلام للتحلي بكثير من الفضائل والخصال والسمات الحميدة، ومن ذلك التوكل على الله تعالى، ولهذا أبلغ الأثر النفسي في شعور الإنسان بالأمن النفسي والاستقرار والثبات والهدوء، بدلا من أن يظل حائرا مشتتا عاجزا عن اتخاذ قرار فيما يواجهه من مشكلات وتعرف حالة التردد هذه في علم النفس الحديث بحالة الصراع. قال تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ [سورة آل عمران ١٨٦] .

من أخلاق الإسلام، التي تؤدي بدورها الى التمتع بالتكيف النفسي، الدعوة للصبر وقوة الاحتمال والجلد وعدم التهور او العبث أو السخط والضجر والتبرم وفقدان الثقة والشطط والضياع، وإنما التحلي بالصبر وفي الصبر قوة للشخصية وسلامة للصحة النفسية وقوة الاحتمال من المظاهر الدالة على سلامة الشخصية وسوائها.

قال تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ [الكهف ٢٨].

ويدعو الإسلام للتحلي بالصبر وعدم التكالب على زينة الحياة الدنيا في سبيل التمتع بالجنة والخلود فيها، وهي أبقى وأقيم وما الحياة الدنيا إلا تجربة ومقدمة للدخول في حياة أبدية دائمة.

الدعوة للتماسك الاجتماعي :

وفي الدعوة للتآلف والاتحاد والوحدة والتماسك والتضامن والتساند بين أبناء الأمة الإسلامية يقول القرآن الكريم:﴿ فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [سورة آل عمران ١٠٣].

فالإسلام يدعو لنشر مشاعر الإخاء والاخوة بين المسلمين وما يتبع ذلك من التضامن والتماسك والوحدة والوقوف في وجه الطغاة وأعداء الإسلام الذين يخافون من الإسلام على قلوبهم، ولذلك يعاندونه ويتهمونه بتشابيع الإرهاب وهو دين علم وسلام وتحضر وما أحوجنا نحن المسلمين للتآلف بعد أن شب النزاع بين كثير من بقاع الأرض وهاهي دعاوى العلمانية والبعد عن الدين تصيب بعضا من ضعاف النفوس من أبناء أمة الإسلام نفسها. ويدعو الإسلام للتواضع وحسن المعاشرة وحسن الجوار ولنا في رسول الله تعالى أسوة حسنة ومثالا يقتدي به فالمؤمنون أخوة أولياء بعضهم لبعض بعيدون عن التعالي والغطرسة والكبرياء.

ولذلك سوى الإسلام بين أبنائه فلا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، والمسلمون كأسنان المشط سواسية. وتربط بينهم مشاعر الوحدة ومشاعر الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

ويقول تعالى في كتابه الكريم:﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ﴾ [سورة الشورى ١٥].

الثبات في الدعوة والثبات على المبدأ من دواعي الاستقرار الفكري والنفسي والعقلي والعقائدي، ولذلك، فالإسلام يدعونا للثبات على المبدأ ضمانا للاستقرار النفسي وعدم التذبذب أو التأرجح، ومن ثم الضياع والشعور بالفوضى وانعدام الرؤية وتقود مثل هذه المشاعر للمرض النفسي.

مبدأ الزهـد في متاع الدنيـا :

من المبادئ التربوية والنفسية العظيمة في الإسلام، الدعوة للزهد فـي متـاع الدنيا وزينتها وملذاتها وشهواتها من النساء والذهب والفضة والخيل وما الى ذلك، وفـي ذلك محاربة للفلسفات المادية التي ظهرت وسيطرت على العالم الغربي في أيامنا هـذه، وهي نزعات تؤدي بأصحابها الى الهلاك والى التكالب والى عبودية المال والخضـوع له وسيطرته على حياة الفرد والجماعة، والى طمـس القيـود الأخلاقيـة والروحيـة والإنسانية لدرجة أننا أصبحنا نسمع أن الدولار هو الذي يحكم أمريكا. قـال تعـالى : ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهـب والفضـة والخيل المسومة والأنعام والحرث ﴾ [سورة آل عمران ١٤].

مبـدأ الحد من اتباع الهوى :

كذلك من المبادئ التربوية التي يحفل بها تراثنا الإسلامي الخالد الخوف مـن الله تعالى وخشيته ونهي النفس عن اتباع الهوى والشطط او الجنـوح الـى الشـر أو الملذات أو الشهوات او الأطماع، فإن النفس تصاب بالمرض مثل في ذلك مثل سـائر البدن، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الـهوى، فإن الجنـة هي المأوى ﴾ [سورة النازعات ٤٠ – ٤١] .

وفي الدعوة للصبر والتحلي به يحث الإسلام على التمسك بخصـال الصـبر، وهو عكس التهور والتهيج والتسرع والتخبط، وهو دليل على تمتع صاحبـه بالصحـة النفسية والعقلية الجيدة، والمؤمن قادر على ممارسة الصبر، وضبـط النفـس، وعلـى التحمل والجلد أكثر من الملحد، لأن الإيمان يقوي الفضائل الإنسـانية ومنـها فضيلـة الصبر. ويقـول تعالى : ﴿ ومـا يلقاها إلا الذين صـبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيـم ﴾ [سورة فصلت ٣٥].

وللصبر والصابرين أجر عظيم عند الله تعالى وما أحرانا نحـن المسـلمين أن نتحلى بالصبر في هذا العصر الذي ازدادت فيه الضغوط النفسية علـى الإنسـان مـن الغلاء والبطالة والتسيب الإداري، وفوضى الشارع، وعدم الالـتزام، وعـدم تطبيـق

القانون والمنافسات الشديدة، وانتشار البطالة، وصعوبة الزواج وتكوين الأسرة، وصعوبة المنافسات في المجال التعليمي، وارتفاع مستويات الطموح وازدياد معدلات القلق، ولذلك لا يوجد دواء للقلق خير من التحلي بالصبر والتدرب عليه اهتداء بقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [سورة البقرة ١٥٣].

ويجد المسلم في الصبر والصلاة ما يريحه من عناء الدنيا ومتاعبها ومشاكلها التي باتت تثقل كاهل الإنسان، وخاصة الإنسان الفقير والبسيط الذي باتت تطحنه الظروف القاسية والغلاء والبطالة وارتفاع تكاليف الحياة، ولا مفر من التحلي بالصبر والأناة والرفق فما وجد الرفق في شئ إلا زانه وما انتزع من شئ إلا شانه مصداقاً لقول رسولنا الكريم. ويقول تعالى أيضاً :﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [سورة لقمان ١٧].

ويدعو الإسلام الإنسان للصبر، وخاصة في أوقات الشدائد والأزمات والكوارث الطبيعية أو الصناعية والصعاب وفي الصبر قوة وعزم وإرادة وتحدٍّ، وذلك بدلاً من الانهيار والسقوط أمام نوائب الزمن وما أكثرها في هذا الزمان. الصبر هو الحل وهو العلاج وهو الخلق، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ [سورة القصص ٥٤].

ولفضيلة الصبر أجر عظيم عند الله تعالى ولذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [سورة النحل ٩٦].

على انه من الجدير بالإشارة أن الصبر لا يعني، بحال من الأحوال، التواكل والكسل والتراخي والضعف والخور في مطالبة المسلم بحقوقه والدفاع عن أرضه وعرضه وشرفه وماله ووطنه وعروبته وإسلامه فالصبر مع القوة والإرادة والعزيمة والشجاعة والإقدام والاستبسال في الدفاع عن الحقوق المشروعة والصبر مع الكفاح والنضال والسعي الجاد والموصول في طلب الرزق.

قائمة المراجع بالعربية

١ – ابو بكر الجزائري، منهاج المسلم، مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر، القاهرة، ١٩٦٤.

٢ – احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦.

٣ – احمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢.

٤ – احمد عزت راجح، اصول علم النفس، دار القلم، بيروت، لبنان.

٥ – البخاري ابو عبدالله محمد، صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٦ – جابر عبد الحميد جابر، علاء الدين كفافي، معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠.

٧ – حارث سليمان الفاروقي، المعجم القانوني، مكتبة لبنان، ١٩٨٨.

٨ – سعيد إسماعيل علي، محرر، التعليم الجامعي في الوطن العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧.

٩ – سناء الخولي، الزواج والعلاقات الاسرية، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية، ١٩٩٠.

١٠ – صالح عبد العزيز. التربية وطرق التدريس،ط ١٩٧١، دار المعارف، بمصر، ١٩٧١.

١١ – عاطف غيث وآخرون، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩.


١٢ – عباس بيومي عجلان، دارسات في الحديث النبوي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦.


١٣ – د. عبد الرحمن عميرة، منهج القرآن في تربية الرجال، عكـاظ، ١٤٠١هـ، جدة – السعودية.
١٤ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعيـة، دار الفكـر الجامعي، الاسكندريـة، ١٩٨٦.
١٥ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس الاسري، دار النهضـة العربيـة، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، دار المعرفة الجامعية.
١٦ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، سيكولوجية الابداع، دار النهضـة العربيـة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.
١٧ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، الاسلام والعلاج النفسي، دار الفكر الجـامعي، الاسكندرية، ١٩٨٦.
١٨ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، سيكولوجية المراهق المسـلم المعـاصر، دار الوثائق، الكويت، ١٩٨٦.
١٩ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، مقومات الشخصية الاسلامية والعربيـة، دار الفكر الجامعي، الاسكندريـة، ١٩٨٦.
٢٠ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، العلاج النفسـي ، دار المعرفـة الجامعيـة، الاسكندرية، ١٩٩٦، دار النهضة العربية، بيروت.
٢١ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، الاسلام والتنمية البشرية ، المكتـب العربـي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٦، الحاج العربي.
٢٢ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس في المجال التربوي، دار المعرفـة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦.
٢٣ – د. عبد الرحمن محمد العيسوي، علم النفس الفسيولوجي، دار النهضة العربيـة، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ودار المعرفة الجامعية بالاسكندرية.
٢٤ – عبد المنعم الحفني، موسوعة علم النفس والتحليل النفسـي، مكتبـة مدبولـي، القاهرة، ١٩٩٤.

فهرس

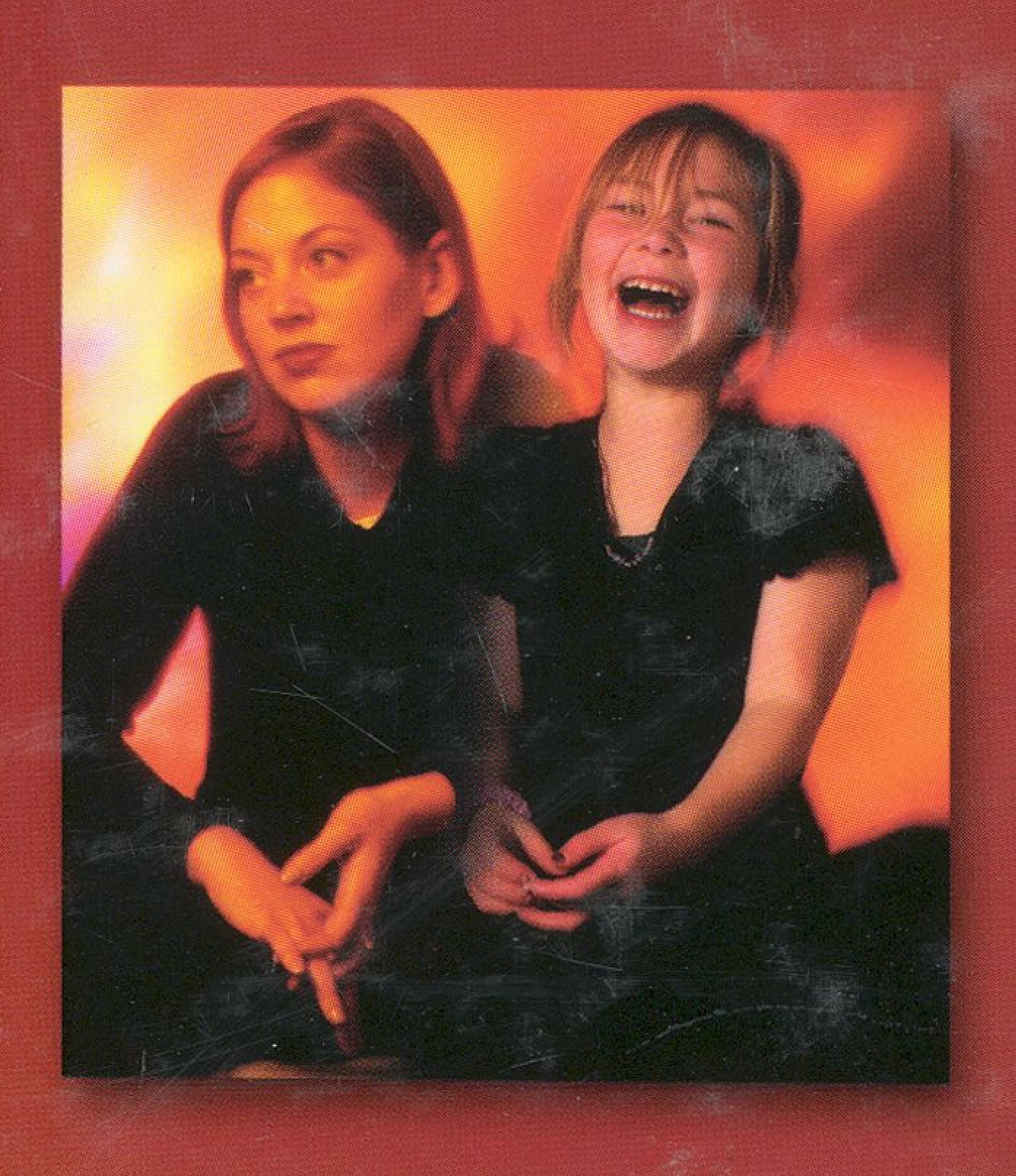
الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول: الأسرة	٧
تأثير الأسرة في كل أعضائها	٨
أهمية الأسرة الحديثة	٨
تأثير الأسرة على جميع أعضائها	٩
الفجوة بين التقدم العلمي والتقني وبين القيم الأخلاقية	١١
أسس اختيار الزواج الصائب	١٢
تأثير الاختيار الزواجي ببعض العوامل النفسية	١٦
مفهوم العامل الولادي أو الميلادي	١٧
المخاطر الولادية على الصحة العقلية	١٩
العوامل المؤثرة في نمو الطفل	٢٣
الوعي السيكولوجي والحياة الحديثة	٢٦
دور علم النفس في الحياة المعاصرة	٢٦
دور علم النفس في مجال الجريمة	٢٨
تفسير الظاهرة الإجرامية	٢٨
النزعة السيكوباتية	٣٣
تعريف التعصب	٣٣
سمات شخصية المتطرف	٣٤
الفصل الثاني: الطلاق	٣٧
أسباب الطلاق : دراسة ميدانية	٣٨
تأثير الطلاق على الصحة العقلية والنفسية للأطفال	٥٥
الصحة العقلية والظروف الزواجية	٦١
سبل الوقاية من التصدع الأسري	٧٢
ضرورة فض المنازعات الأسرية	٧٧
العوامل النفسية في تجربة الطلاق	٨٣
هل من مصلحة الاسرة المصرية الحديثة تعقيد روابطها؟	٨٩
المرأة المسلمة في إعدادها الروحي	٩٣
الفصل الثالث: أسس السعادة الزوجية	١٠٧
الأسرة المثالية في ضوء الهدى الإسلامي والتراث العلمي الحديث...........	١٠٨

الأسس السيكولوجية للسعادة الزوجية ١١٤
سيكولوجية الزواج المتكيف ١١٨
سيكولوجية الأسرة العصرية ١٢٦
الفصل الرابع: أسس التربية السوية ١٣٣
مبدأ الثواب والعقاب وآثاره التربوية ١٣٤
دور المؤسسات التربوية في مكافحة الجريمة والجنوح ١٤١
التنمية النفسية للفرد ١٥٩
التربية النفسية في الإسلام ١٦٩
سنوات التعليم الأساس ومستوى نضج الأطفال ١٧٦
كيف يصبح سلوك الطفل سلوكاً سوياً؟ ١٧٩
هل يبحث أطفالنا عن القدوة الحسنة؟ ١٨٢
الفصل الخامس: أسباب الوقاية والعلاج إسلامياً وعلمياً ١٨٧
القيم الإسلامية وآثارها في تحقيق السعادة النفسية.................................... ١٨٨
دور الهدي الإسلامي في الشفاء من الأمراض النفسية ١٩٤
مضادات القلق السلوكية ٢٠٢
العلاج النفسي الإسلامي ٢٠٦
مناهج العلاج النفسي الحديث ٢١٤
الأسس الإسلامية والطبية لعلاج البول الليلي والوقاية منه ٢٢١
سيكولوجية الاغتصاب ٢٣٤
الفصل السادس: تنمية السمات والقدرات الإبداعية ٢٤٣
هل في الإمكان تنمية الذكاء الإنساني.................................... ٢٤٤
دور التربية العربية المستقبلية في تنمية المهارات الإبداعية في الطالب العربي .. ٢٤٨
تنمية السمات الإبداعية ٢٥٠
حماية الإسلام لشخصية المسلم ٢٥٩
الآثار النفسية للمبادئ الاسلامية ٢٦٤
المراجع ٢٦٩
الفهرس ٢٧٩


مؤسسة
عبد الحفيظ
البساط
لتجليد وتصنيف
الكتاب
بيروت لبنان


مؤسسة
عبد الحفيظ
البساط
لتجليد وتصنيع
الكتاب
بيروت لبنان

سيكولوجية
الطفولة والمراهقة







دار اسامة للنشر والتوزيع
دار المشرق الثقافي
الأردن - عمان

الإدارة/هاتف: 00962 6 5658253 فاكس: 00962 6 5658254
المكتبة/ هاتف: 00962 6 5658252 ص.ب: 141781
www.darosama.com - info@darosama.com
darosama@wanadoo.jo